A-PDF MERGER DEMO

رواية «الغداء العاري» أمام المحاكم الأمريكية

رواية "الغداء العاري" أمام المحاكم الأمريكية
رمسيس عرض

سلسلة: حقوق الإنسان في الفنون والآداب (١٣)
الناشر: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
العنوان: ٢١شارع عبد المجيد الرمالي- الدور السابع-
شقة رقم ٧١- باب اللوق- القاهرة
ت: ٢٧٩٥١١١٢(+٢٠٢) فاكس: ٢٧٩٢١٩١٣(+٢٠٢)
العنوان البريدي: ص.ب:١١٧ مجلس الشعب، القاهرة
البريد الالكتروني: info@cihrs.org
الموقع الالكتروني : www.cihrs.org

مسئول النشر: رجب سعد طه
المراجعة اللغوية: عثمان الدلنجاوي
لوحة الغلاف الأصلية، نقلا عن موقع: www.goodtherapy.org
تصميم الغلاف والإخراج فني: هشام السيد

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٨٥٧/ ٢٠١٣

تمت طباعة هذا الكتاب بدعم من:

Rockefeller Brothers Fund
Philanthropy for an Interdependent World

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra
Embassy of Switzerland

الآراء الواردة بالكتاب لا تعبر بالضرورة عن
مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

سلسلة حقوق الإنسان في الفنون والآداب
(١٣)

رواية «الغداء العاري» أمام المحاكم الأمريكية

جيل البيتس.. وليم بوروز

رمسيس عوض

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

أسهم في تأسيسه

د. محمد السيد سعيد

مركــز القاهرة لدراسات حقــوق الإنسان هو منظمة غــير حكومية إقليمية مستقلــة تأسست عام ١٩٩٣، تهدف إلى دعم احترام مبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية، وتحليل صعوبات تطبيق القانــون الدولي لحقوق الإنسان، ونشر ثقافة حقوق الإنســان في العالم العربي، وتعزيز الحوار بــين الثقافات في إطــار الاتفاقيات والمواثيــق الدولية لحقوق الإنسان. ومــن أجل تحقيق هذه الأهــداف يعمل المركز على اقتراح والدعوة إلى سياسات وتشريعات وتعديلات دستورية تعزز من المعايير الدولية لحقــوق الإنسان، والقيام بأنشطة بحثية، ودعويــة عبر توظيف مختلف الآليات الوطنية والإقليمية والدولية، وتعليم حقوق الإنسان مع التركيز بشكل خاص على الشباب، وبناء القدرات المهنية للمدافعين عــن حقوق الإنسان. ومنذ تأسيسه يقوم المركز بشكل منتظم بنشر كتب و دوريات تتناول قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية في العالم العربي.

يسعــى مركز القاهرة إلى المساهمة في إلقاء الضوء على أبرز المشكلات والقضايا الحقوقية الملحة في الدول العربية، والتنسيق مع مختلف الأطراف المعنية والمنظمات غير الحكومية في المنطقة ، والعمــل سوياً من أجل رفع الوعي العام بهذه القضايا ومحاولة التوصل إلى حلول وبدائل تتوافق مع القانون الدولي لحقوق الإنسان.

يتمتــع المركز بوضع استشاري خاص في المجلس الاقتصــادي والاجتماعي بالأمم المتحدة، وصفــة المراقب في اللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعــوب. المركز عضو في الشبكة الأوروبية المتوسطيــة لحقــوق الإنسان، والشبكــة الدولية لتبــادل المعلومات حول حرية الــرأي والتعبير (ايفكس).

رئيس مجلس الإدارة

كمال جندوبي

المدير

بهي الدين حسن

نائب المدير

زياد عبد التواب

المحتويات

مقدمة	٧
التمهيد للمحاكمة	٧١
المحاكمة	٩١
الجزء الثانى من المحاكمة	١١٣
قرارات مكتب البريد	١١٧
الاستئناف والحكم أمام المحكمة الفيدرالية	١٢٣
مصلحة الجمارك تفرض الرقابة على رواية "الغداء العارى" والقضاء يقرر بطلان حظرها	١٣١
ظروف وملابسات تأليف رواية "الغداء العارى"	١٣٩
دار نشر جروف بريس تقدم على نشر رواية "الغداء العارى"	١٥٧
مؤتمر الأدباء فى أدنبره باسكتلندا	١٦٥
كيف استقبل النقاد رواية "الغداء العارى"	١٧١
حظر رواية "الغداء العارى" فى مدينة بوسطن وتقديمها إلى المحاكمة:	١٧٩
اليوم الأول من المحاكمة	١٨٥
اليوم الثانى للمحاكمة وحظر الرواية فى بوسطن	٢١١
حظر رواية "الغداء العارى" فى لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا	٢٢٩
رواية "الغداء العارى" بعد عام ١٩٦٦	٢٣٧
المراجع	٢٣٩

مقدمة

حول الرقابة على الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية

أنتوني كومستوك (١٨٤٤ – ١٩١٥)

يخطئ المرء إذا ظن أن عنت "أنتوني كومستوك" نشأ من فراغ، فشراسته غير الطبيعية في مكافحة الأدب المكشوف وجدت صدى هائلا في نفوس عدد غير قليل من الناس. ولعله من المفيد أن أتناول الضغوط التي تعرضت لها طائفة كبيرة من المؤلفات الأمريكية وغير الأمريكية بسبب التزمت البيوريتاني الذي ساد جانبا كبيرا من الحياة الأمريكية في القرن التاسع عشر، وخاصة في النصف الثاني منه؛ بسبب الإرهاب الفكري الذي فرضه كومستوك على المثقفين الأمريكان. فقد اعتبر البعض منهم كتاب "الرجال والنساء" (١٨٦٤) لروبرت براوننج كتابا منافيا للأخلاق. ولعلنا نذكر أن الشرطة داهمت المكتب الذي يعمل فيه الأديب والت ويتمان، بحثا عن نسخة من كتابه "أوراق الحشائش" (١٨٥٥) وتعللت ببذاءة الكتاب لطرده من وظيفته، كما ألصق البعض تهمة البذاءة برواية "الحرف القرمزي" (١٨٥٠) لهوثورن و"هاكلبري فين" (١٨٤٤) لمارك توين، بل إن الجمود الفكري عند البروتستانت البيورتانيين تجاوز الحدود عندما اقترح بعضهم تطهير رسائل

اللورد تشستر فيلد (وهي من عيون الأدب الإنجليزي الكلاسيكي) الموجهة إلى ابنه في الصفحات التي تتناول علاقة الرجل بالمرأة بشكل صريح، ولكن هذا التشدد البيوريتاني على أي حال لم يمنع سعي الناس إلى قراءة الروايات التي تعالج الجنس بجرأة بل إن إحدى الروايات الأمريكية المنشورة في تلك الفترة لم تجد غضاضة في إنجاب الأطفال خارج نظام الزواج.

بدأ كومستوك حياته بالعمل في سلك الرقابة، ثم أصبح عضوا بارزا في جمعية الشبان المسيحيين. وإليه يرجع الفضل في تأسيس جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة التي خرجت من عباءتها جمعية أخرى للهدف نفسه تولى رئاستها القسيس ج. فرانكلين تشاس. وأخيرا عينته مصلحة البريد مندوبا خاصا لها، وأسندت إليه مهمة تنفيذ القوانين الخاصة بالبذاءة. وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاته عام ١٩١٥. وتتلخص حملته الضارية ضد أدب الجنس في هذا الشعار:"نعم للأخلاق ولا للأدب أو الفن" وهي دعوة بادية السذاجة والسخافة معا. وبسبب قساوة قلبه نراه يفخر بأنه دفع العديد من ضحاياه إلى الانتحار. ففي عام ١٨٧٤ استطاع الوقيعة بامرأة عجوز، تعرف باسم مدام ريستل تخصصت في استخدام وسائل منع الحمل وإجراء عمليات الإجهاض وفضلت هذه المرأة العجوز أن تواجه الانتحار على أن تواجه المحاكم. يقول كومستوك في هذا الصدد مفاخرا: أن ترتيب هذه المرأة "الخامس عشر" في قائمة المنتحرين تحت وطأة سياطه الداعية إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق. كما أنه قدم إلى المحاكمة بتهمة البذاءة ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص، اتضح أن تسعين في المائة منهم أبرياء. وهو مسئول عن تدمير أكثر من مائة وستين طنا من المطبوعات البذيئة، وأكثر من ثمانية عشر ألف رطل من قوالب الرصاص المستخدمة في الطباعة، ونحو أربعة ملايين صورة فاضحة، وسبعة عشر ألف نيجاتيف لطبع هذه الصور، وكان كومستوك يتبع أسلوبا ماكرا وخبيثا للوقيعة بضحاياه فقد كان يكتب خطابات مزورة لتجار الكتب الذين يشتبه فيهم، تعبر عن عظيم اهتمامه بكتبه وبرغبته في اقتناء بعضها. وبمجرد أن ينجح في شراء النسخ المطلوبة يتزعم حملة يقودها بنفسه لمداهمة المكتبات التي تبيعها، وهي في حالة تلبس. ثم يقوم برفع الأمر إلى القضاء، بل إن نفوذه فاق في كثير من الأحيان نفوذ القضاة.

وفي عام ١٩٠٥ هاجم كومستوك مسرحية برناردشو عن البغاء "مهمة المسز وارين"، ونعتها بالقذارة، فانتقم منه شو بأن صاغ عنه كلمة جديدة هي "الكومستوكية" التي دخلت قاموس اللغة الأنجلو-أمريكية. وبسبب هجوم كومستوك على هذه المسرحية ازدادت رغبة

الجمهور في مشاهدتها، واصطفوا في طوابير طويلة أملا في حجز مكان في المسرح الذي يقدمها. وكعادته سخر شو من كومستوك بقوله: "إن الكومستوكية هي النكتة الباقية التي يطلقها العالم على حساب الولايات المتحدة".

اعتبر كومستوك نفسه مبعوث العناية الإلهية الذي جاء لتطهير العالم من الفساد وأوشاب الجنس. ويقال إن هوس هذا الرجل بالجنس مرجعه أن صديقا له زاغ وفسد وداهمه المرض؛ بسبب انحرافه في تيار الملذات. ونبهت الكومستوكية أذهان الناس إلى ما يعتبره البعض بذاءات في رواية "ثلاثة أسابيع" لإلينور جلين، الأمر الذي أدى إلى قيام بعض الولايات الأمريكية بحظرها ومنع إرسالها عن طريق البريد. ويمكن القول إن الإرهاب الفكري والديني الذي فرضه كومستوك على الحياة الأمريكية استمر لفترة بلغت ثلاثة أرباع قرن. ولكن نجم الكومستوكية بدأ في الأفول نحو عام ١٩٢٠، وأخذ في الانقشاع نحو عام ١٩٣٠. ففي عام ١٩٢٠ قدم كتاب "جرجين" الذي ألفه جيمس برانش كابل إلى ساحة القضاء، ولكن القاضي نوت الذي نظر في أمره استطاع أن يقنع هيئة المحلفين في ولاية نيويورك ببراءة هذا الكتاب من تهمة البذاءة؛ الأمر الذي يعتبر انتكاسة للكومستوكية: وحتى نتبين مقدار سطوة الرجل الذي عينه الرئيس الأمريكي ويلسون ليمثل الولايات المتحدة في مؤتمر الطهارة الدولي المنعقد في معرض سان فرانسيسكو نقول إن نفوذه الشخصي كان يفوق نفوذ القانون. فقد كان يكفي أن يصدر كومستوك وأعوانه من أمثال القس ج. فرانكلين تشاس رئيس جمعية بوسطن لمحاربة الرذيلة تعليماتهم للناشرين بالامتناع عن نشر بعض الكتب حتى يرضخ هؤلاء الناشرون لهذه التعليمات دون تعقيب أو اعتراض. وكانت هذه الطريقة غير الرسمية في محاربة الأدب المكشوف أكثر نجاحا وسرعة من اتخاذ الإجراءات القانونية البطيئة والمعطلة. وفي كثير من الأحيان كانت الكتب التي يحظرها كومستوك وأتباعه مصرحا ببيعها وتداولها من قبل مصلحة البريد والجهات الرقابية الرسمية الأخرى.

وخلال فترة الإرهاب الذي فرضه كومستوك وخلفه تشاس على الحياة الأمريكية شاهدت بوسطن أكثر من غيرها من المدن الأمريكية اضطهادا واسع النطاق للمؤلفات الأمريكية وغير الأمريكية، فقد شملت قائمة الحظر الكتب التالية:"المرجانتري" لسنكلير لويس، و"أنتيك هاي" لأولدوس هكسلي، و"الزيت" لأبتون سنكلير، و"التراجيديا الأمريكية" لثيودور درايزر و"الشمس تشرق أيضا" لارنست همنجواي، و"عالم وليم كليسولد" تأليف ه. ج. ويلز، و"شبان عشاق" لمايكل آرلين، و"السماوات السود" لكارل فان فيتشتين، و"القوة"

لليون فيختوانجر، و"النقل لمانهاتن" لجون دوس باسوس، و"الضحك الأسود" لشيروود أندرسون، و"الحياة الخاصة لهيلين في طروادة" لجون أرسكين. ومعظمها كما أسلفنا كتب مسموح بها من قبل الرقابة الرسمية ويمكن لأي مواطن أمريكي أن يحصل عليها بالمراسلة عن طريق مصلحة البريد.

ويتمثل أعظم إنجاز حققه كومستوك في حياته في أنه تمكن عام ١٨٧٣ بمساعدة بعض الأشخاص أمثال صامويل كولجيت وج. ب. روكفلر من تعبئة الرأي العام داخل الكونجرس الأمريكي من أجل إصدار قانون فيدرالي، يقضي بفرض رقابة البريد الحظر على "أي كتاب أو كتيب أو صورة أو صحيفة أو رسالة مكتوبة أو مطبوعة أو أي نوع من أنواع المطبوعات المتسمة بالبذاءة أو التهتك أو الشهوانية أو القذارة"، غير أن انتكاسة عابرة اعترضت طريق كومتسوك عندما اختلف مع أعوانه في جمعية الشبان المسيحيين التي سرعان ما تركها ليستبدلها بجمعية أخرى، يبسط فيها نفوذه هي جمعية مكافحة الرذيلة.

وبعد أن نجح كومستوك في حملته الرامية إلى تطهير الولايات المتحدة الأمريكية من مباذل الأدب المكشوف بدأ إعجاب الناس به يتلاشى تدريجيا، وأصبح في نظر الكثيرين رمزا لضيق الأفق والقسوة والتعصب الذميم. وبعد أن أفلح في استئصال شأفة الأدب المكشوف من البلاد اختار كومستوك أهدافا جديدة، يسعى إلى تحقيقها فصب جام غضبه على أوراق اليانصيب وأدعياء الطب، ثم سعى إلى الانقضاض على أصحاب الفكر الحر والاشتراكيين والليبراليين. والجدير بالذكر أن حربه ضد الإجهاض لم تصب ما أصابته حملته ضد الأدب المكشوف من نجاح. ورغم أن كومستوك فقد سحره وشعبيته في أواخر أيامه، فإن أحدا لم يجرؤ على مهاجمته بشكل علني، باستثناء قلة من المثقفين أمثال د. م. بنيت المفكر الليبرالي صاحب مجلة "الباحث عن الحقيقة". تجرأ بنيت وهاجم كومستوك الذي تمكن من إلقاء غريمه في السجن لفترة ثلاثة عشر شهرا، ولكن كومستوك بدأ يفقد هيبته، وأصبح مضغة الأفواه بسبب هجومه الذي لا معنى أو مبرر له على الفن والفنانين والمتاحف الفنية، وزعمه أن الأخلاق تفوق الفن وتعلو عليه. وعندما حاول عام ١٩١٢أن يستصدر قرارا بحظر مجلة "صباح شهر سبتمبر" التي يصدرها بول تشاباس؛ لأنها نشرت صورة امرأة عارية مني بالفشل وازداد الإقبال زيادة هائلة على هذه المجلة.

وفي أواخر أيامه شن كومستوك هجوما على كل من هافيلوك أليس ومارجريت سانجر التي أدركت بحلول عام ١٩١٢ الضرر البالغ الذي تعانى منه الطبقات الفقيرة؛ بسبب

حرمانها من استخدام وسائل منع الحمل؛ ومن ثم دعت هذه المرأة إلى ضرورة حصول الطبقات الدنيا على المعلومات الخاصة بمنع الحمل. وسافرت مارجريت سانجر من أمريكا إلى باريس كي يتوفر لها أحدث المعلومات في هذا الموضوع حتى يفيد بنو جلدتها منها. وكتبت هذه السيدة كتابا بعنوان "حربي من أجل تحديد النسل" جاء فيه أن أنتوني كومستوك مسئول عن تدمير حياة آلاف النساء وبطريق غير مباشر عن وفاة عدد غفير من الناس. فقد أدت حملته الناجحة في الكونجرس الأمريكي بتحريم وسائل منع الحمل إلى تعرض آلاف النساء للموت بسبب الإجهاض. ولهذا دعت بنات حواء إلى شق عصا الطاعة على كومستوك عدو المرأة رقم واحد. وفي عام ١٩١٤ نجح كومستوك وأعوانه في إصدار أمر من المحاكم الفيدرالية بمنع بحثها "المرأة المتمردة" من التداول عن طريق مصلحة البريد. وفي الوقت نفسه نشرت مارجريت سانجر كتيبا بعنوان "تحديد الأسرة" كتبته بأسلوب بسيط وناصع، وضمنته كل المعلومات والنصائح العملية التي استقتها من فرنسا؛ رغبة منها في أن تستوعبه نساء الطبقة العاملة في أمريكا، ولكن أعداءها استطاعوا إذلالها فقد حكمت إحدى المحاكم بإدانة كتابها "المرأة المتمردة" بسبب بعض المقالات المنشورة فيه، الأمر الذي اضطرها إلى مغادرة البلاد في أكتوبر ١٩١٤. وفي ديسمبر من العام نفسه أرسل كومستوك رجلا من طرفه إلى المستر سانجر ادعى أنه من معارف زوجته/ وأنه يريد الحصول على نسخة من كتابه الصغير عن "تحديد الأسرة" وصدقه الزوج، وبسلامة نية أعطاه نسخة من الكتاب المطلوب. ولم يمض وقت يذكر حتى عاد الرسول الذي أوفده كومستوك ليشترك بنفسه في إلقاء القبض على سانجر، وتقديمه إلى المحاكمة في سبتمبر ١٩١٥، وأغرته المحكمة بإطلاق سراحه إذا أبلغها بمكان زوجته، ورفض سانجر هذا العرض كما رفض أن يدفع الغرامة التي فرضتها المحكمة عليه، وفضل أن يذهب إلى السجن على أن يدفع غرامة ليس مقتنعا بها. وحضر كومستوك محاكمة سانجر وشهد ضده؛ ولكنه أصيب بنزلة برد شديدة كانت السبب في وفاته. وأخيرا عادت مارجريت من تلقاء نفسها إلى الولايات المتحدة لتمثل أمام القضاء الذي قرر أن يطلق سراحها بسبب صرف الحكومة النظر عن ملفها، وفي طريق عودتها إلى بلادها مرت مارجريت على إنجلترا حيث زارت الرائدة النسائية الإنجليزية المعروفة بدفاعها عن منع الحمل "ماري ستوبس".

جون س. سمر

بعد وفاة أنتوني كومستوك خلفه جون س. سمر كسكرتير لجمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة. ولكن شخصيته لم تكن بنفس قوة شخصية سلفه، كما بدأ المناخ الفكري الأمريكي في التغير بشكل ملحوظ. ولم ينجح جون سمر مثلما نجح سلفه كومستوك في قمع عيون الأدب الجاد. وتمثلت ذروة فشله في أوائل عام ١٩١٧ عندما أقام دعوى فاشلة ضد تاجر كتب؛ لأنه باع الترجمة الإنجليزية لكتاب جوتييه "المدموازيل دي موبان". ولم تكتف هيئة المحلفين بتبرئة هذا التاجر بل حكمت له بالتعويض، ثم جاءت المحكمة العليا في ولاية نيويورك لتؤيد هذا الحكم. غير أن جون سمر أصاب شيئا من النجاح في الحملة التي قادها ضد المجلد الثاني من كتاب فرانك هاريس "حياتي وغرامياتي"، فقد تمكن من مصادرة آلاف النسخ المطبوعة من هذا الكتاب، وإنزال العقاب بوكيل هاريس الأدبي في نيويورك. ولكنه مني بالفشل الذريع عندما سعى إلى حظر كتب أدبية لها قيمتها مثل أعمال جوستاف فلوبيرت وأندريه جيد. بل إن إخفاقه كان مروعا عندما فشل في إقناع المحاكم الأمريكية بمصادرة رواية "بئر الوحشة" التي سبق حظرها في بعض الولايات، كما أخفق في مصادرة كتب أخرى مثل ترجمة الكتاب الذي ألفه لويس تشارلس روبيه بعنوان "دعونا نتحرك ونحن عرايا" وهو كتاب يدافع عن فوائد مذهب العري. وكتاب أرسكين كولدويل "فدان الله الصغير" الذي ألغى قاضي مدينة نيويورك بنيامين جرينسبان الدعوى المقامة ضد ناشريه الأمريكان.

التزمت يسود بوسطن وماساشوستس:

على الرغم من جو السماحة العامة الذي بدأ ينتشر في ربوع أمريكا فقد ظلت مدينة بوسطن حصنا منيعا/ يحتمي فيه تزمت الكومستوكية حتى عام ١٩٢٩. ففي ذلك العام استمر الحظر مفروضا على قائمة تتكون من أكثر من ستين كتابا، منها "الرجل المنحرف" لسانت جون ارفين، و"ما أعتقده" لبرتراند راسل، و"الزيت" لأبتون سنكلير، و"من الإنسان إلى الإنسان" لأوليف سكرنير و"القوة" لليون فيوختر انجر، و"الشفق" للكونت كيسبرلنج، و"عالم وليم كلبسولد" تأليف هـ. ج. ويلز و"العذراء القوية الشكيمة" لفرانسيس نيومان، و"المرجانتري" لسنكلير لويس و"يوم الحشر" لوارويك ديبنج، و"الشمس تشرق أيضا" لأرنست همنجواي.

وفي العام التالي (١٩٣٠) أيدت محكمة ماساشوستس الحكم بإدانة دونالد س فريد لبيعه رواية "التراجيديا الأمريكية" لثيودور درايزر (وهو المؤلف نفسه الذي سبق للرقابة أن منعت تداول روايته "العبقري" عام ١٩١٦ للحفاظ على مكارم الأخلاق).

وفي الوقت نفسه تمت إدانة تاجر كتب آخر كان يتمتع بسمعة طيبة لضبطه متلبسا ببيع نسخة من رواية د. هـ. لورانس" عشيق الليدي تشاترلي " لعميل أوفدته خصيصا لهذا الغرض جمعية نيو انجلند في بوسطن استنكرت الطريقة التي حصل بها المدعي على نسخة من الكتاب المشار إليه. ودافع جون سمر عن أسلوب الوقيعة بهذه الضحية في الشراك بقوله إنه ترامى إلى سمعه أن المتهم يبيع رواية لورانس إلى أساتذة جامعة هارفارد. وكانت محاكمات بوسطن سببا في اهتمام الرأي العام بقانون البذاءة كما هو مطبق في ولاية ماساشوستس. وقد تغيرت صياغة هذا القانون تحت ضغط الطبقة المثقفة، فبعد أن كان القانون يجرم بيع أي كتاب "يشتمل على لغة بذيئة وغير مهذبة" أصبح القانون يجرم بيع "أي كتاب بذيء وغير مهذب" ومعنى هذا التغيير أن هذا القانون الأمريكي أصبح يجرم الكتاب إذا كان بذيئا في مجمله، وليس في أجزائه.

التزمت يسود نيويورك أيضا:

مما يدعو إلى الدهشة والاستغراب أن معظم القضايا المرفوعة ضد الأدب المكشوف في أمريكا انحصرت في ولايتي ماساشوستس، ونيويورك. ومما يذكر أن أول حكم بالإدانة في قضايا الأدب المكشوف في الولايات المتحدة كان عام ١٨٢١، وكانت التهمة الموجهة ضد المتهم أنه باع كتابا بذيئا بعنوان "مذكرات امرأة متعة" التي سبقت الإشارة إليها في موضع آخر. وفي التسعينيات من القرن التاسع عشر تم تقديم آخرين إلى المحاكمة بتهمة بيع كتاب بوكاشيو المعروف "الديكاميرون"؛ غير أن القاضي الأمريكي المكلف بنظر هذه القضية الأخيرة أصدر حكما يتسم بالليبرالية والتحرر مفاده أن الديكاميرون كتاب معروف لكل دارسي الأدب سطره مؤلفه في وقت سابق على اختراع الطباعة، أي في زمن سادت فيه الأمية. ومن ثم فإن انتشار الكتاب كان محدودا ولا يعقل أن مؤلفه قصد به إفساد أخلاق الشباب، الذي شجع كثيرا من القضاة الآخرين أن يتخذوا في كثير من الأحيان مواقف ليبرالية مشابهة إزاء التراث الأدبي القديم.

ولكن القضاء في ولاية ماساشوستس اختار طريق التشدد، واقتفى أثر القضاء الإنجليزي المتزمت عند النظر في قضية رواية "ثلاثة أسابيع" التي ألفتها اليانور جلين كما أسلفنا. واستخدم القاضي الأمريكي اللغة المتشددة نفسها التي سبق لرئيس القضاة الإنجليز اللورد كوكيرن أن استخدمها متهما رواية "ثلاثة أسابيع" بالفسق والانحلال والدعوة إلى الفساد. والجدير بالذكر أن أحد القضاة الإنجليز رفض أن يأخذ رواية الينور جلين مأخذ الجد. فعندما شكت هذه الكاتبة أن إحدى الشركات السينمائية سطت على روايتها، وأخرجت على أساسها فيلما سينمائيا تميز بالهزل والسخرية في الرواية رفض القاضي أن يحكم بحقها في الحصول على أي تعويض؛ بحجة أن روايتها مجرد لغو لا طائل منه ولا قيمة له، ولا تستحق المؤلفة أي حقوق تأليف عنها.

وتعتبر قضية المؤلف ثيودور درايزر التي سبق لنا الإشارة إليها من أهم القضايا الخاصة بالأدب المكشوف المنظورة أمام المحاكم في ماساشوستس. ففي عام ١٩٣٠ حكم قاضي إحدى محاكم هذه الولاية بأن رواية "التراجيديا الأمريكية" التي ألفها درايزر لا تصلح للبيع. واتبع القاضي أسلوبا غير عادي في نظر القضية، فقد أصر على فحص فصول الرواية موضع الاتهام منفصلة عن السياق العام الذي وردت فيه. وبدا هزل المحاكمة واضحا عندما قرر القاضي أن طول الرواية يقف عائقا أمام فحصها من قبل هيئة من المحلفين. فضلا عن أن هذا القاضي رفض عرض ملخص للرواية بزعم أن مثل هذا الملخص من شأنه أن يعكس عقلية القائم بالتلخيص. ولم يقبل محامي المتهم آرثر جارفيلد هايز أسلوب القاضي في تناول القضية وطريقة استدلاله على بذاءة الكتاب، واحتج بأن هذا الأسلوب يساوي بين أكثر القراء ذكاء وعلما وثقافة وبين أكثرهم جهلا وضحالة وانحطاطا، مشيرا بذلك إلى أن الأجزاء المنفصلة لا تصلح لأن تكون أساسا للحكم على العمل الأدبي ككل. وأيضا -كما أسلفنا- تعرضت رواية د. هـ. لورانس المعروفة "عشيق الليدي تشارلي" للمصادرة بسبب الضغوط التي مارستها جمعيات التقوى والصلاح البروتستانتية في أمريكا، والجدير بالذكر أن رجال القانون في ولاية ماساشوستس استنوا قانون العقوبات الذي يتضمن النص الخاص بالبذاءة عام ١٧١١، وأن هذا القانون مأخوذ أصلا من قانون العقوبات العام الإنجليزي. وبقدر ما كان هذا القانون الأمريكي بسيطا بقدر ما كان قاسيا، إذ كان بمثابة سيف مصلت على الإنتاج الأدبي، الأمر الذي دعا بعض المثقفين ورجال الفكر الأمريكان إلى السعي نحو التخفيف من شططه وغلوائه؛ ولكن نجاحهم في هذا الصدد كان محدودا للغاية.

أما في ولاية نيويورك فلم تكن الرقابة بنفس هذه الدرجة من السوء. فقد أظهرت محاكمها قدرا أكبر من السماحة مما أظهرته ولاية ماساشوستس، رغم أن ولاية نيويورك هي التي أنجبت البروتستانتي المتزمت والمهووس أنتوني كومستوك أكبر داعية للتشدد الأخلاقي في التاريخ الأمريكي كله. على أي حال اتسم القضاء في ولاية نيويورك بالسماحة أحيانا. ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر حكم أحد القضاة في هذه الولاية في عام ١٨٩٤ ببراءة مجموعة كبيرة من عيون الأدب القديم مثل "ألف ليلة وليلة" ورواية "توم جونز" لهنري فيلدنج، و"اعترافات جان جاك روسو"، و"حكايات عربية"، وقصة "علاء الدين"، وأعمال رابيليه، وقصيدة "فن الحب" لأوفيد وحكايات "الديكاميرون" لبوكاشيو و"الهيبتاميرون" لمرجريت ملكة نافار. وبوجه عام يمكن القول إن الرقابة في أمريكا أظهرت سماحة نحو نشر التراث الأدبي القديم أكثر مما أظهرت تجاه الأعمال الأدبية الحديثة والمعاصرة.

هذا وقد نظرت المحاكم في ولاية نيويورك قضية نصب واحتيال، استغل فيها المحتال قانون البذاءة ليتغلب على خصومه. فقد قامت نقابة سانت هيوبرت للنشر بنشر جميع أعمال فولتير في اثنين وأربعين مجلدا. وتعاقد تاجر مع هذه النقابة على شراء كمية كبيرة من كتبها المنشورة؛ ولكنه ماطل في دفع ما عليه فلما طالبه الناشرون بثمن الكتب رفض الدفع بزعم أن الكتب المبيعة له منافية للأخلاق. وللتدليل على صحة أقواله قدم المشتري للمحكمة نسخة من "القاموس الفلسفي" (١٧٦٤) لفولتير، ورواية "عذراء أورليانز" ولكن القاضي المستنير الذي نظر القضية رفض أن يأخذ بوجهة نظر هذا المحتال، وقال عن كتاب (القاموس الفلسفي):"إنه ليس مستودعا للسخرية والدعابة الذكية فحسب، بل إن هذا القاموس ترك أثرا عميقا في تطبيق القانون تطبيقا يتسم بالإنسانية والعقلانية". وعن عذراء أورليانز قال هذا القاضي الأمريكي المتفتح:"رغم أن بعض أشعار هذا الكتاب جارحة وخارجة من ناحية الذوق في وقتنا الراهن فإني لا أظن أنه يمكن اعتبار عقد الاتفاق على البيع غير قانوني لهذا السبب". وبلغت سماحة هذا القاضي ذروتها عندما قال:"ليس من واجب المحاكم أن تفرض الرقابة على الإنتاج الأدبي".

وتعتبر هذه السماحة تطورا ملحوظا طرأ على تطبيق المحاكم الأمريكية لقوانين البذاءة؛ ففي عام ١٩١٨ شرعت شركة جون لين للنشر في نشر رواية "العبقري" لتيودور درايزر التي سبق الإشارة إليها. فحذرتها جمعية مكافحة الرذيلة من مغبة الإقدام على هذا

العمل. وخشيت دار النشر المعاقبة فأحجمت عن المضي قدما في إجراءات النشر، الأمر الذي أثار ضيق المؤلف وحنقه. فقد سبق لناشر آخر أن فعل الشيء نفسه معه وذلك بعد أن اتفق معه على نشر باكورة أعماله وهي رواية بعنوان "الأخت كاري". وعز على درايزر ألا يظهر أول عمل له فأصر على أن يوفى الناشر دابلداي بالتزامه. وتحت ضغط المؤلف عليه قام هذا الناشر بطبع ألف نسخة من "الأخت كاري" دون أن يطرحها بالأسواق، الأمر الذي خلق لدى المؤلف إحساسا شديدا بخيبة الأمل. وخشى درايزر تكرر شركة جون لين نفس ما فعلته دار دابلداي للنشر فالتمس النصح والمشورة لدى مكتب قانوني في نيويورك. فنصحه المكتب بالتوصل إلى حل وسط مع شركة جون لين. وأراد ه. ل. ميكين (الذي سوف نعرض لآرائه في الرقابة بشيء من التفصيل فيما بعد) أن يقف بجانب درايزر في محنته فتطوع بجمع طائفة كبيرة من شهادات رجال الأدب بشأن خلو رواية "العبقري" من البذاءة. وانتظر الجميع بأعصاب مشدودة حكم القاضي في هذه القضية. غير أن القاضي كان من النوع الذي يؤثر السلامة والعافية وينتهج سياسة عدم تأليب مشاعر عامة الناس ضده. ولهذا نراه يتنصل من إصدار أي حكم بدعوى أن النظر في مثل هذا النوع من القضايا ليس من اختصاص المحاكم بل من اختصاص هيئة المحلفين؛ ومن ثم فلا داعي لإقحام آراء الأدباء والخبراء في هذا الموضوع.

ولم تقبل النساء في أمريكا القيود الخانقة التي فرضها كومستوك وأتباعه على المجتمع الأمريكي فأخذن يتمردن على هذا الإرهاب المفروض عليهن. ففي عام ١٩٠٦ أصدرت سيدة أمريكية اسمها كاري ناشن مجلة صغيرة بعنوان "هاتشيت" تضمنت معلومات جنسية وجهتها إلى أبنائها لإرشادهم والأخذ بيدهم. وصيغت هذه المعلومات بلغة علمية نظيفة وراقية. وهال الرجال أن تعيش بينهم امرأة تكتب في أمور الجنس فتضافروا عليها حتى نجحوا في الزج بها في السجن.

وساعد اندلاع الحرب العالمية الأولى الأدب على الالتزام بالواقعية؛ فالجنود يعبرون عن احتياجاتهم الفسيولوجية بصراحة أكثر من المواطنين المدنيين، وهذا واضح من الرواية التي كتبها المؤلف الألماني اريش ماريا ريمارك بعنوان "كل شيء هادئ في الميدان الغربي". ورغم أن هذه الرواية وجدت استجابة طيبة لدى القارئ الأمريكي فقد اقترح البعض على ناشر الرواية في بوسطن أن يستبعد منها فقرتين؛ خشية أن تتعرض للمصادرة. وتدور الفقرة الأولى المقترح استبعادها حول وصف الجنود وهم يقضون حاجتهم في العراء،

تحيطهم دورة من الخشب. أما الفقرة الثانية المقترح حظرها فتخبرنا عن رجل متقدم في السن يعالج في المستشفى لمدة عشرة شهور لم ير زوجته خلالها، فلما جاءت لزيارته تجمع زملاؤه المرضى في العنبر وتعمدوا أن يديروا وجوههم إلى الناحية الأخرى، حتى يعطوا الزوجين العجوزين فرصة لممارسة العملية الجنسية.

ويمكن القول إن معالجة الأدب الأمريكي للجنس بصراحة بدأت -كما أسلفنا- في العشرينيات من القرن العشرين... ورغم أن القوانين الأمريكية الخاصة بالبذاءة مثل قوانين الجمارك لعام ١٨٤٢ و١٨٩٠ ظلت على ما هي عليه؛ فإنها تحولت إلى مجرد حبر على ورق، إذ تعمد القضاة الأمريكيون تجاهلها وعدم الأخذ بها. والذي يدل على أن سطوة البيوريتانية الأمريكية بدأت تضمحل ان ه. ل. مينيكين استطاع عام ١٩٢٦ الحصول على عدد من نسخ مجلة "الأمريكان ميركيوري" من أسواق بوسطن بعد فرض الحظر عليها بسبب نشرها قصة مومس بعنوان "هاتراك". وشنت هذه المجلة على صفحاتها هجوما عنيفا على تجاوز جمعيات مكافحة الرذيلة حدودها. وقُدِّ هــ. ل. مينيكين إلى المحاكمة بتهمة حيازة المجلة المحظورة والإتجار فيها. ولكن القاضي الذي نظر القضية حكم ببراءته وبراءة المجلة من تهمة البذاءة. وهكذا أصبحت الكومستوكية في موقف الدفاع عن نفسها بعد أن كانت في موقف المهاجمة. فقد بدأت سطوة كومستوك والكومستوكية يعتريها الضعف حتى تلاشت في الثلاثينيات من القرن العشرين. والجدير في هذا الصدد أن نرجع بذاكرتنا إلى الوراء عندما كان أنتوني كومستوك في عنفوانه في مطلع حياته، يلقب نفسه "مقتلع الحشائش الضارة من حديقة الرب"، ويبدأ حملته الأخلاقية بتحطيم مخزن لبيع الخمور وكيف أنه استطاع آنذاك أن يشن حملة ضارية نجحت في القضاء على الأختين المتحررتين فكتوريا ودهول وتنيسي كالفين اللتين اشتركتا في تحرير مجلة "وودهول وكالفين" الأسبوعية واللتين نذرتا نفسيهما للدعوة إلى التحرر والدفاع عن حقوق المرأة والهجوم على التزمت البيوريتاني.

ويسجل المقال الذي نشره ه. ل. مينيكين بعنوان "الكومستوكية" في عام ١٩٢٠ اندحار الكومستوكية في نهاية الأمر. يقول مينيكين في هذا الصدد إنه لاحظ أن عدد الروايات التي تعالج الجنس بصراحة أصبحت أكثر عددا بكثير عن ذي قبل. ويضرب مثلا على ذلك بعمله في مراجعة الروايات في الصحف والمجلات. فأيام سطوة الكومستوكية كان يرى نفسه

مضطرا إلى عرض ما يكتب على جمعية الشبان المسيحيين، في حين أنه اليوم يعرض مقالاته على مستشار طبي إذا شاء استجلاء بعض النقاط فيها.

جورج برنارد شو يهاجم الرقابة:

في عام ١٩٣٤ كتب جورج برنارد شو مقالا بعنوان:"البيان المرفوض" جاء فيه أن السلطات البريطانية اعترضت على مسرحيتين من مسرحياته، الأمر الذي قلل من دخله، وأساء إلى سمعته. ويضيف شو: إن مسرحياته وجدت نجاحا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية وفي كثير من دول العالم باستثناء قلة من الدول من بينها النمسا التي حظرت تقديم إحدى كوميدياته لأسباب سياسية، فالمسرحية تشير إلى دور النمسا في الحرب البلغارية الصربية. وأردف شو قائلا: إن إحدى مسرحياته (إشارة إلى مهنة مسز وارين) حظرت في أمريكا، بسبب ما جلبه الحظر البريطاني من دعاية واسعة النطاق وإقبال كبير عليها من المشاهدين الأمريكان. ولكن محكمة الاستئناف في أمريكا ما لبثت أن سمحت بتمثيل هذه المسرحية، وقررت أنها مسرحية قانونية وأن مقصدها شريف، وبطريقته التهكمية المعتادة يصف شو نفسه بأن كاتب مسرحي متخصص في إنتاج المسرحيات المهرطقة وغير الأخلاقية، وأن سمعته مستمدة من كفاحه المستميت من أجمل حمل الجمهور على إعادة النظر في قيمه الأخلاقية. وقال شو: إنه يرفض الأخلاق السائدة في مجتمعه المتصلة بالاقتصاد والعلاقات الجنسية، لأنها أفكار فادحة ووخيمة في أضرارها. وهو لا يخفي مقته للأفكار الاجتماعية السائدة في الوقت الحاضر. ويعلن دون مواربة أنه يهدف عن عمد من وراء كتابة مسرحياته إلى تغيير أفكار أمته وإقناعها بسلامة وجهة نظره. وهذا هو الدافع الوحيد الذي يحفزه على الكتابة للمسرح، إذ أنه لا يعتمد في معاشه على المسرح. يقول شو متهكما في هذا الصدد:"لو أنني منعت من إنتاج مسرحيات لا أخلاقية ومهرطقة لتوقفت عن الكتابة للمسرح. إنني أذكر هذه الحقائق لأبين أنني أهتم اهتماما خاصا بحصولي بحكم المهنة على حقي في حرية التعبير والضمير التي تعتبر شيئا مفروغا من أمره في المهن الأخرى. إني أعترض على الرقابة، ليس فقط لأنها بصورتها القائمة تلحق أبلغ الأضرار وتعوقني شخصيا ولكني أعترض عليها لأسباب عامة". ويوضح شو رفضه للمبادئ الأخلاقية السائدة بقوله:

"إن كل ما يتعارض مع السلوك والعادات الاجتماعية المستقرة شيء غير أخلاقي. ولكن الفعل أو المذهب غير الأخلاقي ليس بالضرورة شيئا آثما... على العكس فكل تقدم في الفكر والسلوك بحكم تعريفه ينظر إليه على أنه مناف حتى ينجح في كسب أغلبية الناس إلى صفه. ولهذا فإنه من الأهمية بمكان أن نحمي بقوة وحماس أي دعوة مناهضة للأخلاق ضد من ليس لديهم أي معيار غير معيار العادات والتقاليد- أي ضد ما يعتبرونه أخلاقا، وهجوما على المجتمع والدين والفضيلة. والأخلاق العامة لا تستند إلى قوة الرقيب فحسب بل إلى قوة أعتى وأقوى من القانون نفسه هي قوة الرأي العام الذي يقترن بالخزعبلات والتحيز. هذا الرأي العام هو المسئول عما يقع على رواد الإنسانية من اضطهاد وعن سقوط الكثير من الشهداء. وهو أمر يقل في خطره عن ضرر أفدح يتمثل في عرقلة مسيرة التقدم والتنوير. ويرى شو أن الرقابة على المطبوعات العلمية لو كانت بنفس صرامة الرقابة على الأدب بوجه عام والمسرح بوجه خاص لاختفت من الوجود كتابات المنادين بنظرية التطور في الفترة بين ١٧٩٠ و١٨٣٠، ولاختفت معها كتب داروين ووالاس وتندال وسبنسر وكارليل ورسكين وصامويل بتلر لما تتضمنه من هرطقة واضحة ومجافاة للأخلاق العامة، وجميع هذه الكتب في قائمة المحظورات بالنسبة للكنيستين الرومانية واليونانية، بل لاختفى جاليليو والزعيم الديني البروتستانتي المعروف مارتن لوثر الذي لم يكتف بأن يتزوج وهو القسيس فحسب بل تزوج من راهبة. ولو تمهل دعاة الجمود والرافضون للتجديد لأدركوا أن التاريخ الإنساني دائم التجدد، ولا يثبت مطلقا على حاله القديم فلو أنه فعل ذلك لما أمكن للدين المسيحي أو الإسلامي بأفكارهما الجديدة أن يظهرا. والفرد العادي تغيب عن باله هذه الحقيقة لأنه لا يؤمن بأي أفكار جديدة إلا بعد أن ترسخ وتشيع بين الناس أي بعد أن تتحول إلى أخلاق عامة؛ ولهذا فإنه يجب على زعماء الأمة السياسيين والدينيين أن يغرسوا مبادئ التسامح في نفوس شعوبهم.

مصلحة الجمارك تخفف قيود الرقابة عام ١٩٣٠:

في عام ١٩٣٠ خففت مصلحة الجمارك الأمريكية القيود الرقابية المفروضة على نقل الكتب والمطبوعات. فقبل ذلك العام اتبعت هذه المصلحة سياسة واضحة التعسف في قمع المطبوعات المتهمة بالبذاءة. فقد كان يكفي لمصادرة أي كتاب أن يحكم عليه موظفو الجمارك بالبذاءة. وقام هؤلاء الموظفون باستبعاد مؤلفات أرستوفانيس وديفو وبترونيوس

ورابيليه وبوكاشيو وبلزاك وروسو وكازانوفا وفولتير. بل إن هؤلاء الموظفين لم يتورعوا عن مصادرة بعض الكتب العلمية ذات السمعة العالمية. غير أن الطبقات المثقفة والواعية في أمريكا شجبت هذا الأسلوب المتعسف في حظر الكتب، الأمر الذي أدى إلى تعديل قانون الجمارك الأمريكي عام ١٩٣٠، فقد كان من حق موظف الجمارك قبل ذلك التاريخ مصادرة أي كتاب دون تقديمه إلى المحاكمة، وكان من حق المواطن المتضرر من خطر الكتاب – وكان في العادة ثريا وصاحب نفوذ – أن يرفع دعوى ضد هذا الخطر، ثم أصبح واجب الحكومة يحتم عليها القيام برفع الدعوى ضد الكتاب المرفوض بنفسها. وأعطى تعديل القانون في عام ١٩٣٠ الحق لوزير الخزانة في استخدام حصافته في التصريح بتداول الكلاسيكيات ذات القيمة الأدبية أو العلمية حتى ولو كانت بذيئة. ونتيجة لهذا التعديل ألغت مصلحة الجمارك الحظر على أعمال فولتير ورابيليه وبوكاشيو وغيرهم. ولكن هذا التحسن الملموس لم يمنع رجال الجمارك في أمريكا من ارتكاب الأخطاء والحماقات من آن لآخر.

وحتى نتبين مقدار التحسن الذي طرأ على الرقابة بعد عام ١٩٣٠ يجدر بنا أن نعود بالذاكرة إلى حالة أمريكا في مطلع القرن العشرين،ففي عام ١٩١٨ قامت الباحثة الاجتماعية ماري وير دينيت بتوفير المعلومات الجنسية كي يستفيد ويتعلم منها ولداها؛ ثم نشرت هذه المادة في "المجلة الطبية" وتحمست لها هذه المجلة لدرجة أنها أعادت نشرها في كتيب مستقل "الجانب الجنسي من الحياة: شروح للشباب". وفي عام ١٩٢٢ أعلنت مصلحة البريد أن هذا الكتاب بذئ، ولا يصلح للنقل والتداول. وفي عام ١٩٢٨ أمسكت مصلحة البريد بتلابيب هذه المؤلفة، واتهمتها بإرسال الكتاب المذكور بالبريد مخالفة بذلك تعليمات المصلحة. وانتهى الأمر بعرض الموضوع عام ١٩٢٩ على المسئولين الذين أدانوها. غير أنها استأنفت ضد الحكم بالإدانة، وتمكنت في العام التالي (١٩٣٠) من إلغاء الاتهام.

وفي أبريل ١٩٣٠ أمر القاضي الفيدرالي المستنير وولسي (الذي ارتبط اسمه بتبرئة رواية "يولسيس" لجيمس جويس من تهمة البذاءة) برفع الحظر عن كتاب ماري ستوبس "حب الأزواج" كما أنه قرر في العام التالي (١٩٣١) أن كتابها "منع الحمل" يخلو من البذاءة.

اتجاهات رئيسة للرقابة

لعل أهم الأسباب التي حفزت الجنس البشري إلى فرض الحظر على الكتب، كان الدين في المقام الأول، ثم السياسة في المقام الثاني؛ يليهما الجنس في المقام الثالث، ولكن هذا الترتيب تغير بمرور الزمن، فنحن نلاحظ أن الرقابة في العالم تركزت على السياسة أكثر من انشغالها بالدين والجنس. ولكن هذا ينطبق على العالم الغربي أكثر مما ينطبق على البلاد الشرقية والعربية حيث إنها لا تزال مشغولة بأمور الدين والجنس معا.

ولعل أفضل مثل على غلبة الرقابة السياسية على الرقابة الدينية في العصر الحديث ما حدث في الاتحاد السوفيتي إبان الفترة البلشفية، وما حدث في ألمانيا إبان الفترة النازية.

صحيح أن الإمبراطور الروماني أغسطوس نفى الشاعر الروماني الماجن أوفيد (٤٣ ق. م – ١٨ م) بسبب قصيدته الفاحشة "في الحب" التي تصف أنواع المضاجعة. ولكن بمجئ المسيحية أصبح شغل الكنيسة الكاثوليكية الشاغل هو الرقابة على ما يطالعه أتباعها. ففي عام ١٥١٥ أقر مجمع لاتيران Lateran Council سياسة حظر الكتابات التي لا تروق للكنيسة؛ ثم انعقد مجلس ترنت Trent Council في عام ١٥٤٦ لمنع قراءة أي كتب مجهولة المنشأ. والجدير بالذكر أن البابا بول الرابع (١٤٧٦ – ١٥٥٩) كان أول من اعتمد قائمة لحظر الكتب عام ١٥٥٧. وظلت قائمة الكتب المحظورة index Librorum Prohibitorun التي نجد أن الكنيسة الكاثوليكية تصدرها بين الحين والآخر حتى عام ١٩٤٨. وهذه الطبعة تحتوي على أربعة آلاف عنوان محظور. ويضم هذا الفهرس عددا هائلا من عيون الأدب والفن والفكر الغربي. والجدير بالذكر أن الكنيسة توقفت عن نشر فهرس الكتب المحظورة في عام ١٩٦٦.

وفي العصر الحديث بدأ حظر الكتب السياسية في الغرب يطغي على حظر الكتب الدينية. حدث هذا في الاتحاد السوفيتي عقب نجاح الثورة البلشفية في عام ١٩١٧، وكذلك في ألمانيا النازية والبلاد التي نجحت في غزوها؛ ففي يوم ١٠ مايو ١٩٣٣ نظم الطلبة الألمان النازيون مظاهرة حاشدة، وجمعوا ٢٥ ألف كتاب من تأليف اليهود، وقاموا بإحراقها في الميدان المقابل لجامعة برلين.

وكان هؤلاء الطلبة يقتحمون مكتبات بيع الكتب، ويغتصبون الكتب التي يرون أنها تستحق الإلقاء في النار. وهي كتب ألفها كبار الكتاب والشخصيات أمثال ماكسيم جوركي

واستيفان زفايج وكارل ماركس وسيجموند فرويد وجاك لندن وإرنست همنجواي وجون دوس باسوس وفلاديمير لينين وجوزيف ستالين وجريجوري س. زينوفييف وألفريد آدلر وليون تروتسكي وليسنج وتوماس مان وهاين وآبتون سنكلير.

واستمرت هذه السياسة النازية في حرق الكتب حتى نشوب الحرب العالمية الثانية. ففي عام ١٩٣٨ (أي قبل اندلاع هذه الحرب بعام واحد) قام النازيون بإجراء تطهير ثقافي في النمسا، وأرغموا بائعي الكتب هناك على التخلص من الكتب التي يعترضون عليها. وعلمت الولايات المتحدة بأمر هذا التطهير الثقافي فأرسلت الجامعات الأمريكية وبعض الأفراد الأمريكان يعرضون شراء الكتب المعترض عليها بدلا من تدميرها.

وفي مدينة سالزبورج بالنمسا اجتمع خمسة عشر ألف شخص لمشاهدة حرق ألفي مجلة، تحتوي على كتابات يهودية وكاثوليكية. حدث هذا برعاية جمعية المعلمين النازية التي بشرت الألمان بقرب حرق وتدمير ثلاثين ألف كتاب آخر. والشيء نفسه حدث على يد النازيين عام ١٩٣٣ في ليبزج وتشيكوسلوفاكيا الواقعة تحت السيطرة النازية. ومما زاد الطينة بلة أن كثيرا من الكتب القيمة تعرضت للتدمير نتيجة غارات الحلفاء على المواقع الألمانية؛ واستمرت عملية تدمير الكتب في ألمانيا حتى بعد تقسيمها إلى ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥، ففي عام ١٩٥٣ قامت ألمانيا الشرقية بالتخلص مما لا يقل عن خمسة ملايين كتاب.

ومعنى هذا أن كلا من النازية والشيوعية مارستا سياسة التخلص من الكتب على أوسع نطاق. حتى أمريكا زعيمة العالم الحر لم تسلم من هذه اللوثة الثقافية في فترة الحرب الباردة التي احتدمت بين روسيا والغرب عقب إنهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، ووصلت إلى ذروتها في عهد جوزيف مكارثي. ففي عام ١٩٥٣ تعالت صرخات المثقفين الأمريكان مما اعتبروه مذبحة الكتب التي تمت في مكتبات ما يقرب من مركز ثقافي أمريكي تابع لوكالة الاستعلامات الأمريكية المعروفة اختصارا USIA. هذه المراكز الثقافية الأمريكية احتوت على أكثر من مليوني كتاب، ويزورها سنويا ستة وثلاثون مليون شخص. وكان الهدف من إنشاء هذه المراكز الثقافية تعريف جميع الجنسيات بالحياة الأمريكية عن طريق الكتب والدوريات والنشرات.

وفي باكورة عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس النواب الأمريكي لجنة فرعية برئاسة السيناتور جوزيف مكارثي لفحص أنشطة إدارة الاستعلامات الدولية التابعة لوزارة الخارجية

الأمريكية التي أصدرت مجموعة من التوجيهات غيرالمتسقة، فسرتها على أكثر من محمل المراكز الثقافية الأمريكية المنتشرة في مختلف عواصم العالم، الأمر الذي انتقص من هيبة الولايات المتحدة في الخارج. وفي ذلك الوقت قام اثنان من الموظفين التابعين للسيناتور مكارثي هما روي كوهن Roy Cohn ودافيد سكين David Schine بدراسة سريعة لمكاتب الاستعلامات الأمريكية في الخارج. وقام هذان الموظفان بزيارة سبع دول أوربية في رحلة استغرقت ثمانية عشر يوما وانتهيا إلى نتيجة مفادها أن هذه المراكز الثقافية الأمريكية تضم ثلاثين ألف كتاب لمؤلفين يناصرون المذهب الشيوعي. ولم تكن هذه المعلومات دقيقة حيث إن عدد الكتب اليسارية كان أقل من هذا بكثير.

ويقال إن المراكز الثقافية الأمريكية سحبت من رفوف مكتباتها كتبا من تأليف أكثر من أربعين مؤلفا. وحدث جدال حامي الوطيس حول طبيعة الكتب التي ينبغي على مكتبات هيئات الاستعلامات الأمريكية الاحتفاظ بها في مختلف دول العالم. وانتهى النقاش الذي بلغ ذروته في يوليه عام ١٩٥٣ إلى أن السياسة التي يجب على وزارة الخارجية الأمريكية اتباعها تتلخص في انتقاء الكتب التي تمثل الحياة والثقافة الأمريكيتين، وبناء عليه تم استبعاد كتب ثمانية مؤلفين معروفين بميولهم الشيوعية وحظرها حظرا تاما. وأيضا قرر المسئولون تعليق مؤلفات عشرين كاتبا، رفضوا الإدلاء بشهادتهم عن مدى انتمائهم للحزب الشيوعي.

وشهد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس John Foster Dallas بأنه نما إلى علمه أن بعض أمناء المكتبات المفرطين في تحمسهم قاموا بإحراق ١١ كتابا فقط، الأمر الذي يمثل نسبة ضئيلة من المليوني كتاب التي تحتفظ بها المراكز الثقافية في الخارج.

وفي ٤ يونيه عام ١٩٥٣ ألقى الرئيس أيزنهاور خطابه المشهور في كلية دارتموث Dartmouth College التي أوصى طلبتها بعدم الاشتراك في حرق الكتب، ذاهبا إلى أن الفهم والنقاش الواعي هما السبيل إلى دحر الشيوعية. وربط المعلقون بين خطاب أيزنهاور والحملة الشعواء التي تعرضت لها المراكز الثقافية في الخارج. وعقد الرئيس أيزنهاور مؤتمرا صحفيا، أكد فيه عدم وجود ثمة علاقة بين خطابه الذي يحذر الأمريكان في مغبة إحراق الكتب وبين الهرج والمرج الذي اجتاح المراكز الثقافية الأمريكية في الخارج. وأضاف أيزنهاور أنه لا يعرف عن التعليمات الموجهة إلى هذه المكاتب الخارجية شيئا. وأيضا أعرب الرئيس أيزنهاور في خطابه أنه يحق لمصلحة البريد في بعض الأحيان أن

تقوم بحظر بعض المطبوعات المسيئة باستثناء الكتب التي تشرع حقيقة النظم الشيوعية والشمولية الكارثية.

وحتى بعد انحسار المد الشيوعي لم ير أيزنهاور ما يدعو إلى اقتناء المراكز الثقافية الأمريكية بالخارج بعض الكتب الداعية إلى المذهب الشيوعي باستثناء تلك الكتب التي ألفها قادة الشيوعية والتي تفضح مساوئ المذهب الشيوعي. وعندما قررت مكتبات المراكز الثقافية بالخارج سحب كتاب لوليم. ج. ليدر William J. Ledder من مكتباتها في عام ١٩٥٨ تعالت صيحات الاحتجاج والاستنكار. وفي العام التالي (١٩٥٩) تم رفع الحظر عن هذا الكتاب. وأفادت مجلة النيوزويك في ديسمبر ١٩٦٩ أن المراكز الثقافية الأمريكية بالخارج حظرت تداول ما يقرب من أربعة وعشرين كتابا في أحد مراكزها الثقافية في البلاد الأوربية، وكانت أسباب الحظر ترجع أحيانا إلى انتقاء السياسة الأمريكية في فيتنام كما هو الحال مع كتاب هنري ستيل كوماجر Henry Steele Commager الذي يحمل عنوان "الحرية والنظام" Freedom and Order وكتاب جورج ر. ستيوارت .george R Stewart الذي يحمل عنوان "ليسوا أغنياء كما تظن" Not So Rich as You Think وكتاب جيمس بولدوين James Baldwin "قل لي منذ متى غادر القطار؟" Tell me how long the train's been gone? حيث ترى المؤلف يسوق لنا هذه العبارة "يبدو لي أن بني جلدتي بوجه عام أتفه الشعوب وأقلها جاذبية". غير أن المكتبات داخل الولايات المتحدة شعرت بضغوط الحظر قبل شعور المكتبات الأمريكية خارج الحدود بها بزمن طويل. ففي عام ١٩٤١ أصدر محافظ ولاية جورجيا أمرا باستبعاد الكتب المعادية لأمريكا الجنوبية وللكتاب المقدس، وحذف مثل هذه الكتب من المقررات الدراسية في المدارس والكليات. وفي عام ١٩٤٣ أعلن هذا المحافظ أنه سوف يطلب من الهيئة التشريعية إصدار أمر بحرق الكتب التي تدافع عن امتزاج الأعراق. ورغم أن هذا الأمر بالذات لم يتحقق فقد تحققت عدة أمور أخرى. ففي عام ١٩٥٩ طالب مجلس التعليم بولاية جورجيا بختم جميع الكتب الموجودة في المكتبات العامة بخاتم يدل على أن اللجنة الأدبية موافقة عليها، وذلك بعد أن تلقت هذه اللجنة تحذيرا من أحد أعضائها من الأدب الذي يحرض على امتزاج البيض بالسود. وبعد مضي عامين وجدت جمعية مكتبة جورجيا العامة Georgia Library Association نفسها مضطرة إلى مناشدة كبار المحلفين في مقاطعة كاثام Chatham ورئيس مجلس التعليم بالمحافظة أن يتدخل لحماية المكتبات مما أسمته ملاحقة الساحرات التي انتشرت في أوربا في القرون الوسطى. ويرجع السبب في هذا إلى أن كبير المحلفين

استبعد أربعة كتب مختلفة العناوين من مكتبات المدارس العليا في سافاناه Savannah؛ لأنها تتضمن موادا منافية للأخلاق.

وفي ولاية أيوا Iowa حدث في باكورة عام ١٩٥١ أن شن ضباط البوليس هجوما على مكتبة دوبوك Dupuque العامة، وضبطها بناء على إذن من النيابة مجموعة من الكتب المتهمة بالبذاءة. ومن بين هذه الكتب روائع رابيليه Rabelais الأدبية، والأيام العشر Decameron لبوكاشيو، ورواية توم جونز لهنري فيلدنج. وفي عام ١٩٥٠ تم طرد أمينة مكتبة بارتلسفيل Bartlesville بولاية أوكلاهوما بعد مدة خدمة طويلة وصلت إلى ٣١ سنة؛ بسبب اشتراكها في حلقة نقاشية حول العلاقات العرقية بين البيض والسود، ولأنها احتفظت على رفوف المكتبة بكتب اعتبرتها لجنة المواطنين Citizen's Committee غير مرغوب فيها. وعلى الرغم من أن هيئة مستقلة كانت تدير شئون هذه المكتبة فقد أصدرت لجنة المدينة أمرا جديدا بأحقيتها في إدارة المكتبة بدلا من مجلس الإدارة القديم. ورغم أن أمينة المكتبة المطرودة رفعت دعوى قضائية أمام محكمة أوكلاهوما العليا فإنها أصدرت في عام ١٩٥٢ حكما برفض الدعوى.

وفي خريف عام ١٩٥٢ شنت صحيفة "بوسطن بوست" Boston Post هجوما على مكتبة بوسطن العامة لأنها تحتوي على مواد شيوعية ضمن مجموعة المراجع التي تقتنيها. ورد مدير المكتبة على هذا الهجوم بقوله إنه ينبغي توفير جميع المعلومات السياسية والدولية بل جميع المعلومات الممكنة للمواطنين الأمريكان. وهو قرار اتخذه مجلس إدارة المكتبة عن طريق الاقتراع بواقع ثلاثة أصوات ضد صوتين.

وقد تعرضت مدن كثيرة أخرى، وخاصة سانت انتونيو St. Antonio وتكساس ودوبوك وأيوا لهجمات مماثلة تدعو إلى فرض الحظر على مقتنيات المكتبات العامة: ففي إلينوا صدرت أوامر في ديسمبر ١٩٥٣ بالتخلص من أربعمائة كتاب تحمل عناوين مختلفة؛ لأن فتاة لا يزيد عمرها على ثلاثة عشر عاما شكت لأمها أنها استعارت كتابا من المكتبة العامة فوجدته بذيئا، الأمر الذي أدى إلى تخلص المكتبة من الكتب المسيئة في أوائل عام ١٩٥٤.

وأيضا تم في عام ١٩٥٩ استبعاد كتاب نشرته دار هاربر ورو Harper & Raw يخاطب الأطفال في سنة الثالثة حتى السابعة من العمر. وأبعد هذا الكتاب وتم حفظه في المكان المخصص للكتب المحجوزة في المكتبة ألباما العامة. وذلك بعد أن وجه المجلس

النيابي في هذه الولاية إليها تهمة الدعوة إلى الامتزاج العرقي بين البيض والسود. ويرجع حظر هذا الكتاب إلى سبب يبدو مضحكا فهو يروي قصة زواج أرنب أسود من أرنبة بيضاء. ويحتفل العروسان بهذه المناسبة السعيدة في الغابة السابحة في ضوء القمر، الأمر الذي فسره المسئولون بأنه دعوة بذيئة إلى زواج السود بالبيض.

وبسبب جو القمع المكارثي الذي ساد الولايات المتحدة في عقد الخمسينيات من القرن العشرين على يد لجان الاستماع التي عقدها محققو الكونجرس مع المشتبه في ولائهم للوطن انتاب الرعب قطاعات كبيرة من المجتمع الأمريكي. وبطبيعة الحال حدثت تجاوزات ضد حرية أمناء المكتبات في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم. ففي يناير عام ١٩٥٧ أثبتت التحقيقات أن السيدة ماري نولس Mary Knowles أمينة مكتبة بليموث Plymouth بولاية بنسلفانيا مدانة في التهمة الموجهة إليها باحتقار الكونجرس؛ بسبب رفضها الإجابة عن أسئلة سياسية، وجهتها إليها لجنة الكونجرس الفرعية الخاصة بالأمن الداخلي. وفي عام ١٩٥٣ اعترضت هذه الأمينة على الحكم بإدانتها استنادا إلى التعديل الخامس للدستور الذي ينص على إعطاء المتهم الحق في عدم الإجابة عن أي سؤال إذا استشعر أن هذه الإجابة قد تعود عليه بالضرر. وشكت هذه السيدة بأن طردها من وظيفتها كأمينة مكتبة نوروود Norwood بولاية ماساشوسيتس جاء تحت ضغط مارسه الممولون الذين يقدمون المساعدات المالية للمكتبة. وأيضا وجهت تهمة البذاءة إلى رواية ألفها إليا كازان Elia Kazan بعنوان "الترتيبات" Arrangement تم حظرها عام ١٩٦٧ على أيدي العاملين في مكتبة بولاية إيوا. ورد الناشر شتين أند داي أفون Stein & Day Avon الذي كان في صدارة الناشرين الناجحين على هذا الحظر بأن أهدى نسخة بالمجان لكل رب أسرة في مجتمع يبلغ تعداد سكانه ثمانية آلاف وستمائة نسمة ليقرر المواطنون في هذه المدينة الحكم بأنفسهم على بطلان أو سلامة حكم المكتبة، وتدارسوا إذا كان قرار الحظر الذي اتخذ يتفق أو لا يتفق مع التقاليد الأمريكية. ومن ناحيته اعترض الناشر الذي أصدره مجلس إدارة المكتبة قائلا إنه ينبغي إثارة نقاش حول بذاءة أو عدم بذاءة أي كتاب قبل حظره وأنه ليس من حق إدارة المكتبة العامة استبعاد أي كتاب بناء على رأي الجمهور.

ويجدر بنا أن نذكر أن جدالا احتدم بعض الوقت في ولاية كاليفورنيا حول نشر قاموس ألفه ت. ي. كرويل T. R. Crowell بعنوان "قاموس اللغة العامية الأمريكية A Dectionary of Americn " بدأت هذه الملاحاة عام ١٩٦٣ عندما اقترح ماكس رافرتي

Max Rafferty المشرف على التعليم العام ضرورة استبعاد الكتاب من مكتبات المدارس. ولإثبات بذاءة القاموس فتش المناصرون لفكرة الحظر في ثمانية آلاف مدخل يحتويها القاموس على مداخل تتسم بالشذوذ والغرابة ليعثروا على مائة وخمسين مدخلا في منتهى البذاءة والقذارة ضمنوها مجلدا مستقلا منسوخا بالآلة الكاتبة. ورغم أن الكتاب خضع لحظر عدد كبير من المجتمعات الأمريكية وتم حرقه على الأقل مرة واحدة فقد قررت معظم المكتبات الاحتفاظ به حتى يستفيد منه الدارسون الجادون. وفي باكورة عام ١٩٧٨ وصلت تقارير من ميسوري Missouri بفرض الحظر على قاموس بعنوان "قاموس التراث الأمريكي" American Heritage Dictionary. وفي عام ١٩٦٤ هاجمت جماعة متطرفة في لونج بيتش Long Beach في ولاية كاليفورنيا مدير المكتبة العامة، بسبب ضمه إليها كتاب جيسكا ميتفورد Jessica Mitford المعنون "الطريقة الأمريكية في الموت" The American Way of Death باعتباره مناصرا للشيوعية. وأيضا هاجم هؤلاء المتطرفون لانجستون هيوز Langston Hughes كشاعر يساري. فضلا عن اتهام كبرى المجلات مثل صحيفة المكتبات Library Journal ونيويورك تايمز بوك ريفيو New York Times Book Review ونيويورك هيرالد تريبيون بوكس New York Herald Tribune Books وساتر داي ريفيو Saturday Review بغسل أدمغة قرائهم وتضليلهم فيما يشترون من كتب. وأيضا هاجمت جماعة اللونج بيتش لعدة سنوات الروائي اليوناني البارز نيكوس كازا انتزاكس Nikos Kazantz akis.

واستمر الهجوم على المكتبات العامة في عام ١٩٧٠ عندما انتشرت الاحتجاجات ضد الحرب في فيتنام. وأيدت السلطات الأمريكية انزعاجها حول نشر المعلومات الخاصة بصنع القنابل والمتفجرات. وطلبت إدارة خدمة الإيرادات الداخلية The Internal Revenue Service المعروفة اختصارا ب IRS إذنا لفحص سجلات ودفاتر المكتبات العامة لمعرفة أسماء الأشخاص الذين استعاروا كتبا، تحتوي على معلومات خاصة بصنع المتفجرات. واعترضت جمعية المكتبات العامة الأمريكية على ذلك، واحتجت بأن الكشف عن أسماء هؤلاء المستعيرين للكتب سر لا ينبغي إفشاؤه. فاضطرت إدارة خدمة الإيرادات الداخلية إلى صرف النظر عن أفكارها التجسسية، وعادت إلى عملها الأصلي وهو جمع الإيرادات.

وتناولت جمعية المكتبات العامة الأمريكية في المؤتمر الذي عقدته في يناير ١٩٧٨ تقارير رقابية تشير إلى أن جماعات يمينية تضافرت جهودها لتضييق صلاحيات أمناء

المكتبات والعاملين في مجال التربية والتعليم، مستخدمين في ذلك وسائل مشروعة مثل شن حملات رقابية عن طريق مصلحة البريد وكتابة الخطابات الاحتجاجية وضروب الشكاوى القانونية. وتركزت دائرة اهتمامهم على عمليات التخريب والفن والحريات المدنية والسياسات الدفاعية والتعليم والصحة العقلية والصحافة، وتحدد الهجوم الشديد على الكتب المدرسية في ولايات فلوريدا وكاليفورنيا وتكساس بوجه خاص. ومن الكتب التي تعرضت لهذا الهجوم الشديد كتاب بعنوان "أجسادنا هي أنفسنا" Our Bodies Ourselves أصدرته "جمعية الصحة النسائية في بوسطن Boston Women's Health collective. و"الإنسان منهج دراسي" Man; A Course Of Study Foundation الصادر عن مؤسسة العلوم القومية National Science و"قاموس التراث الإنساني".

وأمام هذا الحظر لم يقف كثير من أمناء المكتبات مكتوفي الأيدي، بل لجاءوا إلى الحيلة للتخفيف من هذا الحظر. فمنهم من أخفى الكتب المحظورة على رفوف الكتب المحجوزة، ومنهم من امتنع عن شراء الكتب المثيرة للمشاكل ابتغاءً لراحة البال.

حظر الكتب في المدارس ومكتباتها:

بالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، وكثرة حالات فرض الحظر على الكتب المدرسية والمكتبات الخاصة بالمعاهد فإن الأمر يحتاج إلى دراسة مستقلة أرجو أن يمتد بي العمر وتتوفر لي الصحة لإجرائها.

الكتب الشعبية الرخيصة ذات الغلاف الورقي الخفيف:

هذه الكتب شديدة الرواج في المجتمع الأمريكي بل في العالم بأسره، بسبب ثمنها الزهيد الأمر الذي يجعلها تباع بالآلاف وأحيانا بالملايين. وقد تركت هذه الكتب أثرها العميق في الثقافة الأمريكية، فضلا عما خلفته أحيانا من صدمات ثقافية هزت الفكر الأمريكي.

ولا يقتصر حظر هذه الكتب الرائجة على تلك التي تحمل أغلفة بذيئة أو مثيرة للشهوات، فالكتب التي تعالج الجنس بطريقة جادة لم تسلم من الحظر. كانت هذه الكتب

الشعبية الرخيصة والشائعة في المدارس مصدر انزعاج لأولياء الأمور. ويجدر ذكر أن المعلمين وأمناء المكتبات أصابهم كثير من اللوم لأنهم حبذوا اقتناء مثل هذه الكتب، كما أن أولياء الأمور انقسموا على أنفسهم، واحتدم بينهم النقاش حول ملاءمة احتفاظ المدارس ودور العلم بهذه الكتب كي يطالعها الشباب حتى لو كانت من عيون الأدب الحديث.

ويرجع الهجوم على هذه الكتب الرخيصة والشعبية إلى عدة أعوام خلت. ففي عام ١٩٥٠ أغارت السلطات المحلية على وكالة جيمس مورتن للأنباء James Morton News Agency في بلدة دي موان 'Des Moines بالولاية التي تحمل الاسم نفسه لحيازتها كتبا بذيئة. وتبين أن هذه الكتب من تأليف كل من جون شتاينبك John Steinbeck وماكنلوي كانتور Mackinloy Kantor وسمرست موم Somerst Maugham وكتاب جيب عن الفن بعنوان "روائع الرسوم القديمة" Old master Paintings.

وفي ربيع عام ١٩٦١ استأجرت مجموعة من مدينة أوكلاهوما Oklahoma City تسمى نفسها بـــ "اتحاد الأمهات من أجل التهذيب" Mothers Untied For Decency شاحنة تحمل اسم "شاحنة البذاءة "لاحتوائها على نسخ من الكتب البذيئة. وكانت الشاحنة تقف أمام مبنى تشريعات الدولة، واحتوت الكتب المعروضة بالشاحنة على نسخة كتاب عن حياة الفنان فان جوخ يحمل عنوان "شهوة الحياة" Lust for Life، و"فدان الله الصغير" God's Little Acre و"طريق التبغ" Tobacco Road و"الذكر والأنثى" Male and Female تأليف مارجريت ميدو Margaret Meadow.

وفي مدينة شيكاغو بلغ التحمس الأخلاقي بامرأة شديدة التدين -هي أم لابن كبير في العمر وابنة مراهقة- مبلغا جعلها تنتهك القانون، الأمر الذي أفضى بها إلى لصق صفحات الكتب بالصمغ بحيث يستعصى على الأطفال فتحها، وبالتالي قراءتها.

وفي عام ١٩٦٣ أوضحت المحكمة العليا الحد الأدنى من الشروط التي ينبغي توفرها؛ حتى لا يعتبر نشاط لجنة الرقابة المحلية انتهاكا للدستور. وتمحورت القضية حول قانون يعرف بقانون جزيرة رود Rhode lsland الذي نشأت بمقتضاه "لجنة تشجيع الأخلاق الحميدة لدى الشباب Commission to encourage morality in youth. وأصدرت هذه اللجنة قوائم بأسماء الكتب التي تعتبر ضارة من الناحية الأخلاقية. وكانت نتيجة هذا استبعاد الكتب المشهورة بالبذاءة من الرفوف دون أن يصدر أي حكم قضائي ببذاءتها. غير

أن أربعة ناشرين لهذه المطبوعات الشعبية تحدوا قوانين الحظر التي استنتها جزيرة رود، ورفعوا قضايا اتهموا فيها لجنة الرقابة المشار إليها بانتهاك الدستور. وأصدرت المحكمة قرارا بأن لجنة الرقابة التي أنشئت في جزيرة رود يجب على أقل تقدير أن تخضع لإشراف قضائي مباشر، كما ينبغي على القضاء مراجعة قرارات هذه اللجنة الرقابية والإعلان عما تصل إليه من أحكام.

وأثار كتاب بذئ له غلاف ورقي رخيص الثمن حنق رجال البوليس الأمريكي في عام ١٩٦٧، لأنه يسخر بطريقة ماجنة من ممارسات الشرطة الجنسية. هذا الكتاب يحمل العنوان التالي "الممارسات الجنسية في حياة رجل البوليس" The Sex Life of Cop وهو من تأليف أوسكار بيك Oscar Peck ومن إصدارات الناشر Sades Books في لوس أنجلوس. وقام موزع في ميتشيجان بتوزيع هذا الكتاب على نطاق واسع، الأمر الذي أدى إلى إصدار حكم قضائي قاس ضده. ولكن المحكمة العليا في الولايات المتحدة ما لبثت أن ألغت هذا الحكم.

وفي عام ١٩٧٣ أصدرت محكمة محلية حكما بتمزيق النسخة الشعبية الرخيصة من روايات هنري ميلر الصادرة عن دار نشر جرين ليف Greenleaf، الأمر الذي منع دار النشر هذه من بيعها.

قائمة بأشهر الكتب التي تعرضت للحظر في الولايات المتحدة الأمريكية:

سوف أحاول في هذا الجزء من المقدمة أن اضطلع بحصر تقريبي للكتب التي تعرضت للحظر في الولايات المتحدة الأمريكية حتى أواخر القرن العشرين.

إن مشكلة تتبع الرقابة على الكتب والأعمال الفنية في الولايات المتحدة أشد ما تكون عسرا وتعقيدا نظرا لعدم وجود قوانين موحدة من الواجب تطبيقها في كل أنحاء الولايات المتحدة، فلكل ولاية أمريكية قوانينها الخاصة بها. ومن ثم تنوع القوانين واختلافها من ولاية أمريكية إلى أخرى. ولهذا نرى أن الكتاب قد يكون محظورا في ولاية رسموها بتداوله في ولاية أخرى.

وفيما يلي قائمة تحصر الكتب والأعمال المصادرة وأسماء مؤلفيها وتاريخ صدورها، وكذلك تاريخ حظرها.

- **آرسطفان Aristophanes** (ولد نحو ٤٤٨ ق.م، وتوفى نحو ٣٨٠ ق.م). ألف آرسطفان مسرحية ليسيستراتا Lysistrata نحو عام ٤١١ ق.م. وفي عام ١٩٣٠ رفعت مصلحة الجمارك الأمريكية الحظر المفروض على هذه المسرحية. وفي فترة حظرها كانت هذه المسرحية تباع بسعر يناهز ٣٥ دولارا، وفي هذا العام قام جلبرت سيلديس Gilbert Seldes بإعداد هذه المسرحية وتقديمها في كل من نيويورك وفيلاديلفيا. وفي عام ١٩٥٤ قام موظفو مصلحة البريد الأمريكية باحتجاز شحنة من هذه المسرحية قام بترجمتها إلى الإنجليزية جاك ليندساي Jack Lindsay ونشرتها دار فانفروليكو الإنجليزية للنشر. وكانت هذه الشحنة مرسلة إلى بائع كتب أمريكي في منطقة بيفرلي هيلز Beverly Hills يدعى هاري آ. ليفنسون Harry A. Levinson. ولكن مصلحة البريد الأمريكية سرعان ما تداركت خطأها فسلمت النسخة إلى المرسل إليه. غير أنها حذرت صاحب المكتبة من بيع الكتاب إلى عموم الناس. وفي عام ١٩٥٥ تم رفع الحظر على مسرحية ليسيستراتا، وصارت مصلحة البريد الأمريكية تسمح بتداولها. وهكذا تم بنجاح تحدي قانون كومستوك للرقابة لعام ١٨٧٣ Comstock Act of 1873 الذي يخول لرئيس مصلحة البريد حق حظر توزيع المصلحة للكتب البذيئة.

- **بوبليوس أوفيديوس ناسوأوفيد** (ولد عام ٤٣ قبل الميلاد، وتوفى نحو عام ١٧ بعد الميلاد) Ovid (Publius Ovidius Naso)

ألف الشاعر الروماني أوفيد قصيدة شعر بعنوان "فن العشق" Ars Amatoria وترجمتها بالإنجليزية The Art Of love نحو العام الأولى قبل الميلاد. وهي تتسم بالبذاءة الأمر الذي جعل الإمبراطور الروماني أغسطوس Augustus ينفيه من البلاد. وتوفى في منفاه بعد مضي ثمانية أعوام. وقد فرضت مصلحة الجمارك عام ١٩٢٨ حظرا على تداول هذا الكتاب بسبب بذاءته، ولكن طبعة رخيصة منه كانت تباع على حدود الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٢٩ فرضت مدينة سان فرانسيسكو San Francisco الحظر على هذا الكتاب. وقد أصبحت ترجمة همفري Humphrey الصادرة من مطبعة جامعة انديانا Indiana ذائعة الصيت، والأكثر مبيعا في الولايات المتحدة.

- **لوسيوس أبوليوس Lucius Apuleius** (ولد تقريبا عام ١٢٥ بعد الميلاد)

ألف أبوليوس كتابا تحت عنوان "De Asino Aureo" أي "الحمار الذهبي"، وقد رفعت السلطات الأمريكية عام ١٩٣١ الحظر المفروض عليه منذ ١٩٢٨.

- الكتاب المقدس The Bible

في عام ١٩٥٢ شن قسيس أصولي هجوما على النسخة المنقحة من الكتاب المقدس، بسبب ما يراه من تغيير في استخدام المصطلحات الدينية. وفي العام التالي (١٩٥٣) قام قسيس من الطائفة المعمدانية Baptists في نورث كارولينا North Carolina بحرق ورقة من نسخة هذا الكتاب المقدس للتعبير عن احتجاجه ضده.

- بيير أبيلارد (١٠٧٩ – ١١٤٢) Pierre Abelard

ألف أبيلارد كتابا مجهول التاريخ بعنوان "خطابات الغرام المتبادلة بين هلويزا وأبيلارد"Lettres d' Heloise el Abelard، وظلت هذه الخطابات محظورة حتى رفعت مصلحة الجمارك الأمريكية الحظر عنها في عام ١٩٣٠.

- جيوفاني بوكاشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥) Giovanni Boccacio

ألف جيوفاني بوكاشيو كتابا شديد البذاءة بعنوان Decameron أي "الأيام العشرة". وفي عام ١٩٢٢ قامت مصلحة البريد في مقاطعة سنسيناتي Cincinnati بضبط نسخة نظيفة من هذا الكتاب البذيء، وحكم القضاء على بائع الكتب الذي استورد هذه الطبعة بدفع غرامة قدرها ألف دولار. وفي عام ١٩٢٦ أمرت وزارة الخزانة الأمريكية بفرض الحظر على هذا الكتاب. ثم قامت مصلحة الجمارك الأمريكية في عام ١٩٢٧ بتشويه النسخة التي أصدرتها دار أشندين للطباعة والنشر Ashendene Piess، الأمر الذي حدا بجون هورنبي John Hornby للاحتجاج على ذلك في صحيفة التايمز اللندنية. غير أن مصلحة الجمارك رفعت الحظر عن هذا الكتاب عام ١٩٣١، وكذلك قامت ولاية مينسوتا Minnesota برفع الحظر عن هذا الكتاب في العام التالي (١٩٣٢). ولكن شرطة مدينة ميتشيجان Michigan بولاية ديترويت Detroit ضبطت الكتاب لشدة بذاءته كما أن إحدى الجمعيات المناهضة للرزيلة التي تحمل اسم New England Watch and Ward Society في مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس .Boston Mass استمرت في حظره.

- الرسام المشهور مايكلانجلو (١٤٧٥ – ١٥٦٤) Michelangelo والرسومات الخاصة بكنيسة السيستاين الصغيرة the Sistine Chapel

تصور اللوحة رقم ٤٠ من هذه الرسومات "يوم الحشر" التي قام برسمها الرسام فنوستي Venusti نقلا عن الفريسكو (الرسوم البارزة) الأصلية العارية التي تزدان بها

كنيسة السيستاين الصغيرة قبل أن يقوم الفنان دانييل فولتيرا Daniele Volterra بتغطية ما تحتويه من أجساد عارية، وذلك بناء على الأوامر التي أصدرها البابا بول الرابع، وبعد أخذ موافقة الرسام الكبير مايكلانجلو. علما بأن جاليري وايهي ومكتبته Weyhe Gallery and Bookshop هو الذي قام باستيراد هذه الرسوم من أوروبا. وتلقت الجهات الأمريكية المسئولة خطابا رسميا من مساعد مأمور الجمارك الذي يبدو أنه لم يسمع من قبل اسم الفنان العظيم مايكلانجلو. وفيما يلي نص الخطاب الرسمي الذي أرسلته مصلحة الجمارك إلى المسئولين الأمريكان:

"سادتي نحتفظ طرفنا بطردين مرسلين يحتويان على ألبومات لصور فوتوغرافية بذيئة، يتعين حظرها طبقا لمواد قانون التعريف الجمركية Tariff Act، وسوف يتم الحجر على محتويات الطردين والتخلص منها خلال المدة التي يحددها القانون. ولكن يمكنكم على أي حال الاستفادة من الامتياز الذي يمنحه القانون بتقديم طلب إلى وزير الخزانة لتخفيف عقوبة تدمير محتويات الطردين، والسماح لكم بإعادتهما إلى الخارج أو تتفضلوا بالموافقة على فقدان هذه المحتويات بإعادتها إلى أصحابها: مع احترامي (توقيع مساعد مأمور الجمارك هـ. س. ستيوارت H. C. Stuart، وانتهزت الصحافة جهل مسئول الجمارك المبين، وجهل وزارة الخزانة الفاضح لتشن هجوما ضاريا عليهما، الأمر الذي جعلها تتراجع عن قرارها وتسمح بمرور ألبومات صور الرسوم المحتجزة.

- فرانسوا رابيليه (ولد نحو عام ١٤٩٤ – ١٥٥٣) Francois Rabelais

في عام ١٥٣٣ ألف رابيليه رواية بعنوان بانتاجرويل Pantagruel ثم ألف أخرى بعنوان جارجانتوا Gargantua عام ١٥٣٥. وفرضت أمريكا الحظر على هذين العملين، غير أن مصلحة البريد الأمريكية ألغت عام ١٩٣٠ الحظر المفروض عليهما، ولكنها أبقت الحظر على الرسوم البذيئة التي تضمنتها الروايتان، وخاصة الرسوم التي رسمها فرانك س. بيب. Frank C. Pape.

- جاليليو جاليلي (١٥٦٤ – ١٦٤٢) Galileo Galile

في عام ١٦٣٢ ألف جاليليو عالم الفلك الإيطالي المشهور بحثا بعنوان Dialogo sopra I due massimi del mondo وترجمته "حوار حول النظامين الأساسيين في الكون". وتمت ترجمة هذا العمل إلى اللغة الإنجليزية لأول مرة في عام ١٦٦١، ولكن معظم

نسخ هذه الترجمة اندثرت بسبب الحريق الهائل الذي التهم لندن عام ١٦٦٦. ومن المعروف أن الكنيسة الكاثوليكية حظرت تداول هذا الكتاب، علما بأن أمريكا تأخرت في رفع الحظر عنه في عام ١٩٥٤.

- وليم شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦) William Shakespeare

ألف شكسبير مسرحيته "تاجر البندقية" The Merchant of Venice عام ١٦٠٠: وقد استبعدت هذه المسرحية من مناهج المدارس العليا في كل من بافالو Buffalo ومانشيستر Manchester ونيويورك New York بسبب اعتراض المنظمات اليهودية على عنصرية هذه المسرحية.

- وليام بنشون (١٥٩٠ – ١٦٦٢) William Pynchon

في عام ١٦٥٠ ألف بنشون بحثا بعنوان "ثمن خلاصنا الغالي" The meritorious Price Of Our Redemption. وفي هذا العام نفسه قامت ولاية ماساشوسيتس بحرق هذا الكتاب. وهي أول مرة يتم فيها حرق كتاب فيما أصبح يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية. ويرجع هذا إلى المواقف البيوريتانية الدينية المتزمتة التي اعتنقها رجال الدين المسيحي آنذاك. ولا غرو فقد أثار هذا الكتاب سخط وغضب علماء اللاهوت المسيحي المتشددين. وبعد أن طالع قضاة المحكمة العامة General Court هذا الكتاب باستبشاع أصدروا حكما بأن يتولى العشماوي العمومي حرقه في ساحة السوق؛ وبسبب توبيخ هذا المؤلف علنا وإلقاء اللوم عليه لاذ بالفرار وغادر الأراضي الإنجليزية تحاشيا لمثوله أمام المحاكم.

- روجر وليامز (ولد نحو عام ١٦٠٣ – ١٦٨٣) Roger Williams

في عام ١٦٤٤ ألف روجر وليامز بحثا بعنوان "مبدأ الاضطهاد الدموي" The bloody Tenent Of persecution. وأعلن هذا المؤلف في مستعمرة الخليج بولاية ماساشوستس رفضه لأن يكون للدولة أي سلطة أو ولاية على ضمائر الناس. واتسع نطاق أثر روجر وليامز فقامت ولاية ماساشوستس باستبعاده إلى جزيرة رود Rhode Island. وبعد مضي نحو ثلاثة قرون أقر المجلس التشريعي لولاية ماساشوستس في عام ١٩٣٦ قانونا بإلغاء قرار نفي روجر وليامز إلى جزيرة رود.

- **دانييل ديغو(ولد نحو عام ١٦٦٠ – ١٧٣١) Daniel Defoe**

ألف الكاتب والروائي المعروف دانييل ديفو روايتي مول فلاندرز Moll Flanders عام ١٧٢١ وروكسانا Roxana عام ١٧٢٤. وظلت هاتان الروايتان محظورتين بتهمة البذاءة حتى رفعت إدارة الجمارك الأمريكية الحظر عنهما في عام ١٩٣٠.

- **إيمانونيل سويدنبورج (١٦٨٨ – ١٧٧٢) Emanuel Swedenborg**

ألف سويدنبورج كتابا بعنوان "عشق الأزواج" Amor Conjugalis عام ١٧٦٨. وفي عام ١٩٠٩ قامت مدينة فيلادلفيا Philadelphia بالولايات المتحدة بمصادرة هذا الكتاب عن طريق مصلحة البريد بتهمة البذاءة.

- **فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨) Voltaire**

ألف الفيلسوف الفرنسي الكبير فولتير (واسمه بالكامل Francois Marie Aroue Voltaire) روايته المشهورة كانديد Candide عام ١٧٥٩، وقام رجال الجمارك الأمريكية بضبط هذه الرواية عام ١٩٢٩، وهي في طريقها إلى قسم الأدب الفرنسي بجامعة هارفارد. غير أن السلطات الأمريكية سمحت في وقت لاحق بإرسال طبعة جديدة من هذه الرواية إلى تلك الجامعة. ولكن مصلحة الجمارك الأمريكية تنبهت إلى خطورة هذه الرواية فقامت بحظرها بتهمة البذاءة، رغم أن العالم بأسره كان يقوم بتدريسها، ويشيد بروعتها الأدبية. وهب اثنان من أساتذة جامعة هارفارد للذود عنها. وقد شاهدت البلاد الغربية حرقا للعديد من مؤلفات فولتير أكثر من أي كاتب آخر.

وفي عام ١٩٤٤ قامت دار نشر كتب الكونكورد .Concord Books Inc في مدينة نيويورك بإصدار قائمة لبيع مائة كتاب تتضمن رواية كانديد نظير ٤٩ دولارا للنسخة الواحدة، فأرسلت مصلحة البريد إلى هذه الدار تحذرها من أن كتالوج الكتب يعتبر انتهاكا لبنود القانون التي تحظر إرسال الكتب البذيئة عن طريق مصلحة البريد. ولكن بحلول عام ١٩٥٦ حولت مدينة نيويورك رواية كانديد إلى نص موسيقى تم عرضه في برودواي Broadway سطرته الكاتبة ليليان هلمان Lillian Hellman واشترك في إعداده ليونارد برنشتين Leanard Barnstein كما اشترك في إخراجه ثيرون جوثري Tyrone Guthrie. علما بأن هذا النص الموسيقي أصاب نجاحا عظيما عند إعادة تقديمه على خشبة المسرح في عام ١٩٧٦.

- ألف ليلة وليلة The Thousand and one Nighte

قام أ. جالاند A Galland في باريس بترجمة هذا الكتاب من اللغة العربية إلى الفرنسية في الفترة بين عام ١٧٠٤ و١٧١٢. وفي عام ١٩٢٧ ضبطت مصلحة الجمارك في مدينة نيويورك خمسمائة نسخة من ترجمة أخرى للعالم الفرنسي ماردوس Mardus لهذا العمل استوردها الأمريكان من إنجلترا. وفي عام ١٩٣١ قامت السلطات الأمريكية برفع الحظر عن ترجمة الأديب الإنجليزي المشهور ريتشارد فرانسيس بيرتون غير النظيفة التي ظهرت في الأسواق الإنجليزية في الفترة من ١٨٨٥ حتى ١٨٨٨. غير أن السلطات الأمريكية واصلت حظر هذا الكتاب في طبعة ماردوس Mardus.

- جون كليلاند (١٧٠٩ – ١٧٨٩) John Cleland

في عام ١٧٤٩ ألف هذا الكاتب الإنجليزي رواية شديدة البذاءة بعنوان "امرأة للمتعة" أو "فاني هيل". وتمت مصادرة هذه الرواية في ولاية ماساشوستس Massachusetts في أول قضية بذاءة تثار في الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٦٣ تجرأت دار جروف الأمريكية للطباعة والنشر بطبعها علنا ودون مواربة، الأمر الذي أثار حفيظة دعاة الفضيلة والأخلاق الحميدة الذين رفعوا الأمر أمام القضاء في ولايتي نيوجرسي New Jersey وماساشوستس، فحكم ببذاءة الكتاب. ولكن المحكمة الأمريكية العليا بحلول ٢١ مارس ١٩٦٦ برأت الرواية من تهمة البذاءة. وأيضا تمت في عام ١٩٦٥ مقاضاة الرواية في ولاية إلينوا Illinois الأمر الذي أدى إلى إغلاق مكتبة بول رومين Paul Romaine في شيكاغو.

- جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨) Jean. Jacques Rousseau

ألف روسو اعترافاته عام ١٧٧٠، وفي عام ١٩٢٩ حظرت مصلحة الجمارك الأمريكية هذه الاعترافات عام ١٩٢٩ لما فيها من تدمير للأخلاق العامة.

- كازانوفا دي سينجالت (جيوفاني جاكوبو ١٧٢٥- ١٧٩٨)

Casanova de Seingalt, Giovanni Jacopo

كتب كازانوفا مذكراته في الفترة من ١٨٢٦ حتى ١٨٣٨. وقام آرثر ماتشن Arthur Machen في عام ١٩٢٩ بترجمة هذه المذكرات دون أي استبعاد لما فيها من بذاءات. وتتضمن هذه الطبعة مقدمة سطرها عالم الجنس المعروف هافلوك إليس Havelock Ellis

عبر فيها عن تقديره للكتاب دون أن تتدخل أي سلطة أمريكية لحظره. فضلا عن أن مصلحة الجمارك الأمريكية رفعت الحظر المفروض على نسخ هذا الكتاب المستوردة باستثناء بعض الطبعات التي تحتوي على رسوم توضيحية. وفي عام ١٩٣٤ قامت الشرطة في ميتشجان بضبط هذه المذكرات.

- توماس بين (١٧٣٧ – ١٨٠٩) Thomas Paine

ألف الكاتب الإنجليزي توماس بين كتاب "حقوق الإنسان" في عام ١٧٩١/ ١٧٩٢. وكان بين يناصر حق المستعمرات البريطانية في الاستقلال، الأمر الذي وجد ترحيبا من أمريكا التي كانت آنذاك مستعمرة تابعة للتاج البريطاني.

- الماركيز دي ساد (١٧٤٠ – ١٨١٤) Marquis de sade

على الرغم من أن أمريكا فرضت الحظر على تداول كتابات دي ساد الفاحشة حتى عام ١٩٢٩ فإنها كانت تباع سرا عبر الحدود الأمريكية. وبحلول عام ١٩٦٥ أصبح كثير من الأعمال المحظورة تنشر وتباع علنا، بما في ذلك كتابات دي ساد البذيئة.

- أونوريه دي بلزاك (١٧٩٩ – ١٨٥٠) Honore' de Balzac

ألف بلزاك حكايات شاذة Droll Stories وعنوانها الأصلي بالفرنسية Les Contes Drolatiques في الفترة من عام ١٨٣٢ حتى ١٨٣٧. وفي عام ١٩٤٤ أصدرت دار نشر كونكورد Concord Books في مدينة نيويورك كاتالوج يعلن بيع مائة عنوان كتاب وحددت سعر كل كتاب فيها بـــ ٤٩ دولارا، فتلقت إنذارا من مصلحة البريد مفاده أن هذا الكتالوج يعتبر انتهاكا للقوانين التي تحظر إرسال أي كتابات بذيئة عن طريق مصلحة البريد فاضطرت إدارة النشر المشار إليها للاستجابة لهذا الإنذار.

- ناثانييل هوثورن (١٨٠٤ – ١٨٦٤) Nathaniel Hawthorne

ألف هوثورن رواية – الحرف القرمزي The Scarlet Letter في عام ١٨٥٠. وطالب القس أ. س. كوكس A. C. Coxe بعدم إبداء أي تسامح مع أي كاتب مهما بلغت شعبيته وموهبته مادامت كتاباته تتسم بالبذاءة. ونادى هذا القس بحظر هذه الرواية. وفي عام ١٩٢٦ تم تحويل هذه الرواية إلى فيلم سينمائي بعد إجراء عدد من التغييرات عليها.

- **إليزابيث باريت براوننج (١٨٠٦ – ١٨٦١) Elizabeth Barret Browning**

في عام ١٨٥٧ ألفت إليزابيث براوننج كتابين بعنواني "أوورا لي" Aurora Leigh و"زوجة اللورد والتر" Lord walter's wife. وفي العام نفسه أدانت سلطات مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس رواية أوورا واصفة إياها بأنها هستيرية وغير مهذبة ونتاج عقل شهواني. كما أن تاكاري Thackeray في إنجلترا رفض نشر رواية زوجة اللورد والتر لبذاءتها كما تم استبعادها من المكتبات المتنقلة.

- **تشارلس داروين (١٨٠٩ – ١٨٨٢) Charles Robert Darwin**

في عام ١٨٥٩ أصدر داروين كتابه المشهور "أصل الأنواع" The Origin of Species. وفي مدينة دايتون Dayton بولاية تينيسي Tennessee أثبت القضاء أن مدرسا في أحد المدارس العليا اسمه جون. ت. سكوبس John T. Scapes ارتكب جرما بتدريسه نظرية التطور للطلبة؛ فوقعت عليه غرامة مقدارها مائة دولار ودفع مصاريف القضية. ونجم عن ذلك الحكم إصدار قانون يمنع أي مدرس في هذه الولاية من تدريس أي نظرية من شأنها إنكار قصة الخلق الإلهي للإنسان كما وردت في الكتاب المقدس أو يعلم أن الإنسان نشأ وتطور من حياة أدنى. وظل هذا القانون معمولا به حتى ١٩٦٧.

- **تيوفيل جوتييه (١٨١١ – ١٨٧٢) Theophile Gautier**

ألف جوتييه رواية "الآنسة دي موين" عام ١٨٣٥. ولاحظت جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة New York Society for Suppression of vice وجود نسخة من هذه الرواية معروضة في فاترينة مكتبة ماك ديفيت ويلسون Mcdevitt. Wilson. وقدم أصحاب المكتبة إلى المحاكمة ولكن القضاء برأهم. وأقاموا الدعوى ضد جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة فحكم لهم القضاء بتعويض قدره ألفان وخمسمائة دولار، بالإضافة إلى الفوائد المتراكمة.

- **هارييت بيتشر ستو (١٨١١ - ١٨٩٦) Harriet Beecher Stowe**

ألفت هارييت ستو روايتها المشهورة "كوخ العم توم" أو "الحياة بين الطبقات الدنيا" عام ١٨٥٢. وفي عام ١٩٥٥ تحولت هذه الرواية إلى عمل مسرحي في مدينة Bridgeport بولاية Connecticut فقام الزنوج بالاحتجاج ضدها، حيث إن اسم العم توم كان مرادفا للمذلة والخنوع.

- **كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) karl marx**

نشر كارل ماركس بيان الحزب الشيوعي Manifesto of the Communist Party (١٨٤٧) وكتاب رأس المال Das Kapital في الفترة من عام ١٨٦٧ حتى ١٨٩٥. وتعرضت كتابات ماركس والكتابات الشيوعية بوجه عام في الولايات المتحدة إلى الهجوم الضاري. وشنت صحيفة البوسطن بوست Boston post هجوما شديدا على مكتبة مدينة بوسطن لاقتنائها مطبوعات شيوعية، وعرض الأمر على مجلس أمناء المكتبة فوافق على اقتناء المكتبة لهذه الكتب الشيوعية بواقع ثلاثة أصوات ضد صوتين.

- **والت هويتمان (١٨١٩ – ١٨٩٢) Walt Whitman**

نشر الشاعر هويتمان مجموعة من القصائد في عام ١٨٥٥ بعنوان "أوراق الحشائش" Leaves of grass. ورغم أن الكاتب الكبير Ralph Wald. Emerson أثنى ثناء عاطرا على هذه القصائد، واصفا إياها بثمرة أعظم ما أسهمت به أمريكا من حكمة وفكاهة طلية. وقد تعرضت قصائد هويتمان للنقد الشديد من جانب المتدينين الأمريكان المتزمتين. وفي عام ١٨٨١ قام النائب العام في مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس بتحريض من أعضاء جمعية مكافحة الرذيلة بالتهديد بمحاكمة الكتاب إذا لم يتم تطهيره من البذاءات. وبالفعل تم سحب الديوان، ولكن ولاية فيلادلفيا Philadelphia قامت بنشره عام ١٨٨٢.

- **ماري بيكر إدي (١٨٢١ – ١٩١٠) Mary Baker Eddy**

في عام ١٩٠٩ قامت كنيسة العلم المسيحي Christian Science Church بتدمير جميع قوالب الحروف، ونسخ كتاب جورجين ميليمين georgine milmine "سيرة حياة مسز إدي". وفي عام ١٩٢٧ نجحت الكنيسة في فرض الحظر على الكتاب الذي ألفه آدم ديكي بعنوان "مذكرات ماري بيكر إدي" Memories of Mary Baker Eddy.

وفي عام ١٩٣٠ ناشد العاملون في كنيسة العلم المسيحي الناشر سكريبنر scribner كي يعترض على الكتاب الذي ألفه إدوين ف. داكين Edwin F. Dakin عام ١٩٢٩ بعنوان "مسز إيدي: سيرة حياة عقل بتول" the biography of vilginal mind. ولكن "سكريبنر رفض الاستجابة إلى مناشدتهم، الأمر الذي جعل رجال الكنيسة يطلبون من أصحاب المكتبات في ربوع البلاد سحب الكتاب، وعدم عرضه في الفاترينات والإعلان عنه، وهو ما فعله الكثيرون من بائعي الكتب. وفي عام ١٩٣١ قاوم المجلس الأمريكي

للجمعيات العلمية the American council of learned societies الضغوط التي مارستها الكنيسة لاستبعاد سيرة حياة مسز إدي من "قاموس سير الحياة الأمريكية" Dictionary of American biography.

- جوستاف فلوبير (١٨٢١ – ١٨٨٠) Gustave Flaubert

ألف جوستاف فلوبير روايات مدام بوفاري عام ١٨٥٦ وإغراء القديس أنطونيوس The Temptation of st. Anthony عام ١٨٧٤ و"نوفمبر" November عام ١٨٤٢. تعرض كتاب "إغراء القديس أنطونيوس" لهجوم فاشل من جانب جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة. وفي عام ١٩٣٤ قامت مصلحة الجمارك الأمريكية بتوجيه تهمة البذاءة إلى الكتاب. غير أن خبراء الأدب العاملين في هذه المصلحة أفرجوا عنه. وفي العام التالي (١٩٣٥) شنت جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة هجوما على كتاب "توفمبر" ولكن القاضي جوناه ج. جولد شتين Jonah J. Goldstein برأه من تهمة البذاءة قائلا: "إن الزمن وحده هو الذي يحدد معيار التهذيب وكذلك المكان وكل عناصر العالم المتغير. فالشيء الذي يعتبر مهذبا في زمن ما قد يصبح غير مهذب في زمن آخر. ومن المفارقة أن نادي كتاب الشهر أثنى على هذا الكتاب ووضعه على قائمته. وفي عام ١٩٥٤ وضعته المنظمة القومية للأدب المهذب National Organization of Decent Literature على قوائمها السوداء.

- ليو تولستوي Leo Tolstoy (١٨٢٨ – ١٩١٠)

ألف ليو تولستوي رواية "سوناتة كروتزر" The Creutzer Sonata عام ١٨٨٩. وفي عام ١٨٩٠ حظرت مصلحة البريد الأمريكية توزيع صحيفة تنشر هذه الرواية على حلقات، فضلا عن أن النائب العام الأمريكي أصدر قرارا سمح فيه لمصلحة البريد بحظر أي مادة ترى أنها بذيئة. وقد هاجم السياسي تيودور روزفلت Theodore Roosevelt المؤلف ليو تولستوي واصفا إياه بأنه "منحرف جنسياً وأخلاقياً".

- صامويل لانجهورن كليمنس الملقب بمارك توين (١٨٣٥ – ١٩١٠) Samuel Langhorne Clemens (Mark Twain)

ألف مارك توين رواية مغامرات توم سوايز عام ١٨٧٦ The Adventures of Tom Sawyer ومغامرات هكلبري فين عام ١٨٨٥ The Adventures of Huckleberry Finn في بروكلين في نيويورك.

وفي عام قامت السلطات في عام ١٨٧٦ باستبعاد رواية "مغامرات توم سوايز" في غرفة المطالعة الخاصة بالأطفال في المكتبة العامة. والشيء نفسهن حدث في مكتبة دينفر Denver العامة. وفي عام ١٨٨٥ حظرت المكتبة العامة في مدينة كونكورد بولاية ماساشوستس رواية "مغامرات هكلبري فين" باعتبارها رواية غثة وتافهة. وأراد نادي للتجارة الحرة The Concord Free Trade الانتقام من اتخاذ قرار الحظر فاختار المؤلف مارك توين عضوا فخريا فيه. وفي عام ١٩٠٥ تم استبعاد هذا الكتاب من حجرة مطالعة الأطفال في مكتبة بروكلين العامة بذريعة أنه يفسد الشباب البرئ الطاهر. ولكن هذا الإجراء وجد معارضة وامتعاضا من جانب أسامون ديكنسون أمينة مكتبة مدرسة بروكلين Asa Dan Dickinson فكتبت إلى المؤلف تطلب منه الرد على هذا الاتهام. ورد عليها المؤلف بقوله: "إني أشعر بالانزعاج الشديد لما تقولين حيث إنني كتبت قصتي "توم سوايز" و" هكلبري فين" خصيصا من أجل الراشدين، وإنني أشعر بالحزن والأسى عندما أعلم أن الكتابين أصبحا متاحين للصبية والصبايا. فالعقل الذي يتلوث في شبابه لا يمكن أن يصبح نظيفاً أبداً، علماً بأن مجلة الأثينيوم اللندنية The London Athenaeum وصفت رواية " هكلبري فين" بأنها أحد ستة كتب عظيمة ظهرت في أمريكا. وفي عام ١٩٥٧ استبعد هذان الكتابان من قائمة مطالعات مدارس الصغار والكبار لاستخدامها لفظ Nigger ومعناه الزنجي بلغة الطبقات الاجتماعية الدنيا.

- **فيكتوريا وودهل (١٨٣٦ – ١٩٢٧) Victoria Woodhull**:

في عام ١٨٧٢ أصدرت فيكتوريا وودهل مجلة أسبوعية بعنوان أسبوعية وودهل وكلافلين Woodhull and Clafline weekly صدر العدد رقم (٢) من هذه المجلة، وهو يحتوي علي الحياة الخاصة لقسيس في حي بروكلين في نيويورك يدعي هنري وارد بيتشر Henry Ward Beecher. وحظرت هذه المجلة بتوجيه من أنتوني كومستوك Anthony Comstock الذي أصبح رئيس جمعية نيويورك في العام التالي. وتم الزج بمحررات هذه المجلة في السجن.

- **توماس هاردي (١٨٤٠ – ١٩٢٨) Thomas Hardy**

ألف توماس هاردي رواية تيس سليلة عائلة ديربرفيل عام ١٨٩١ Tess of the D'Urberville و"جود المغمور" ١٨٩٥ Jude the Obscure. وفي الولايات المتحدة عبرت ولاية بوسطن عن اعتراضها الشديد على أدب هاردي.

- **إميل زولا (١٨٤٠ – ١٩٠٢) Emile Zola**

في عام ١٨٨٠ ألف إميل زولا روايته "نانا" Nana التي اعترضت عليها في عام ١٩٥٤ المنظمة القومية للأدب المهذب National Organization of Decent Literature.

- **جي دي موباسان (١٨٥٠ – ١٨٩٣) Guy de Maupassant**

في عام ١٨٨٢ ألف موباسانت رواية بعنوان "مدموازيل فيفي" Mademoiselle Fifi وفي عام ١٩٥٦ حظرت مصلحة البريد الأمريكية تداولها لاحتوائها صورا لنساء عاريات.

- **مورتيمر وارين (ولد نحو عام ١٨٥٠ وغير معروف تاريخ وفاته) Mortimer warren**

ألف مورتيمر عام ١٨٩٢ كتابا عن الجنس بعنوان "يكاد يبلغ الرابعة عشرة" Almost Fourteen. والكتاب يحتوي على معلومات موجهة إلى أولياء الأمور والشباب. ولم يجد كبار رجال الدين ثمة غضاضة في هذه المعلومات، فسمحوا بتداول الكتاب دون أدنى اعتراض لدرجة أنهم سمحوا بتداوله في مدارس الأحد. غير أن أحد دعاة الإصلاح طالب بنشره على أوسع نطاق ممكن، الأمر الذي أثار ضده جمعية الحراسة على المجتمع Watch and Ward Society وقامت هذه الجمعية بتقديم شكوى ضد أحد بائعي الكتب فأصدرت المحكمة حكما بإدانته. وتم طرد المؤلف وارين من وظيفته كناظر مدرسة. أما دار نشر الكتاب واسمها دود وميد Dodd و Mead فقد اتضح لها أنه يستحيل عليها الاستمرار في بيع الكتاب.

- **كيت أوفلاهرتي شوبان (١٨٥١ – ١٩٠٤) Kate O'flaherty Chopin**

ألف شوبان رواية "اليقظة" The Awakening عام ١٨٩٩، وتعالج هذه الرواية بطريقة واقعية وفنية يقظة امرأة من النواحي الفكرية والروحية والجنسية. وكان الناشر ستون وكيمبال Stone and Kimball يجد يسرًا في بيعها. ولكن النقاد سرعان ما أنحوا عليها باللائمة، ورموها بالفساد الخلقي. ولهذا قامت مكتبات سانت لوس St. Louis باستبعاد هذه الرواية من رفوفها. وفيما يبدو يخلط بعض القراء بين هذه الرواية ورواية أخرى من تأليف تولستوي تحمل نفس العنوان وتعرضت لهجوم مماثل. وفي عام ١٩٦٤ أعاد الناشر بوتمان Putman وناشرون آخرون نشر الرواية عندما تجدد الاهتمام بها.

- **جورج مور (١٨٥٢ – ١٩٣٣) George More**

ألف الروائي الإنجليزي جورج مور الروايات التالية: "أزهار العاطفة المتأججة" Flowers Of Passion (١٨٧٨) و"استر واترز" Esther Waters (١٨٩٤) و"إجازة حاكي القصص" A Story Tellers Holiday (١٩١٨).

رفضت مصلحة الجمارك الأمريكية عام ١٩٢٩ السماح بدخول رواية "حاكي القصص" أراضي الولايات المتحدة. وقام مأمور الجمارك بضبط نسخة من الرواية تحمل توقيع المؤلف، ووضع علامات لإبراز الفقرات البذيئة فيها. وأدت هذه الحادثة إلى جانب حظر رواية الكاتب الإنجليزي د. هــ. لورانس المشهورة "عشيق الليدي تشاترلي" Lady Chatterley'e lover إلى إثارة جدل شديد في البرلمان الأمريكي انتهى إلى تخفيف القيود التي تفرضها مصلحة الجمارك على الكتب، الأمر الذي مهد فيما بعد للسماح برواية جيمس جويس المشهورة Ulysses by James Joyce بدخول الأراضي الأمريكية. ولكن محكمة مصلحة الضرائب حكمت في عام ١٩٣٢ ببذاءة "أجازة حاكي القصص". غير أن وزارة الخزانة أقرت في العام التالي (١٩٣٣) بأنها من روائع الأدب الحديث. وقد قال جورج مور معلقا على سخافة سياسة الحظر بأنه لو افترضنا نجاح الرقباء في التخلص من جميع الكتب التي تثير غريزة الجنس فسوف تهب نسمات الربيع لتثير الغريزة الجنسية في الرجال والنساء على حد سواء.

- **فرانك هاريس (١٨٥٥ – ١٩٣١) Frank Harris**

ألف فرانك هاريس أربعة مجلدات بعنوان "حياتي وحبيباتي" my life and loves في الفترة من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٧. وفي عام ١٩٢٥ قامت جمعية مكافحة الرذيلة برئاسة جون. س. سمر John S. Summer بضبط ثلاثمائة نسخة من المجلد الثاني، ومقاضاة وكيل هاريس في نيويورك الذي حُكم عليه بالبقاء ٩٠ يوما في أحد الملاجئ.

- **جورج برنارد شو (١٨٥٦ – ١٩٥٠) George Bernard Shaw**

ألف شو مسرحية "مهنة المسز وارين في عام ١٨٩٨" Mrs. Warren's Profession و"الإنسان والسوبر مان" (١٩٠٣) Man and Superman، وفي عام ١٩٠٥ قامت مكتبة نيويورك العامة بسحب مسرحية "الإنسان والسوبر مان" من المكتبة العامة في نيويورك. وشكا أنتوني كومستوك Anthony Comstock – رئيس جمعية مكافحة الرذيلة – إلى

أرنولد دالي Arnold Daly مخرج مسرحية "مهنة المسز وارين" التي تم حظرها في لندن من عفن المسرحية؛ الأمر الذي أثار ثائرة برنارد شو، وجعله ينحت كلمة الكومستوكية Comstockery للدلالة على شدة ضيق الأفق. وردّ كومستوك على ذلك باتهام شو بأنه الكاتب الأيرلندي الذي يتاجر بالكتابات القذرة. وتمت مقاضاة مسرحيته "مهنة المسز وارين" أمام المحاكم فحكمت بعدم صلاحيتها للتمثيل. وذاعت المسرحية أكثر وأكثر بسبب هجوم كومستوك عليها، واشتد الإقبال على تمثيلها لدرجة اضطرت المسئولين إلى استدعاء الشرطة يوم افتتاحها لتفريق الجماهير المحتشدة. وبطبيعة الحال انتهى الأمر بإلغاء عرض المسرحية.

- أوسكار وايلد (١٨٥٦ – ١٩٠٠) Oscar Wilde

ألف أوسكار وايلد مسرحية سالوي ’Salome عام ١٨٩٣، وفي عام قامت جمعية حراسة إنجلترا الجديدة The New England Watch and ward sociely بمنع الممثلة ماري جاردن Mary Garden من الظهور في الأوبرا التي لحنها ريتشارد سترابوس Richard Strauss باسم سالومي، فضلا عن فرض الحظر على المسرحية التي تحمل هذا العنوان.

- هافيلوك إليس (١٨٥٩ – ١٩٣٩) Haveloak Ellis

ألف اليس عالم النفس البريطاني كتابه "دراسات في سيكولوجية الجنس" Studies in the psychology of sex في الفترة من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩١٠ وفي فيلادلفيا Philadephia قام ناشر الكتب الطبية (شركة ف. أ. دافيز F. A. Davis) في عام ١٩٠١ بإصدار هذا المرجع، الذي يقع في سبعة مجلدات لبيعها للأطباء فقط. ولكن جمهور القراء لم تتح له فرصة الاطلاع على هذا المرجع المهم إلا بعد رفع الحظر على رواية جيمس جويس "يوليسيس" في إنجلترا.

- آرثر سكينيتزلر (١٨٦٢ – ١٩٣١) Arthur Schnitzler

ألف سكينيتزلر كتابا بعنوان "ريجن" Reigen عام ١٩٠٠ و"عودة كازانوفا إلى داره" Casanova’s Home coming عام ١٩١٨، وفي عام ١٩٢٤ اعتبر قضاء الولايات المتحدة هذا الكتاب الأخير بذيئا، الأمر الذي أجبر الناشر على الامتناع عن نشره؛ ولهذا

السبب صرفت المحكمة النظر عن محاكمة الكتاب، علما بأن الأصل الألماني للكتاب استمر تداوله بحرية.

وفي عام ١٩٢٩ أدانت محكمة الجلسات الخاصة The Court of Special Session أحد الناشرين لبيعه نسخة من كتاب ريجن Reigen. وأيدت محكمة الاستئناف هذا الحكم استنادا إلى ما جاء في مقدمته أكثر مما ورد في متنه من بذاءة. علما بأن هذه المقدمة لم تكن بقلم المؤلف بل كانت بقلم شخص آخر سطا على الكتاب، ونشره بغير علم صاحبه. ولكن هذا الحظر المفروض على الكتاب لم يدم طويلا. ولم يمر زمن يذكر حتى أصبح الكتاب موضع دراسة في الكليات ومناهج الجامعات الخاصة بالأدب الألماني. وسرعان ما قامت المكتبة الحديثة modern library بنشره دون أن تجد من يعترض على ذلك. ومنذ عام ١٩٠٣ ظلت مسرحية "ريجن" تقدم على خشبة المسرح خارج الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٣٠ أحال جون س. سمر John S. Summer أمين جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة الناشر سيمون وشوستر Simon and Schuster إلى المحكمة بتهمة نشر "عودة كازانوفا إلى دياره"، ولكن المحكمة رفضت نظر القضية.

- جابرييل دانتزيو (١٨٦٣ – ١٩٣٨) Gabriele D' annunzio

في عام ١٨٩٨ أحالت جمعية المراقبة وحراسة المجتمع كتاب دانتزيو الصادر عام ١٨٩٤ إلى المحكمة ولكنها رفضت إصدار حكم بإدانته.

- إلينور جلين (١٨٦٥ - ١٩٤٣) Elinor Glyn

ألف جلين رواية بعنوان "ثلاثة أسابيع" عام ١٩٠٧. وفي العام التالي (١٩٠٨) تم القبض على مندوب الناشر لهذه الرواية، وأخلى سبيله بكفالة؛ لأنه ضبط وهو يبيع نسخة منها. وكانت جمعية الرقابة وحراسة المجتمع هي التي سلمت نسخ الرواية إلى وكيل النيابة وقضاة المحكمة الأدنى درجة. وأحيل الأمر إلى قاضي القضاة فأدان لغة الرواية، واصفا إياها بأنها غير لائقة، ولا يصح تسجيلها في سجلات المحكمة.

- هـ. ج. ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦) H. G. wells

ألف هـ. ج. ويلز H. G. wells في عام ١٩٢٦ كتابا بعنوان "عالم وليم كليسولد" The World of William Clissold وقررت مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس حظره.

- **دافيد جراهام فيليبس David Graham Phillips (١٨٦٧ - ١٩١١)**

في عام ١٩١٧ ألف فيليبس رواية بعنوان "سوزان لنوكس" Susan Lenox. وفي عام ١٩١٧ تعرضت هذه الرواية في مدينة نيويورك لهجوم جون سمر أمين جمعية مكافحة الرذيلة عليها، ولكن ناشرها د. أبلتون D. Appleton دافع عنها أمام المحاكم. وتدور الرواية حول امرأة ساقطة استطاعت أن تصل إلى مكانة محترمة في المجتمع؛ غير أن شقيقة الناشر ومدير أعماله تمكنا من إقناعه باستبعاد الفقرات البذيئة من الرواية.

- **ستانيسلاف بريبزكوسكي (١٨٦٨ – ١٩٢٧) Stanislaw Przybskewski**

في عام ١٩١٥ ألف هذا الكاتب كتابا بعنوان "الجنس البشري" Homo sapiens أحاله جون سمر إلى المحاكمة، متهما ناشره ألفريد كنوف Allfred Knopf بنشر مادة بذيئة، الأمر الذي جعل هذا الناشر يستسلم للضغوط ويسحب الكتاب من الأسواق.

- **أندريه جيد (١٨٦٩ – ١٩٥١) Andre' Gide**

ألف الأديب الفرنسي المعروف أندريه جيد كتابا عام ١٩٢٦ بعنوان "لو ماتت" If it die.

وفي عام ١٩٣٥ ألقى القبض في مدينة نيويورك على صاحب دار نشر اسمه Gotham Nook Mart لنشره هذا الكتاب، واعتبر جون سمر -أمين جمعية مكافحة الرذيلة- بأن بعض فقراته تتسم بالبذاءة. وعندما أحيل هذا الكتاب إلى المحكمة كان قد تم بيع مائة ألف نسخة منه في كل من فرنسا وألمانيا. فضلا عن أنه تم بيع كمية محدودة منه تبلغ ١٥٠٠ نسخة في أمريكا. وفي عام ١٩٣٦ أصدر القاضي ناثان د. برمان Nathan D. Perlman قراره بأن الكتاب يكشف عن الجوانب المظلمة في حياة مؤلفه غير أنه برأه من تهمة البذاءة.

- **فلاديمير لينين (١٨٧٠ – ١٩٢٤) Vladimir Lenin**

ألف فلاديمير لينين عام ١٩١٧ كتابا بعنوان "الدولة والثورة" the state and revolution كما ألف في العام التالي (١٩١٨) كتابا بعنوان "ثورة البروليتاريا في روسيا" proletarian revolution in Russia.

وفي مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس ثم في عام ١٩٢٧ ضبط كتاب لينين "الدولة والثورة" باعتباره كتابا بذيئا. وهي تهمة أشد ما تكون غرابة. وفي مدينة أوكلاهوما

Oklahoma قامت منظمة رقابية دون إذن رسمي بشن غارة على مكتبة لبيع الكتب يمتلكها روبرت وود Robert wood سكرتير الحزب الشيوعي، وتم ضبط عدد كبير من الكتب من بينها كتاب "الدولة والثورة" وكتب في الأدب الشيوعي وأعمال روائية واقتصادية ووثيقة إعلان الاستقلال الأمريكي the declaration of independence ودستور الولايات المتحدة. وتم إحراق هذه الكتب أمام الملأ في استاد المدينة الرياضي. وتم القبض على السيد والسيدة وود وزملاء المكتبة ونجار يقوم بإصلاح رفوفها بتهمة اعتناق الأفكار الثورية السندكالية، والزج بهم في أماكن منعزلة لا تتيح لهم فرصة التحدث إلى بعضهم البعض. واتهم المستر وود بتوزيع الأدب الذي يحض على استخدام العنف كما اتهمت زوجته واثنين آخرين بالانتماء إلى الحزب الشيوعي. واعتبرت المحكمة ستة من المقبوض عليهم الثمانية عشر بمثابة شهود، في حين أنها اتهمت ستة آخرين من بينهم المسز وود بالانتماء إلى الحزب الشيوعي والدعوة إلى استخدام العنف، وحكمت عليهم بالسجن لمدة عشرة أعوام وبغرامة قدرها خمسة آلاف دولار. وكان الدليل الوحيد الذي استندت إليه المحكمة هو ما وجدوه في حوزتهم من كتب ونشرات تتصل بالحزب الشيوعي. ولم تبذل المحكمة أي مجهود لإثبات أن المتهمين انخرطوا في عمل يناهض الحكومة أو إثبات أنهم مذنبون في الإتيان بأفعال تتجاوز حظر بيع الكتب. والغريب في الأمر أن المحكمة رفضت أن تلتفت إلى الدفاع كما رفضت الاستماع إلى شهود النفي. وتصدى الكثير من المنظمات كما تصدى كثير من الناشرين والكتاب لهذا الحكم الجائر. وفي عام ١٩٤٣ ألغت محكمة الاستئناف أحكام الإدانة. ورغم ذلك فإن مصلحة البريد الأمريكية المحلية حاولت في عام ١٩٥٤ منع وصول ٧٥ نسخة من كتاب لينين "الدولة والثورة" من الوصول إلى جامعة براون باعتبارها كتبا هدامة.

- بيير لويس (١٨٧٠ - ١٩٢٥) Pierre louys

ألف بيير لويس الأعمال التالية "أغاني بيليتيس" The Songs Of Bilitis عام ١٨٩٤، و"أفروديت" عام ١٨٩٦ Aphrodite و"شفق الجنيات" ١٩٠٣ The Twilight of the nymphs.

وفي عام ١٩٢٩ فرضت مصلحة الجمارك الأمريكية الحظر على "أفروديت"، و"أغاني بيليتيس"، و"شفق الجنيات" باعتبارها كتبا شهوانية وبذيئة ومفسدة للأخلاق، وفي عام ١٩٣٠ فرضت السلطات في مدينة نيويورك غرامة قدرها مائتان وخمسون دولارا على تاجر كتب

اسمه إ. ب. ماركس E. B. Marks لاقتنائه نسخة من كتاب "أفروديت" الأمر الذي يعد انتهاكا لقوانين الولاية، وفي عام ١٩٣٥ فرضت نيويورك الحظر على نسخ فاخرة من كتاب "أفروديت" رغم أن صحيفة نيويورك تايمز بوك ريفيو New York Times Book Review نشرت إعلانا لبيع النسخة الواحدة بتسعة وأربعين دولارا، مضافا إليها عشرة دولارات مصاريف إرساله بالبريد. وفي عام ١٩٥٤ أدانت المنظمة القومية للأدب المهذب وبعض المجموعات الرقابية المحلية الأمريكية الأخرى هذا الكتاب بسبب بذاءته.

- ثيودور دريزر (١٨٧١ – ١٩٤٥) Theodore dreiser

ألف الروائي دريزر "الأخت كاري" sister carrie عام ١٩٠٠ و"العبقري" عام ١٩١٥ the genius و"المأساة الأمريكية" عام ١٩٢٥ the American tragedy و"الفجر" عام ١٩٣١ و Dawn.

وفي عام ١٩٠٠ قام الناشر دايلداي Doubleday في مدينة نيويورك بطبع "الأخت كاري"، وتم تداول عدد غير محدد من نسخ هذا الكتاب قبل أن تتمكن زوجة الناشر من الاعتراض على ذلك. ثم تم فرض الحظر على بقية النسخ. ورغم ظهور طبعة إنجليزية من هذا الكتاب من عام ١٩٠١ فإن القارئ الأمريكي لم تتح له فرصة اقتنائه إلا بعد ظهور الطبعة الثانية في عام ١٩٠٧. وفي عام ١٩١٦ فرضت مدينة نيويورك الحظر على رواية "العبقري". وفي عام ١٩٢٣ أعيد طبع ونشر "العبقري" وحمل الغلاف عبارة تدل على الفخر بأن جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة سبق أن حظرته. وفي عام ١٩٣٠ أدانت المحكمة العليا في بوسطن رواية "المأساة الأمريكية"، ووقعت غرامة قدرها ثلاثمائة دولار على ناشرها. ولكن جامعة هارفارد قررت تدريسها في أحد مناهجها. والغريب أن مدينة بوسطن تداولتها عام ١٩٣٥ عن طريق مصلحة البريد رغم فرض الحظر الرسمي عليها. علما بأن رواية "الأخت كاري" ظلت محظورة في فيرمونت Vermont حتى عام ١٩٥٨.

- ماري وير دينيت (١٨٧٢ – ١٩٤٧) Mary Ware Dennett

في عام ١٩١٨ ألقت ماري وير دينيت كتابا بعنوان "الجانب الجنسي من الحياة: شرح للشباب" The sex side of life: an explanation for young people (١٩١٨). كان هدف دينيت الأصلي من تأليف هذا الكتاب هو تعليم أبنائها بعض شئون الجنس. وقد سبق لمادة الكتاب أن نشرت في مجلة المراجعات الطبية Medical of Review وأعيد نشرها

في نشرة صدرت عام ١٩١٩، استخدمتها جمعية الشبان المسيحيين والمستشفيات الحكومية. ولكن مدينة نيويورك أعلنت في عام ١٩٢٢ أنها ترفض تداول كتاب مسز دينيت عن طريق مصلحة البريد. وفي عام ١٩٢٨ نصبت المسز مايلز Mrs miles من ولاية فيرجينيا فخا للمؤلفة، فقد طلبت منها موافاتها بنسخة من كتابها المحظور فاستجابت المؤلفة لها بحسن نية، دون أن تدري أن مسز مايلز مفتشة بمصلحة البريد، وأنها كانت تريد الإيقاع بها. وفي العام التالي (١٩٢٩) قدمت المؤلفة إلى المحاكمة فوقع عليها المحلفون غرامة قدرها ثلاثمائة جنيه بسبب إرسالها كتابا بذيئا عن طريق مصلحة البريد. ولكن محكمة الاستئناف ألغت هذا الحكم عام ١٩٣٠.

- برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) Bertrand Russell

ألف برتراند راسل كتابا بعنوان "بماذا أؤمن؟" عام ١٩٢٥، وفي عام ١٩٢٩، وفرضت مدينة بوسطن حظرا عليه عام ١٩٢٩. وفي عام ١٩٤٠ عينت كلية نيويورك راسل أستاذا للفلسفة بها فاعترض الأسقف وليم ت. ماننج William T. Manning على هذا التعيين لأن راسل يناصب الدين العداء، ويدعو إلى الفسق والانحلال. ورفعت ربة بيت في بروكلين قضية ضد الكلية، لأن هذا التعيين يتسبب بإفساد أخلاق ابنتها الطالبة في هذه الكلية فألغت المحكمة قرار تعيين الفيلسوف الكبير بها. ورغم اعتراض الكثيرين على هذا القرار فقد أصرت السلطات في نيويورك على تنفيذ القرار، ورفضت الاستئناف ضده.

- شيروود أندرسون (١٨٧٤ – ١٩٥٩) Sherwood Anderson

في عام ١٩٢٥ نشر أندرسون كتابا بعنوان "الضحك الأسود" Dark Laughter. ولكن مدينة بوسطن الأمريكية وضعته على القائمة السوداء.

- جمعية المكتبات الأمريكية المنشأة عام ١٨٧٦ American Library Association

في عام ١٩١٨ وجهت وزارة الدفاع الأمريكية لوما لهذه الجمعية، لأنها سمحت للجنود الأمريكان بقراءة كتاب "أمبيروز بيرس" Ambrose Bierce "في قلب الحياة" In the midst of life وكتاب آخر للكاتب الفرنسي هنري باربوس Henri Barbusse بعنوان "تحت النيران" Under Fire والذي يدور حول الحرب، الأمر الذي اضطر جمعية المكتبات الأمريكية إلى سحب الرواية.

- **أبتون سنكلير (١٨٧٨ – ١٩٦٨) Upton Sinclair**

ألف سنكلير رواية "الغابة" عام ١٩٠٦ The Jungle ورواية "الزيت" Oil عام ١٩٢٧.

في عام ١٩١٠ شنت الولايات المتحدة حملة لحظر "الغابة"، ولكنها لم تكلل بالنجاح، وفي عام ١٩٢٧ قامت مدينة بوسطن بحظر رواية "الزيت" بسبب ما تضمنته من تعليقات على إدارة هاردنج Harding. وتصدي المؤلف للدفاع عن نفسه وألقى خطابا في حديقة بوسطن العامة على حشد يتكون من ألفي شخص حول مضمون رواية "الغابة". واعترضت الرقابة على تسع صفحات من الرواية تحتوي اثنتان منها على صفحتين مقتبستين من نشيد الإنشاد Song of Solomon، ووقعت غرامة قدرها مائة دولار على بائع الرواية كما أن مصاريف القضية كلفت المؤلف ألفي دولار.

- **جيمس برانس كابل جورجن (١٨٧٩ – ١٩٥٨)James Branch Cabell Jargen**

في عام ١٩١٩ ألف كابل جورجن "كوميديا العدالة" A Comedy of Justice . كما ألف في عام ١٩٤٩ "ابن الشيطان العزيز" The Devil's Own Dear Son وفي عام ١٩٢٠ قامت جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة بمقاضاة جورجن؛ الأمر الذي أثار سخط عدد كبير من الأدباء والجمهور وجعل من هذه الرواية المجهولة رواية ذائعة الصيت. وفي عام ١٩٢٢ تحولت هذه الرواية المجهولة إلى عمل أدبي له أهميته. كما تم صرف النظر عن إدانة الكتاب، ورغم ذلك فقد استبعدته مكتبات مهمة كبيرة من رفوفها.

- **نورمان ليندساي (١٨٧٩ - ١٩٦٩) Norman Lindsay**

ألف ليندساي رواية "العاشق الحذر" The Cautious Amorist عام ١٩٣٢ وحظرت مصلحة البريد توزيع هذه الرواية في عام ١٩٤١.

- **ليون تروتسكي (١٨٧٩ - ١٩٤٠) Leon Trolsky**

فرضت بوسطن بولاية ماساشوستس الحظر على جميع أعماله في عام ١٩٣٠.

- **شولم آش (١٨٨٠ – ١٩٥٧) Sholem Asch**

ألف شولم مسرحية "إله الانتقام" في عام ١٩٢٣ The god of Vengeance وفي العام نفسه قام البوليس بمداهمة هذه المسرحية وأغلق المسرح الذي مثلت فيه كما وقعت غرامة على الممثل الأول فيها.

- **ماري ستوبس (١٨٨٨ – ١٩٥٨) Marie Stopes**

نشرت ماري ستوبس كتاب "عشق الأزواج" في عام ١٩١٨، وفي عام ١٩٢١ تمت في ولاية نيويورك إدانة طبيب لقيامه ببيع نسخة من هذا الكتاب. وفي عام ١٩٣٠ رفضت مصلحة الجمارك استيراد كتاب لها عن تحديد النسل بعنوان "موانع الحمل" Contraception. وفي عام ١٩٣١ رفعت مدينة نيويورك الحظر على كتابها "حب الأزواج" على يد القاضي المعروف جون م. وولسي John M. Woolsey وبناء على هذا الحكم رفعت مصلحة الجمارك الأمريكية الحظر على الكتاب. وفي عام ١٩٣٩ بلغ توزيع "حب الأزواج" مليون نسخة فأعيد طبعه في نسخة سعرها ٤٩ دولارا.

- **جيمس جويس (١٨٨٢ – ١٩٤١) James Joyce**

ألف الكاتب الأيرلندي الكبير جيمس جويس رواية "أهل دبلن" في عام ١٩١٤ ورواية "يوليس" عام ١٩٢٢.

وفي عام ١٩١٨ قامت مصلحة البريد الأمريكية بإحراق مجلة "الريفيو الصغيرة" The Little Review لأنها كانت تنشر رواية " يوليسيس" مسلسلة. وفي عام ١٩٢٢ قامت السلطات الأمريكية بإحراق النسخ المستوردة من رواية "يوليسيس" فقد أحرقت مصلحة البريد خمسمائة نسخة مستوردة من هذه الرواية. وصدر حكم من المحكمة بعدم نشرها ورغم هذا الحظر الرسمي فقد سطا قراصنة الكتب على هذه الرواية وطبعوا آلاف النسخ منها. وفي عام ١٩٣٠ قام مأمور جمرك نيويورك بضبط نسخة من رواية "يوليسيس" مرسلة إلى دار نشر راندوم هاوس Random House بتهمة البذاءة رغم تقريظ النقاد العظيم لها. وفي عام ١٩٣٣ أرسل شخص في باريس نسخة من الرواية إلى إلكسندر ليندي Alexander Lindey في أمريكا فقامت مصلحة الجمارك بضبطها. وشكا لنداي من هذا الحظر إلى وزارة الخزانة التي استجابت لطلبه، وأفرجت عن الكتاب بمقتضى قانون التعريفة الجمركية Tariff Act الذي يسمح لوزير الخزانة بإدخال روائع الكتب إلى

الأراضي الأمريكية لأغراض غير تجارية. وأحيلت الرواية إلى المحكمة حيث قام المحامي موريس ل. إرنست morris L. Ernst بالدفاع عنها. وأصدر القاضي وولسي حكمه المشهور بأن الكتاب قد يكون مقيتا ولكنه ليس شهوانيا. وعند إحالة القضية إلى محكمة الاستئناف حاول النائب العام مارتن كونبويMartin Conboy اتهام الرواية بأنها تناصب الدين العداء. ولكن الرواية حظيت بتبرئة اثنين من قضاة الاستئناف مقابل إدانة قاضٍ واحد لها.

- **فرانك أبوت ماجرودر (١٨٨٢ – ١٩٤٩) Frank Abbott Magruder**

في عام ١٩٤٢ قام ماجرودر بتحرير كتاب يحمل عنوان "الحكومة الأمريكية"، وظل هذا الكتاب لما يقرب من ثمانية وثلاثين عاما الكتاب الأول في المدارس. غير أنه تعرض في الفترة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٥ لهجوم ضار وعنيف فاتهمه آلن أ. زول Allen A. Zoll ولوسيلي س. كرين Lucille C. Crain بمناصرة الشيوعية. وتأثرت بعض الولايات الأمريكية بالحملات المناهضة للكتاب فقامت ولاية جورجيا Georgia باستبعاده، وحاولت التخلص من ثلاثين ألف نسخة منه كما أن بعض المدارس في هاوستن Houston بولاية تكساس Texas وفي الليتل روك Little Rock بولاية أركانسو Ark حظرت تدريسها. غير أن كبار رجال التربية والتعليم وبعض الصحف والمجلات تصدوا لهذا الهجوم الشرس على الكتاب فعاد إلى سابق مجده. وفي عام ١٩٥٥ ظهرت طبعة منه حظيت برضاء كل الولايات الأمريكية.

- **ليون فيختوانجر (١٨٨٤ – ١٩٥٨) Lion Feuchtwanger**

في عام ١٩٢٦ ألف فيختوانجر كتابا بعنوان "القوة" Power وفي عام ١٩٣٠ فرضت مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس الحظر عليه بتهمة الخلاعة والانحلال.

- **نيكوس كازانتزاكيس (١٨٨٥ – ١٩٥٧) Nikos Kazantzakis**

في عام ١٩٦٠ أصدر كازانتزاكيس ترجمة لرواية بعنوان "الإغراء الأخير للسيد المسيح" The Last Temptation of Christ. وقد شنت المجموعات اليمينية في لونج بيتس Long Beach هجوما امتد ثلاثة أعوام ضد مكتبة المدينة العامة وأمينها بسبب حيازتها لهذه الرواية وأيضا لحيازتها كتاب جيسكا ميتفورد Jessica Mitford "الطريق

الأمريكي إلى الموت" The American Way of Death وقصائد الشاعر لانجستون هيوز Langston Hughes. ولكن هذا الهجوم باء بالفشل في نهاية الأمر.

- دافيد هربرت لورانس (١٨٨٥ – ١٩٣٠) David Herbert Lawrence

أصدر د. هـ. لورانس رواية "عشيق الليدي تشاترلي" عام ١٩٢٨ Lady Chatterley's Lover بعد إصداره "نساء عاشقات" عام ١٩٢٠ و"قوس قزح" The Raindow عام ١٩١٥.

في عام ١٩٢٢ قام جون. س. سمنر المسئول في جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة بمقاضاة رواية "نساء عاشقات"، ولكن المحكمة رفضت النظر في القضية. وفي عام ١٩٢٩ فرضت مصلحة الجمارك الحظر على لوحاته Paintings. وظلت مصلحة الجمارك تحظر كتب لورانس لمدة عشرين عاما، وفي عام ١٩٣٠ احتدمت مناظرة بين السيناتور بردنسون كتنج Senetor Bronson Cutting النائب عن نيومكسيكو الذي حبذ إجراء تعديلات في قانون الرقابة والسيناتور ريد سموت Senator Reed Smoot النائب عن ولاية يوتاه Utah الذي دعا إلى عدم تغيير القانون. وفي عام ١٩٤٤ حضر جون س. سمنر إلى دار نشر ديال بريس Dial Press ومعه أمر بالتفتيش حيث ضبط أربعمائة نسخة تحمل عنوان "الليدي تشاترلي الأولى" The First Lady Chatterly وهي النسخة الأولى من رواية "عشيق الليدي تشاترلي التي طبعت في عقد العشرينيات في إيطاليا، ولكنها لم تنشر في صورتها الكاملة في الولايات المتحدة من قبل. وأعلن القاضي تشارلس ج. كوتجن Charles G. Keutgen بذاءتها، وأحال القضية إلى محكمة الجلسات الخاصة Court of Special Sessions للنظر فيها فحظيت بالبراءة. وفي عام ١٩٥٩ نشرت دار جروف للنشر Grove Press نسخة كاملة من هذه الرواية، الأمر الذي حدا بمصلحة البريد الأمريكية لضبطها، ولكنها اضطرت إلى التوقف عن ذلك.

- سنكلير لويس (١٨٨٥ – ١٩٥١) Sinclair Lewis

ألف لويس رواية "المرجانتري" Elmer Gantry عام ١٩٢٧ ومسرحية "هذا لا يمكن أن يحدث هنا" It Can't Happen Here(١٩٣٥).

في عام ١٩٢٧ فرضت مدينة بوسطن الحظر على رواية "المر جانتري"، لأنها تنعت بطلا دينيا بالبذاءة. ولكن ناشري هذه الرواية تصدوا للدفاع عنها، وفي مدينة واشنطن كلفت

مصلحة البريد موظفيها بالعمل كرقباء. فضلا عن أن المكتبات في كامدن Camden ونيوجرسي New Jersey فرضت الحظر على الرواية. وثارت عاصفة في هوليوود بولاية كاليفورنيا لأن إحدى الشركات السينمائية رفضت تحويل مسرحية "لا يمكن لهذا أن يحدث هنا" المعادية للفاشية إلى فيلم. واتهم لويس Lewis رئيس صناعة السينما ويل هايز Will Hays بأنه السبب في هذا الرفض. ورد هايز بأنه ليس صاحب القرار وأن صاحبة القرار هي الشركة المنتجة للفيلم. واحتدم الجدال حول هذا في الصحافة الأمر الذي ضاعف مبيعات المسرحية. وفي عام ١٩٣٨ ظهر لويس كوهاست Cohasset بولاية ماساشوستس وبحوزته نسخة منقحة من مسرحية "لا يمكن لهذا أن يحدث هنا" ليلعب دور دورموس جيسوب Doremus Jessup فيها. وفي عام ١٩٥٣ كان الكتاب الذي ألفه سينكلير لويس عام ١٩٤٧ واحدا من ستة آلاف كتاب، قررت ولاية إلينوا Illinois استبعادها من مكتبات الدولة بسبب اتهام إحدى الأمهات إحدى مكتبات الولاية بأنها أعادت ابنتها كتابا مسيئا.

- رادكلين هول (١٨٨٦ – ١٩٤٣) Radclyffe Hall

ألفت هذه الكاتبة عام ١٩٢٨ رواية بعنوان "بئر الوحشة" The Well Of Loneliness تدور حول الممارسات السحاقية.

وفي العام التالي قام جون. س. سمنر رئيس جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة باستصدار أمر من قاضي القضاة ماك أدو Mc Adoo بمداهمة مكتب الناشر، واستبعاد ٨٦٥ نسخة متبقية من الطبعة السادسة لهذه الرواية. ثم هاجم سمنر بعد ذلك إدارة ماسي Macy للكتب.

غير أن المحامي موريس ل. إرنست Morris L. Ernest دافع عن هذه الرواية أمام محاكم نيويورك حتى تمكن أخيرا من تبرئتها. وفي هذه القضية سعى القاضي إلى إضافة مادة جديدة من قانون البذاءة مفادها أن موضوع الرواية بذئ وليست لغتها وعباراتها. وفي عام ١٩٤٤ حصلت المؤلفة على جائزتين هما جائزة "حياة فيمينا السعيدة" Femina Vie Heureuse وجائزة جيمس تيت برايس James Tait Black Prise تقديرا لها على تأليف رواية "سلالة آدم" Adam’s Breed.

- **هارولد أو رج (١٨٨٦ – ١٩٦٠) Harold O. Rugg**

في الفترة من ١٩٢٩ حتى ١٩٤٠ ألف رج كتابا بعنوان "مقدمة لمشكلات الثقافة الأمريكية" An Introduction to American Culture نقحه عدة مرات، وغير عنوانه إلى "بلادنا وشعبنا" Our Country and Our People.

وفي الفترة من ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤١ تعرضت الطبعات الأمريكية الواسعة الانتشار من هذا الكتاب لهجوم المجلس الأمريكي للدعاية Advertising Council Of America لما اعتبرته انتقادا لممارسات الدعاية في الولايات المتحدة. كما أن مؤسسة اللجيون الأمريكي American Legion هاجمت كتاب رج بسبب ما اعتبرته تخريبا وتدميرا للمؤسسات الأمريكية. ولم يسكت المؤلف على هذا الهجوم بل رد عليه بقوة مستندا إلى مناصرة رجال التربية والتعليم وقادة الأمة المدنيين له؛ ولكن يجدر بالذكر أن أعداء رج نجحوا في سحب الكتاب من بعض المدارس.

- **دونالد هندرسون كلارك (١٨٨٧ – ١٩٥٨) Donald Henderson Clarke**

ألف كلارك "الأنثى" Female عام ١٩٣٣.

في عام ١٩٣٣ اتخذ البعض في مدينة نيويورك (وفي حي مانهاتن manhattan على وجه التحديد) إجراءات التقاضي ضد الناشر الذي أصدر كتاب "الأنثى". ولكن القاضي على أي حال رفض النظر في القضية. وبعد مرور خمسة أشهر قام شخص يعيش في أستوريا Astoria في لونج أيلاند Long Island بإقراض نسخة من رواية "الأنثى" إلى ضابط بوليس لقراءتها فقامت الشرطة باستدعائه ومحاكمته بتهمة إقراض كتاب بذئ. وحكم عليه بغرامة قدرها مائة دولار أو الزج به في السجن لمدة عشرين يوما.

- **إيو جين أونيل (١٨٨٨ – ١٩٥٣) Eugene O' Neill**

ألف الكاتب المسرحي أونيل مسرحيتين؛ الأولى عام ١٩٢٤ بعنوان "الرغبة تحت شجر الدردار" Desire Under the Elms والثانية عام ١٩٢٨ بعنوان "فاصل مسرحي غريب" Strange Interlude.

في عام ١٩٢٥ قام بوليس نيويورك بإلغاء مسرحية "الرغبة تحت شجر الدردار"، في حين تم افتتاح "فاصل مسرحي غريب" عام ١٩٢٨ في هذه المدينة ليحصل بها أونيل على

جائزة بوليتزر Pulitzer للمرة الثالثة. وفي العام التالي فرضت مدينة بوسطن الحظر على "فاصل مسرحي غريب". ولكن هذا "الفاصل" قدم على خشبة المسرح في كوينسي Quincy. وقد وجد هذا الحظر تأييدا من الصحف الكاثوليكية.

- **أدولف هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥) Adolf Hitler**

ألف النازي المعروف أدولف هتلر كتاب "كفاحي" Mein Komff في الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٢٧.

وفي عام ١٩٣٦ عرض كتاب كفاحي للبيع في جمعية جاليري أندرسون للفن الأمريكي American Art Association نظير ٢٥٠ دولارا للنسخة الواحدة، وكانت تلك المرة الأولى التي يباع فيها هذا الكتاب في المزاد في كل من أوروبا والغرب. ونظراً للتهديد باندلاع المظاهرات المعارضة لإقامة هذا المزاد طلب المشرفون عليه من الشرطة التدخل لحمايته.

- **بوريس باسترناك (١٨٩٠ – ١٩٦٠) Boris Pasternak**

كتب باسترناك رواية دكتور زيفاجو Doctor Zhivago عام ١٩٥٨. منحته ستوكهولم Stockholm جائزة نوبل للأدب، ولكن الاتحاد السوفييتي منعه من السفر لاستلام الجائزة؛ الأمر الذي أثار حنق الطلبة في جامعة بيل Yale فقدموا التماسا سطره رئيس هذه الجامعة أ. هويتني جرسولد A. Whitney Gris Word إلى السلطات السوفيتية للسماح لبسترناك بالسفر إلى السويد لاستلام الجائزة.

- **برسي ماركس (١٨٩١ – ١٩٥٦) Percy Marks**

ألف برسي ماركس عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان "عصر البلاستيك" The Plastic Age" قامت مدينة بوسطن عام ١٩٢٧ بحظره لانتقاده للحياة الجامعية الأمريكية.

- **هنري ميلر (١٨٩١ – ١٩٨٠) Henry Miller**

ألف الروائي الأمريكي ميلر ثلاث روايات، تعرضت جميعها للحظر هي مدار السرطان Tropic of Cancer (١٩٣٤)، ومدار الجدي Tropic of Capricorn (١٩٣٨) والجنس Sexus. ففي عام ١٩٣٤ فرضت مصلحة الجمارك الحظر على "مدار السرطان" وفي عام ١٩٥٣ أيدت محكمة استئناف سان فرانسيسكو San Francisco الحظر

المفروض على كل من "مدار السرطان" و"مدار الجدي"، وفي عام ١٩٦١ نشرت دار جروف للنشر رواية "مدار السرطان" فهاجت أمريكا وقامت بمصادرتها عدة ولايات أمريكية هي نيويورك وفلوريدا وكاليفورنيا وماساشوستس وإلينوي. ولكن المحكمة الأمريكية العليا في عام ١٩٦٤ برأت رواية "مدار السرطان" من تهمة البذاءة.

- **إريك بوسلت (١٨٩٢ -) Eric Possalt**

أصدر بوسلت في عام ١٩٤٣ مجموعة أغاني القوات المسلحة. ولكن مصلحة البريد الأمريكية منعت إرسال هذه الأغاني عن طريقها.

- **ألدوس هكسلي (١٨٩٤ – ١٩٦٣) Aldous Huxley**

ألف الروائي الإنجليزي ألدوس هكسلي الروايات الأربعة التالية: "القش المثير للضحك" Antic Hay (١٩٢٣) "نقطة مقابل نقطة" (١٩٢٨) Point Counter Point و"عالم جديد شجاع" (١٩٣٢) Brave New World و"أعمى في غزة" (١٩٣٦) Eyeless In Gaza. وفي عام ١٩٣٠ حظرت مدينة بوسطن رواية "القش المثير للضحك" بتهمة البذاءة. وفي عام ١٩٥٣ وضعت المنظمة القومية للأدب المهذب في أمريكا كتاب "القش المثير للضحك" على القائمة السوداء بسبب بذاءته.

- **ألفريد كينس (١٨٩٤ – ١٩٥٠) Alfred Kinsey**

ألف كينسي "السلوك الجنسي عند الذكور" عام ١٩٤٨ Sexual Behavior in the Human Male "السلوك الجنسي عند الإناث" Sexual Behavior in the Female عام ١٩٥٣.

في عام ١٩٥٦ قام معهد البحوث الجنسية Institute for Sex Research باستيراد مجموعة كتب كينسي Kinsey من أوروبا، الأمر الذي جعل مصلحة الجمارك الأمريكية تأمر بضبطه وإحالته إلى المحكمة الفيدرالية في نيويورك بعد حجزه لمدة ستة أعوام. وشكا كينسي من الصعوبات الكأداء التي يواجها الباحث الأمريكي في الحصول على المادة العلمية التي يريدها. وفي عام ١٩٥٧ أصدر القضاء قرارا بحق الباحثين في استيراد ما يحتاجون إليه من الخارج من مادة علمية. ووافقت مصلحة الجمارك على اتباع هذه السياسة. وهكذا أصبحت كتب كينسي اللبنة الأولى التي شكلت مقتنيات جامعة إنديانا Indiana من الكتب المصادرة والتي توفر الباحثون في هذه الجامعة على دراستها وتحليلها، ومن بينها كتاب في

الأدب "المكشوف" ألفه كاتب إنجليزي في العصر الفيكتوري بعنوان "حياتي السرية" My Secret Life.

- أدمون ويلسون (١٨٩٥ – ١٩٧٢) Edumund Wilson

ألف أدموند ويلسون في عام ١٩٤٦ كتابا بذيئا بعنوان "مذكرات مقاطعة هيكيت" Memoirs of Hecate County.

وفي نفس عام النشر صادر بوليس مدينة نيويورك مائة وثلاثين نسخة من هذا الكتاب، كانت مكتبات الناشر دبلداي Doubleday تحتفظ بها بسبب اتهام جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة له بالبذاءة والشهوانية وكان قد بيع منه في غضون أربعة أشهر من نشره خمسون ألف نسخة. علما بأن محكمة الجلسات الخاصة أصدرت حكمها ببذاءة الكتاب، ووقعت غرامة قدرها ألف دولار على الناشر دابلداي. وحذرت النيابة العامة في المقاطعة بحبس أي شخص لمدة عام يضبط متلبسا ببيع الكتاب، وأيضا فرضت غرامة على بائعي الكتب في مدينة لوس أنجلوس Los Angeles. ولكن محكمة الاستئناف ألغت الغرامة فيما بعد. وفي مدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا تمت تبرئة بائع كتب بعد إعادة محاكمته، كما أن بوليس فيلادلفيا صادر عددا من نسخ هذا الكتاب. وأيضا توقف الناشرون في ولاية ماساشوستس عن استيراد الكتب بسبب قوانين الرقابة التي شنتها هذه الولاية. وعلى الصعيد القومي استندت مجموعة الصحف التي يمتلكها هيرست Hearst إلى رواية "مقاطعة هيكيت" كركيزة للحملة التي شنتها ضد الكتب البذيئة. وفي عام ١٩٤٧ أيدت ولاية نيويورك قرار الحظر كما أن مصلحة البريد الأمريكية في عام ١٩٥٦ منعت إرسال الرواية المحظورة عن طريقها. وفي عام ١٩٦١ أصدرت المكتبة الأمريكية الجديدة New American Library نسخة ذات غلاف ورقي طبع عليه "ممنوع بيعه في ولاية نيويورك"، وفي عام ١٩٦٦ أصدرت دار نشر بالآنتين Ballantine Books نسخة ذات غلاف ورقي طبعت عليه العبارة التالية "ممنوع بيعه في ولاية نيويورك، ولا يزال محظورا في هذه الولاية".

- وليام فولكنر (١٨٩٧ – ١٩٦٢) William Faulkner

ألف وليم فولكنر "الناموس" Mosquitos عام ١٩٢٧، و"المحراب" Sanctuary عام ١٩٣١، و"النخيل المتوحش" The Wild Palms عام ١٩٣٩.

في عام ١٩٤٨ اشتكى قسيس أصولي من بيع الكتب البذيئة في فلاديلفيا فأرسل رئيس مفتشي المباحث أحد رجال بوليس الآداب للتحقيق في هذا الأمر واشترى نحو ٢٥ كتابا من تأليف فولكنر واضعا علامات على الكلمات والفقرات غير اللائقة. ثم أغار البوليس دون الحصول على إذن بالتفتيش على أربع وخمسين مكتبة وتم ضبط ما يقرب من ألفي كتاب بذئ تحتوي على روايات "الناموس" و"المحراب" و" النخيل المتوحش". وفي أثناء ذلك حصل البوليس على إذن بالقبض على خمسة بائعي كتب. واشتملت هذه القضية على بعض الكتب التي ألفها جيمس ت. فاريل James T. Ferrell، مثل "العالم الذي لم أصنعه قط" A world I Never Made و"خيول لوتيجان" Studs Lonigan. وتولى ناشرو هذه الكتب الدفاع عنها. وفي عام ١٩٤٩ دحض القاضي كيرتس بوك Curtis Bok هذا الاتهام قائلا إن هذه الكتب واقعية وتصور لنا الحياة على حقيقتها، وفي ١٩٥٠ أيدت محكمة بنسلفانيا العليا الحكم الذي أصدره القاضي بوك. ولكن بعض كتب فولكنر مثل "المحراب" و"بيلون" و"راتب العسكري" وجدت من يدينها ويحظرها، ويضعها على القائمة السوداء التي تصدرها المنظمة القومية للأدب المهذب.

- ويلهلم رايخ (١٨٩٧ – ١٩٥٧) Wilhelm Reich

في عام ١٩٤٥ نشر رايخ ترجمة من الألمانية لكتاب الثورة الجنسية وترجمات أخرى للكتب التالية "تحليل الشخصية" (١٩٤٥) Character Analysis "التحليل النفسي الجماهيري للفاشية" (١٩٤٦) The Mass Psychology of Fascism ووظيفة الجماع Function of the Orgasm.

في عام ١٩٥٦ نشر هذا المترجم بعض النظريات الزائفة عن علاج بعض الأمراض الجنسية فالتجأت إدارة الطعام والدواء بالحكومة الأمريكية إلى القضاء، ونجحت في استصدار حكم قضائي بمنع هذا الكتاب من نشر أي معلومات تدعي القدرة على شفاء أمراض الجنس. ولكن رايخ رفض الانصياع لهذه الحكم فأمرت المحكمة في عام ١٩٥٦ بإيداعه بالسجن حيث وافته المنية. ومن ناحيتها قامت إدارة الطعام والدواء بحرق نسخ من الكتب التي ترجمها ثيودور ب. وولف Thedore P. Wolfe من الألمانية، ونشرها له المعهد الذي أسسه رانج باسم معهد أرجون Orgone Institute علما بأن الناشر فيرار وستراوس وجيرو Farrar Straus and Giroux تولى نشر أعماله فيما بعد.

- **ليليان سميث (١٨٩٧ – ١٩٦٦) Lillian Smith**

ألفت ليليان سميث عام ١٩٤٤ رواية بعنوان الفاكهة الغريبة Strange Fruit.

في عام ١٩٤٤ قام مجلس إدارة تجار الكتب بالقطاعي Board of Retail Book Merchants ورئيس الشرطة بفرض الحظر على هذا الكتاب في مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس. ولكن اتحاد الحريات المدنية في هذه الولاية Civil Liberties Union تصدى لهذا الحظر. وأصدرت محكمة بوسطن حكما على هذا الكتاب لبذاءة لغته، كما حكمت على بائعه بغرامة قدرها مائتا دولار خفضت فيما بعد إلى خمسة وعشرين دولار. وفي مدينة نيويورك أبلغ ناشر الرواية بأن مصلحة البريد الأمريكية ضبطت ست نسخ منها وأضافت هذه المصلحة أنها سوف تمتنع عن إرسال أي نسخ أخرى بالبريد. علما بأنه تم بيع مائتي ألف نسخة منها. وفي مدينة ميتشيجان بولاية ديترويت اتفقت معظم المكتبات اتفاق جنتلمان مع البوليس على عدم بيع هذه الرواية للزبائن؛ ولكن مكتبة اتحاد عمال السيارات رفضت سحبها، فأصبح من الممكن استعارتها من المكتبة العامة التي أصرت على تداول الكتاب ورفض استبعاده. واحتدم النزاع ولم يهدأ إلا بعد أن رفع البوليس الحظر عليه. ولكن محكمة أعلى درجة في ماساشوستس أيدت حكم الإدانة الصادر من المحكمة العليا عام ١٩٤٤ واصفة الرواية بأنها خطر داهم على أخلاق الشباب.

- **أرنست همنجواي (١٨٩٨ – ١٩٦١) Ernest Hemingway**

ألف همنجواي الروايات التالية "الشمس تشرق أيضا" The Sun Also Rises (١٩٢٦) و"وداعا للسلاح" (١٩٢٩) Farewell To Arms و"١٩٣٧" و"لمن تدق الأجراس" (١٩٥٠) For whom the bell tolls ورواية الفقراء والأغنياء To have and have not (١٩٣٧) وعبر النهر وداخل الأشجار (١٩٥٠) Across the River and Into the Tree و"العجوز والبحر" The Old Man and the Sea (١٩٥٢).

وفي عام ١٩٣٠ قامت مدينة بوسطن بفرض الحظر على رواية "الشمس تشرق أيضا" وفي عام ١٩٣٨ تم إيقاف تداول رواية "الفقراء والأغنياء" في المكتبة العامة. ولكن المكتبة احتفظت بها ضمن أعمال كبار الكتاب كما تم حظر بيعها بناء على أوامر وكيل نيابة إقليم واين بسبب الشكوى التي تقدمت بها المنظمات الكاثوليكية، وكذلك شكا أحد أحياء نيويورك من الرواية فتم حظر توزيعها.

وفي عام ١٩٤١ أوصت الهيئة الاستشارية لجائزة بولتز منح هذه الجائزة لرواية "لمن تدق الأجراس" لعام ١٩٤٠، فخاطبها نيكولاس مراي بتلر Nicholas Murray Butler محذرا: "أتعشم أن نتدارس الأمر قبل أن تطلبوا من الجامعة أن تكون لها علاقة بعمل من هذا القبيل، وتم حجز جائزة بولترز للرواية في عام ١٩٤٠. وفي هذا العام نفسه أعلنت مصلحة البريد أنها سوف تمنع إرسال هذه الرواية عن طريقها. وأيضا في عام ١٩٦٠ فرض الحظر على رواية "الشمس تشرق أيضا" في مدارس سان جوزيه San Jose في كاليفورنيا، كما تم سحب كل مؤلفات همنجواي من مكتبة مدرسة ريفر ساید River Side. وفي عام ١٩٦٢ أعربت جماعة أهل تكساس المدافعة عن أمريكا اعتراضها على توجيه اهتمام الطلبة إلى كتابات همنجواي.

- **ايريش ماريا ريمارك (١٨٩٨ – ١٩٧٠) Erich Maria Remarque**

طالبت مدينة بوسطن حظر رواية ريمارك "كل شيء هادئ في الميدان الغربي All is Quiet in the Western Front رغم مراجعتها وتنظيفها من القاذورات بناء على اقتراح نادي الكتاب المشهور. وفي نفس هذا العام فرضت مصلحة الجمارك الأمريكية الحظر على نسخ للرواية مترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية.

- **فلاديمير نايوكوف (١٨٩٩ – ١٩٧٧) Vladmir Nabokov**

نشر نابوكوف رواية "لوليتا" Lolita في باريس عام ١٩٥٤، وأعرض الناشرون الأمريكان عن نشرها؛ باعتبار أنها لا تستحق النشر؛ ولكن مجلة أنكور ريفيو Anchor Review نشرت ملخصا لها، وتعرضت هذه الرواية للحظر في أنحاء كثيرة من أمريكا.

- **والت ديزني (١٩٠١ – ١٩٦٦) Walt Disney**

حظرت الولايات المتحدة رسوم ميكي ماوس Mickey Mouse التي ابتدعها والت ديزني؛ لأن أحد هذه الرسوم صور بقرة تخلد إلى الراحة في أبعد المراعي، وهي تقرأ كتابا ألفته ألينور جلين Elinor Glyn بعنوان "ثلاثة أسابيع" Three Weeks.

- **جون شتاينبك (١٩٠٢ – ١٩٦٨) John Steinbeck**

كتب شتاينبك روايته عن عناقيد الغضب في عام ١٩٣٩ و"الأتوبيس المنحرف" The Wayward Bus في عام ١٩٤٧. وبعد نشر رواية "عناقيد الغضب" بسبعة أشهر قامت

المكتبة العامة في سان لويس San Louis بحرق ثلاث نسخ من هذه الرواية، الأمر الذي قوبل باعتراض المجلس القومي للتحرر من الحظر National Council on Freedom from Censoring. وتم وضع الرواية على الرفوف الخاصة بالراشدين فقط. وفي العام نفسه تم حظرها في مدينة كانساس Kansas وفي مدن أخرى بولاية أوكلاهوما، ولكن في مدينة نيويورك وفي مدن أخرى تم تقرير هذا الكتاب على دارسي علم الاجتماع في كلية مدينة نيويورك.

وفي ولاية كاليفورنيا فرضت جمعية المزارعين في مقاطعة كيرن The Association of Farmers in Kern حظرا واسع النطاق على هذا الكتاب في المدارس والمكتبات العامة باعتباره كتابا سيئا. وكذلك تم في الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ وضع رواية "الأتوبيس المنحرف" على القائمة السوداء رغم حصولها على جائزة بوليتزر، حيث أعربت لجنة "جازنجز" Gathings Committee (وهي لجنة قام الكونجرس باختيارها لحماية الأدب من البذاءة) عن ضرورة فرض الحظر على الأدب البذئ في كثير من المدن.

أرسكين كولدويل (١٩٠٣ – ١٩٨٧) Erskine Caldwell

ألف كولدويل روايتي "طريق التبغ" في عام ١٩٣٢ و"فدان الله الصغير" عام ١٩٣٣ (Tobacco Rd. God's Little Acre).

وفي عام ١٩٣٣ قامت جمعية نيويورك لمحاربة الرذيلة بحظر رواية "فدان الله الصغير" في مدينة نيويورك. وقد أصدر هذا الحكم القاضي بنيامين جرينزبان Benjamin Greenspan، غير أنه قوبل بالمعارضة الشديدة. وطالب المعارضون لهذا الحظر بالحكم على الكتاب ككل وليس كفقرات مستقلة أو منفصلة والأخذ في الاعتبار مختلف الآراء في هذه القضية؛ فالكتاب يتسم بالأمانة والصدق في هدفه، ولا ينتمي إلى الأدب المكشوف، بمعنى أنه لا يميل إلى دعوة القراء إلى التشبه بشخصياته أو محاكاتهم في مسلكهم. فضلاً عن أنه لا جناح على المؤلف ولا ملامة عندما تستخدم شخصياته الروائية الألفاظ الخشنة وغير المهذبة. فليس من المعقول أن تطلب المحكمة من المؤلف أن يجعل شخصياته البدائية تستخدم لغة راقية ومهذبة.

وفي عام ١٩٣٥ تم حظر مسرحية "طريق التبغ" ككتاب بذئ ليس في شيكاغو أو ولاية الينوي وحدها بل في العديد من المدن الأخرى، مثل ديترويت في ولاية ميتشجان وفي سان

بول ومينا بوليس بولاية مينسونا ويوتيكا بولاية نيويورك ومدينة تولسا Tulsa بولاية أوكلاهوما. وفي واشنطن ناشد عضو البرلمان دين Dean في ولاية جورجيا بحرارة وحماس الكونجرس كي يتدخل ويمنع تصوير ولايته على هذا النحو السيء والشرير اللذين نراهما في النص المسرحي لـــ"طريق التبغ" وأرسلت السلطات ستة من وكلاء النيابة المحليين لحضور المسرحية، وتقييمها ولكن حكمهم جميعا كان في صالح المسرحية.

وفي عام ١٩٤١ تم حظر إرسال "طرق التبغ" عن طريق مصلحة البريد وكذلك رواية "فدان الله الصغير" غير أن هذا لم يمنع الإقبال الشديد على شراء هذين الكتابين من منافذ بيع الكتب.

وفي عام ١٩٤٦ فرضت مدينة سان بول في مينسوتا الحظر على "فدان الله الصغير" كما تم حظر هذا الكتاب في مدينة دينفر بكلورادو حتى لا يقع في أيدي الأطفال والمراهقين. كما قام البوليس بضبط هذا الكتاب في مدينة فيلادلفيا عام ١٩٤٨، ولكن المحكمة برأته فيما بعد.

وفي عام ١٩٥٠ قامت مدينة بوسطن بحظر الكتاب، باعتباره غير مهذب وبذيئا وساقطا طبقا لحكم المحكمة العليا بولاية ماساشوستس؛ ولكن الحظر الذي تعرضت له الرواية لم يمنع من أن تصل مبيعات طبعتها الشعبية إلى ستة ملايين ونصف مليون نسخة.

وفي عام ١٩٥٣ وضعت المنظمة القومية للأدب المهذب رواية "فدان الله الصغير" على القائمة السوداء، وهو ما فعلته لجنة جازنجز.

- فيفيان كونيل (١٩٠٣ -) Vivian Connell

ألفت فيفيان كونيل "الحجرة الصينية" The Chinese Room عام ١٩٤٢ و"سبتمبر في لعبة الورق" (١٩٥٢) September in Quinz.

في عام أرسل فانيو ميلكو Matthew F. Melko وكيل مقاطعة ميدلسكس Middlsex في نيوجرسي New Jersey قائمة أعدتها لجنة المواطنين بالكتب غير المرغوب فيها، واقترح سحبها من المكتبة. وهنا قامت دار نشر بنثام بوكس Bantham Books التي يمثلها هوراس مانجس Horace S. Manges برفع قضية ضد صاحب الاقتراح فحكم القاضي سيدني جولدمان Sidney Goldman بالمحكمة العليا بأن وكيل

النيابة انتهك الضمانات الدستورية لحرية الصحافة، مؤكدا أنه لا يوجد غبار على الكتاب المعترض عليه.

وفي عام ١٩٥٤ أيدت محكمة نيوجرسي العليا هذا الحكم. وأصدر المحلفون في محاكمة رواية "سبتمبر ولعبة الورق" أمرا بإلغاء أحقية وكيل النيابة في إعداد قوائم كتب لحظرها وطلب معونة اللجان غير الرسمية وتهديد البائعين للكتب المحظورة.

- جيمس ت. فاريل (١٩٠٤ – ١٩٧٩) James T. Farrell

ألف جيمس فاريل ثلاثيته الروائية بعنوان Studs Lonigan في الفترة من عام ١٩٣٢ إلى ١٩٣٥: و"العالم الذي لم أصنعه قط" A world I Never Made عام ١٩٣٦.

في عام ١٩٣٦ رفضت صحيفة نيويورك تايمز New York Times نشر إعلان عن صدور رواية "العالم الذي لم أصنعه قط" وخلال عام ١٩٣٧ كانت تلك الرواية الوحيدة التي قامت جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة بحظرها رغم أنها كانت مقررة في نسخة جوجنهايم الدراسية Guggenheim Fellowship. وأثناء محاكمة الرواية انبرى عدد كبير من الشخصيات البارزة للدفاع عنها، كما أن القاضي هنري هـ. كوران Henry H. Curran برأ هذه الرواية قائلا إنه لا ينبغي إدانة رواية بأكملها لوجود اعتراض على بذاءة وشهوانية بعض أجزائها.

وفي ميلووكي Milwaukee قام رئيس البوليس بضبطها، لأنها بذيئة ولا تليق بمطالعة الأطفال. وناشد المؤلف عمدة المدينة المؤمن بالاشتراكية ورئيس الشرطة الذي يدين بالاشتراكية أن يتدخل في الأمر ويفعل كل ما في وسعه لوضع حد لتصرفات البوليس غير القانونية.

وفي نيويورك أعطى نادي الشهر المؤلف منحة قدرها ألفان وخمسمائة دولار، وقد أعطيت المنحة إليه كإنسان وليس كمكافأة له على مؤلفاته.

وفي عام ١٩٤٨ ضبطت مؤلفات فاريل في ولاية بنسلفانيا ضمن ألفي كتاب آخر في غارة شنها البوليس على مكتبات فيلادلفيا؛ ولكن القاضي كيرتس بوك رفع الحظر عنها في عام ١٩٤٩.

وفي عام ١٩٥٣ وضعت لجنة جازنجر والمنظمة القومية للأدب المهذب أعمال فاريل على القوائم السوداء كما أن مدينة سانت كلود St. Claud في ولاية مينيسوتا فرضت الحظر على كتابات فاريل.

وفي عام ١٩٥٧ قامت المراكز الثقافية الأمريكية بالخارج بفرض الحظر على أعماله.

- ماكينلاي كانتور (١٩٠٤ – ١٩٧٥) Mackinlay Kantor

ألف كانتور كتابا بعنوان أندرسون فيل ANDERSON Ville عام ١٩٥٥.

وفي العام التالي (١٩٥٦) منح هذا الكتاب جائزة بوليتزر.

وفي عام ١٩٦٢ تعرض لهجوم ضارٍ وواسع النطاق في مدينة تكساس، كما تم حظره في مدينة أماريللو Amarillo.

- فينست ماكهيو (١٩٠٤-) Vincent McHugh

ألف ماكهيو عام ١٩٤٧ كتابا بعنوان "كتاكيت الفرخة الزرقاء" The Blue Hens Chickens.

في عام ١٩٤٧ قام أحد وكلاء جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة بإحضار نسخة حصل عليها من دار راندوم للنشر Random House إلى هذه الجمعية. وفي اليوم التالي حضر أمين هذه الجمعية وبحوزته أمر بضبط عدة نسخ من الكتاب، مبديا اعتراضه على جزء من الكتاب بعنوان "جناح في كاتولوس Suite from Catullus مستقى من مجموعة من القصائد الشهوانية الكلاسيكية. ولكن كبير المحلفين لم يجد أي بذاءة في الكتاب ورفض إدانته. ولهذا رحب مدير دار نشر راندوم هاوس بينيت كيرف Bennett Cerf بهذه الضبطية؛ لأنها ستسهم في زيادة مبيعات ديوان الشعر المنخفض أصلا.

- سيلفستر ستيفنس (١٩٠٤-) Sylvester Stevens

ألف سيلفستير كتابا بعنوان "بنسلفانيا مكان ولادة أمة" Pennsylvania Birth Place of a Nation وهو كتاب ذو طابع تاريخي. وفي بنسلفانيا عام ١٩٦٧ حاولت هيلين كلاي فريك Helen Clay Frick وهي ابنة أحد رجال الصناعة في القرن التاسع عشر إيقاف توزيع الكتاب المشار إليه الذي نشرته دار نشر راندوم هاوس لأنه يتضمن قدحا في والدها. وخشي المؤرخون نجاح الابنة في ذلك لما رأوه من طمس لحقائق التاريخ. وحكمت إحدى

المحاكم الفيدرالية بإيقاف الكتاب ولكن محكمة بنسلفانيا أيدت نشر الكتاب ورفضت الدعوى التي أقامتها الآنسة فريك ضده.

- جون أوهارا (١٩٠٥ – ١٩٧٠) John O'Hara

ألف أوهارا "موعد في سمارا" عام ١٩٣٤ Appointment in Samarra و"عشرة شمال فردريك" Ten North Frederick عام ١٩٥٥.

في عام ١٩٤١ أعلنت مصلحة البريد الأمريكية أنها لن تسمح بإرسال "موعد في سمارا" عن طريقها رغم أن الكتاب كان يباع علنا. في عام ١٩٥٧. حظر هذا الكتاب لمدة عامين في العديد من المحليات، وذلك في وقت ذيوع وانتشار كتابه الآخر "عشرة شمال فردريك". حدث هذا في كليفلاند Clevaland بولاية أوهايو Ohio وأولباني Albany في نيويورك وأوماها Omaha في نبراسا Nebrassa وديترويت في ميتشجان. ورغم أن هذا الكتاب حصل في عام ١٩٥٦ على جائزة الكتاب القومي للقصة National Book Award قام رئيس الشرطة بيجنز Piggins استنادا إلى قوانين البذاءة في ميتشجان بفرض الحظر على طبعته الشعبية. ويجدر بالذكر أن الكتاب ظل يباع في طبعته الغالية لمدة عام، ظلت المكتبات العامة خلاله تحتفظ به. وقد أصدرت محكمة الإقليم الفيدرالية حكما بإلغاء قرار رئيس الشرطة في ديترويت بحظر تداول الكتاب.

وفي عام ١٩٥٨ أدانت محكمة مقاطعة أولبني Albany العليا في نيويورك دار نشر بنتام وجون أوهارا وموزعي "عشرة شمال فردريك" بتهمة التآمر لنشر وتوزيع كتاب بذيء، وتولى المحامون عن الكتاب فحص شهادة الشهود، ووصلوا إلى نتيجة مفادها أن مقيمي الدعوة لم يطالعوا الكتاب كله. وتم رفع الحظر على الكتاب بمقتضى الحكم الذي أصدره روث Roth والقاضي ببطلان إدانة أي كتاب إذا لم يقرأه المحلفون أو كبير المحلفين من أوله إلى أخره.

وفي ميتشجان فرض بوليس ديترويت الحظر على نسخة "عشرة شمال فريدريك" الغالية الثمن والصادرة عن دار نشر راندوم هاوس والنسخة الشعبية الرخيصة الصادرة عن دار نشر Bantam Books ولكن الناشرين استطاعوا الحصول على إلغاء دائم لهذا الحظر، فضلا عن أن السلطات في ديترويت فيما بعد صرفت النظر عن هذه القضية.

- **جان بول سارتر (١٩٠٥ – ١٩٨٠) Jean Paul Sartre**

في عام ١٩٥٤ قامت جميع مراكز الاستعلامات الأمريكية في جميع أنحاء العالم باستبعاد مؤلفات الفيلسوف المعروف جان بول سارتر من مكتباتها العامة.

- **وليام ستايج (١٩٠٧-) William Steig**

في عام ١٩٦٩ ألف ستايج كتابا بعنوان "سيلفستر والحصى السحري" Sylvester and the Magic Pebble.

وفي عام ١٩٧٧ كتبت جمعية شرطة إلينوي إلى أمناء المكتبات العامة يطلبون منهم استبعاد هذا الكتاب لأن جميع شخصياته وهم من الحيوانات يصورون رجال الشرطة كخنازير.

- **لورانس داريل (١٩١٢-) Lawrence Durrell**

ألف لورانس داريل "الكتاب الأسود" عام ١٩٣٨. وفي عام ١٩٦١ فرضت مصلحة البريد الأمريكية الحظر على هذا الكتاب ولكن السلطات رفعت الحظر عنه فيما بعد.

- **هارولد روبنز (١٩١٢-) Harold Robbins**

في عام ١٩٦١ ألف روبنز رواية بعنوان The Carpet Baggers. وفي العام نفسه طلب البوليس في واتربري Waterbury وبريدج بورت Bridgeport من بائعي هذا الكتاب بالجملة والقطاعي سحب هذه الرواية من الأسواق بسبب بذاءتها. فرفع ناشر كتب الجيب الذي أعاد نشر الرواية قضية تعويض بسبب ما لحق به من خسائر. ولكنه خسر القضية. ولكن المحكمة العليا الأمريكية ألغت هذا الحكم بالإدانة واشترطت ضرورة قراءة الكتاب ككل قبل الحكم بإدانته.

- **جارث وليامز (١٩١٢-) Garth Williams**

في عام ١٩٥٨ ألف جارت وليامز قصته "عرس الأرانب"The Rabbits Wedding.

وفي عام ١٩٥٩ تعرضت هذه الرواية في ألاباما Alabama إلى هجوم "مجلس المواطنين البيض" White Citizens Council عليها، فأصدر قسم الخدمات بمكتبات الدولة العمومية أمرا باستبعادها من الرفوف، لأنها تشجع على الاختلاط والامتزاج العرقي.

- **ريتشارد بيسل (١٩١٣ – ١٩٧٧) Richard Bissell**

ألف بيسل في عام ١٩٥٠ كتابا بعنوان "على امتداد النهر" A stretch on the River. وفي عام ١٩٥١ أمر وكيل نيابة في أيوا الشرطة بمداهمة المكتبات العامة ومكتبات البيع لضبطه.

- **ارفنج شولمان (١٩١٣ -) Irving Schulman**

ألف شولمان كتابا بعنوان "نبلاء أمبوي" The Amboy Dukes في ١٩٤٩ – ١٩٥٠. وشنت مدينة ميلووكي Milwaukee بولاية وسكونس ومدينة ديترويت بولاية ميتشجان ومدينة نيويورك وولاية نيوجرسي، وفي أماكن أخرى هجوما على الكتاب. وفي عام ١٩٥٤ وضعت المنظمة القومية للأدب المهذب هذا الكتاب على القائمة السوداء.

- **وليام بوروز (١٩١٤-) William Burroughs**

في عام ١٩٥٩ ألف وليام بوروز رواية "الغداء العاري" موضوع الكتاب الذي بين أيدينا والذي يروي قصة تقديمه إلى المحكمة بتهمة البذاءة.

* * *

ولم يتوقف مسلسل الحظر الذي فرضته أمريكا على الأدب والفكر والثقافة عند هذا الحد فقد تم حظر كتاب هوارد فاست Howard Fast "المواطن توم بين" Citizen Tom Paine الصادر عام ١٩٤٣، وكتاب إميلي دافي Emily Davie "بروفيل أمريكا" Profile America عام ١٩٥٤ وكتاب إيف ميريام Eve Merriam بعنوان "الوزة الأم في المدينة الداخلية" The Inner City Mother Goose عام ١٩٦٩. كتاب إرفنج والاس Irving Wallace "نادي المشجعين" The Fan Club عام ١٩٧٤ وكتاب "الساعة البرتقالية" A Clockwork Orange لأنتوني برجيس Anthony Burgess عام ١٩٧٣ ومجلة "الريفيو الصغيرة" The little Review عامي ١٩١٧ و١٩٢١ ورواية ج. د. سالنجر J.D. Salinger أعوام ١٩٥٥ و١٩٦٠و ١٩٦١، ورواية كاملين وينسور "عنبر إلى الأبد" Forever Amber عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ وكتابي الكس كومفورت Alex Comfort "بهجة الجنس" The Joy of sex و"بهجة الجنس الأعظم" More Joy of Sex عام ١٩٧٨ وكتابي جون هوارد جرفين John Howard Griffin أعوام ١٩٥٤ و١٩٥٧و ١٩٦٦.

وكتاب جون كيتس John Keats "سيرة حياة هوارد هيوز" Howard Hughes عام ١٩٦٦، ورواية جيمس جونز James Jones "من هنا إلى الأبد" From Here to Eternity في الأعوام التالية: ١٩٥١ و١٩٥٣ و١٩٥٤ و١٩٥٥ وليونارد بيشوب Leonard Bishop مؤلف كتاب "في كل شوارعكم" Down All Your Streets في عامي ١٩٥٣ و١٩٥٤، ووليم مانشستر William Manchesterمؤلف "موت رئيس" The Death of a President التي تدور حول مقتل جون كيندي.

ومؤلفات كيرت فونيجت الأصغر .Kurt Vonnegut Jr وهي "المجزر رقم ٥" Slaughterhouse Five ومهد القطة Cat's Cradle "والله يباركلك يا مستر روز واتر" God Bless You, Mr. Rose Water في أعوام ١٩٧٢ و١٩٧٣ و١٩٧٥ وكتاب كولدر ولنجهام Calder Willingham "النهاية كرجل" End as a Man الذي فرض عليه الحظر في الأعوام التالية ١٩٤٧ و١٩٤٨ و١٩٥٠، وكتاب جوزيف هيلر Joseph Heller عن الجاسوسية بعنوان "امسك ٢٢" Catch 22 عام ١٩٧٢، و"رواية نورمان مالر Norman Mailer العرايا والميت The Naked and the Dead التي حظرت في أمريكا في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٤ وكذلك حظرت أمريكا أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ و١٩٦٥ رواية "بلد آخر" Another Country لجيمس بولدوين James Baldwin، ورواية "بيتون بلاس" Peyton Place لمؤلفتها جريس متاليوسGrace Metalious عام ١٩٦٠ "نباح الكلاب"، وقصائد أخرى" تأليف الين جنسبرج Allen Ginsberg عام ١٩٥٧ و"المخرج الأخير لبروكلين" Last Exit To Brooklyn تأليف هيوبرت سلبي الصغير Hubert Selby أعوام ١٩٦٥ و١٩٦٦ و١٩٧٧ و"قصة سباهن وارين" The Warren Spahn Story لمؤلفها ملتون ج. شابيرو Milton J. Shapiro عام ١٩٦٧، "وفي هذه الشوارع المنحطة" Down These Mean Streets لبيري توماس Piri Thomas عام ١٩٧٢، و"أوراق فالاتشي" The Valachi Papers لبيتر ماس Peter Maas عام ١٩٦٦، وكتاب "مفكرة جيرارد أورم الجنسية The Sex Diary of Gerard Orme لكولين ولسون Colin Wilson عام ١٩٦٤، وكتاب مايك رويكو Mike Royko "الرئيس ريتشارد ج. دالي في شيكاغو" Boss Richard J Daley of Chicago عام ١٩٧٢، ورواية شكوى بورتنوي Portnoy's Complaint لفيليب روث Philip Roth عام ١٩٦٩، وكتاب "داخل الشركة مفكرة الوكالة المركزية للمخابرات الأمريكية Inside the Company : CIA Diary تأليف فيليب أجي Philip Agee في الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٧، وكتاب الدريدج كليفر

Eldridge Cleaver "روح على الثلج" Soul on Ice عام ١٩٦٩ وكتاب المخابرات المركزية الأمريكية وعقيدة التخابر The CIA and Cult of Intelligence تأليف فيكتور مارشيتي Victor Marchetti أعوام ١٩٧٢ و١٩٧٤ و١٩٧٧. و"فاصل زمني مهذب" A Decent Interval تأليف فرانك سنيب Frank Snepp عام ١٩٧٨، و"دي بونت: ما وراء الستارة النيلون" Du Pont: Beyond the Nylon Curtain تأليف جيرارد كولبي زيلج Gerard Colby Zilg عام ١٩٧٥ و"كتاب الحب" The Love Book تأليف لينور كندل Lenore Kendel في عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧، وترجمة "الكراسة الحمراء الصغيرة" The Little Red Schoolbook لعامي ١٩٧١ و١٩٧٢.

جيل البيتس: وليم بوروز
رواية "الغداء العارى" أمام المحاكم الأمريكية

التمهيد للمحاكمة

ولد الكاتب الأمريكى وليم س.بوروز فى أسرة ثرية فى ولاية ميسورى عام ١٩١٤ وتخرج فى جامعة هارفارد عام ١٩٣٦ ثم تجول فى ربوع الولايات المتحدة وأوربا. وفى عام ١٩٤٤ أدمن الهيروين. وفى عام ١٩٥٣ دون تجاربه فى الإدمان فى كتاب يحمل عنوان "الخردة"، وبعدئذ نشر روايتين إحداهما بعنوان "الغداء العارى" (١٩٥٩)، والأخرى بعنوان "الآلة الناعمة" (١٩٦١) وهى رواية جعلت منه رائد حركة البيتس، ويعتبر بوروز أحد المجددين فى الشكل الروائى. واشترك مؤلفنا مع آلن جنسبرج أحد أقطاب حركة البيتس الأمريكية فى إصدار كتاب بعنوان "خطابات ياج" عام ١٩٦٣، فضلا عن نشره عدة كتب أخرى فيما يلى عناوينها وتواريخ نشرها: "التذكرة التى انفجرت" (١٩٦٢)، و"الأصابع الميتة تتكلم" (١٩٦٣)، و"نوفا اكسبريس" (١٩٦٤)، و"الأولاد المتوحشون" (١٩٧١)، و"المبيد المهلك" (١٩٧٣)، و"الكلمات الأخيرة لشولتز الهولندى" (١٩٧٥)، و"آه بوك موجود هنا" (١٩٧١) و"مدن الليل الأحمر" (١٩٨١). والجدير بالذكر أن بوروز قضى حياته غريبا فى كل من باريس وطنجة بشمال إفريقيا.

وتعتبر رواية "الغداء العارى" آخر حالة تمثل ممارسة الرقابة فى مجال الأدب بالولايات المتحدة فى أعقاب ما يعرف بقــضية روث لعام ١٩٥٧. وهناك فى تاريخ الأدب الأمريكى أسئلة عديدة عن فرض الرقابة الأمريكية الحظر على أعمال أدبية مهمة سابقة مثل رواية "الحرف القرمزى" لهوتورن، و"أوراق الحشائش" لهويتمان. ولجأ بعض الناشرين إلى استبعاد بعض أجزاء من رواية "تيبى" لملفيل، و"ماجى بنت شوارع" لكرين.

والجدير بالذكر أن الحملة الضارية التى شنها أنتونى كومستوك رئيس جمعية مكافحة الرذيلة تركت أثرها الجلى فى قمع الكثير من الكتابات الأمريكية فى القرن التاسع عشر، لدرجة أن الناشرين تدخلوا من تلقاء أنفسهم لاستبعاد بعض أجزاء مما ينشرون تحاشيًا لحظر الرقيب لها. وبحلول الحرب العالمية الأولى أخذ الأدب شيئا فشيئا يتخفف من القيود المفروضة على الجنس، لدرجة أن وصف الممارسات الجنسية فى الأعمال الأدبية رأى طريقه إلى الظهور. وبات الأدباء والهيئات العلمية يخشون الرقابة باعتبارها انتهاكا لحرية التعبير.

تتناول رواية "الغداء العارى" ممارسة الجنس المرتبطة بالعنف. فهى تصور لنا بحيوية العلاقة بين الجنس والعنف، والجنس وأكل لحوم البشر، والجنس ومعاشرة البهائم، واستغلال الشذوذ الجنسى. وتأرجح استقبال رواية "الغداء العارى" بين المدح والذم والثناء والقدح. فعلى سبيل المثال أثنت صحيفة النيويورك بوك ريفيو على المؤلف، فى حين هاجمها الأديب البريطانى والناقد الأكاديمى جون وين. ومما زاد الطين بلة أن بوروز قام برسم صور كاريكاتورية للموضوعات التى عالجها مما جعل الرقيب أشد يقظة وتنبها لبذاءاته. وما إن تدخل الرقيب الأمريكى فى رواية "الغداء العارى" حتى هب للدفاع عن مؤلفها كوكبة من النقاد والكتاب وعلماء النفس والاجتماع على مدار خمسة أعوام حتى قُدِّر للطبعة الأمريكية منها الظهور.

والجدير بالذكر أيضا أن القضية المرفوعة ضد الموزع والناشر صامويل روث انتهت بإدانته بمقتضى قوانين البريد التى تحظر إرسال الكتب والمجلات والصور والإعلانات البذيئة بالبريد. وقد أيدت محكمة الاستئناف الأمريكية هذا الحكم الذى أصدرته إحدى المحاكم الأدنى درجة استنادا إلى القاعدة القانونية التى تصف المواد التى يرسلها روث عن طريق البريد بالبذيئة، والشهوانية فى مجملها. وهى المواد التى دأب روث على نشرها فى

مجلته "أفروديت الأمريكية". وقد أدينت هذه المجلة بتهمة البذاءة رغم أن اثنين من الأدباء كانا يشتركان فى تحريرها.

وكذلك أدانت المحاكم الأمريكية إدوارد ميشكن لبيعه أكثر من خمسين كتابا عن السادية والماسوكية. وقد أيدت المحكمة العليا هذه الإدانة. كما أدانت رالف جنسبرج بسبب الأسلوب الذى اتبعه فى الإعلان والدعاية والترويج لمجلته "الشبق"، و"مرشد الزوجة إلى البذاءة الاختيارية". غير أن المحكمة الأمريكية العليا – ألغت الحظر الذى فرضته ولاية ماساشوسيتس على رواية "فانى هيل"، استنادا إلى أهمية هذا العمل وقيمته الفنية، حيث إنها من أهم الأعمال الأدبية التى ظهرت فى القرن الثامن عشر.

وسوف نركز هنا على رفع الحظر المفروض على رواية "الغداء العارى" فى عام ١٩٦٦، نتيجة الحكم الذى أصدرته المحكمة العليا بإلغاء الحظر. ويعتبر تشارلس رمبار هذا الحكم تاريخيًا، حيث إن الرقابة على المصنفات الأدبية كادت تتوقف فى أمريكا بعد عام ١٩٦٦.

وأثناء تقديم رواية بوروز إلى المحاكمة فى القضية المعروفة باسم قضية بوسطن يجدر بنا أن نذكر أن عددا من نجوم الأدب الأمريكى، أمثال آلن جنسبرج ونورمان مالر وجون كياردى ونورمان هولند أدلوا بشهادات لصالح الرواية. كما يجدر بالذكر أن مقدمات الطبعات التالية من هذه الرواية اشتملت على مقتطفات مسهبة من محاكمة بوسطن باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الرواية. فضلا عن اشتمالها على إشارات إلى آراء عدد من النقاد فى الرواية أمثال جون كياردى وليسلى فيلدر وإيهاب حسن وألفريد كازن وماري مكارثى وريتشارد بيرس وتيودور سولو تاروف وتونى تانر، وجون تينل.

* * *

فى يوم السبت الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٥٨ نشر المحرر جاك مابلى المعروف عادة باتجاهاته الليبرالية فى صحيفة شيكاغو اليومية عامودا عن مجلة، امتنع عن ذكر اسمها، ولكنه ذكر أنها إحدى المطبوعات التى تصدرها جامعة شيكاغو. قال إن هذه المطبوعة تنشر أقذر مجموعة من الألفاظ البذيئة التى قُدِّر لى أن أراها متداولة. ومضى مابلى يقول إن هذه المطبوعة تعكس المشاعر الاجتماعية والفكرية التى تميز بها جيل البيتس الغاضب والمتمرد. وهو جيل على حد تعبيره من الشباب المثقف الذى يحتاج إلى الاستحمام. ونتبين

من مقال مابلى أنه لم يجد أدنى غضاضة فى تمرد هذا الجيل الغاضب، ولكنه لم يطق أن يراه يستخدم الكلمات البذيئة علنا، وخاصة لأنه اعتبر أن ظهور مثل هذه البذاءات فى مجلة أدبية بمثابة إهانة للمجتمع المحترم. واستطرد قائلا إن نشر هذه الكلمات أشبه بالأطفال الصغار الذين يكتبون بالطباشير الكلمات البذيئة على رصيف شارع شجرة البلوط. وطالب مابلى بالنظر إلى كتاب هذه المجلة الجامعية على أنهم جماعة من الأوباش والمنحرفين الذين يشوهون ببذاءاتهم جدران المبانى.

وذهب مابلى إلى أن التسامح فى استخدام هذه البذاءات دليل على ما وصل إليه المجتمع الأمريكى من انحطاط ودليل على الخطر الذى يتهدده. يقول مابلى فى هذا الشأن:

"من الممكن أن تكون مفرطا فى الاحتشام كما يمكنك أيضا أن تكون مفرطا فى الليبرالية والسماحة. نحن على وشك الانزلاق إلى الجانب الآخر من الليبرالية.. إلى المحاكم والأدب والمجلات الشعبية والكتب المغلفة بأغلفة ورقية. ثم مضى مابلى إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد عاد إلى اعتبار مجلة أخبار شيكاغو الأدبية انتهاكا لأيقونات الثقافة المقدسة دون أن يذكر الكتاب الذين يسطرون البذاءات بالاسم. ولكنه طلب من مجلس أمناء جامعة شيكاغو فحص المادة التى تنشر تحت رعايتهم".

والجدير بالذكر أن مابلى ذكر بزهو فى عاموده أن مبيعات المجلة التى يشترك فى تحريرها تصل إلى ستمائة ألف نسخة.

ورغم أن مابلى لم يحدد مجلة شيكاغو ريفيو بالاسم فإن الطلبة المشتركين فى تحرير مجلة شيكاغو ريفيو عرفوا أن مابلى يقصدهم. وجاء أول رد من جانب الطلبة على عامود مابلى بصحيفة طلابية توزع فى الحرم الجامعى بعنوان "المارون"، وتضمن هذا الرد اتهاما لمابلى بعدم الإحساس بالمسئولية، وأن مقاله هجوم على جامعة شيكاغو أكثر من كونه نقدا أدبيا لمطبوعات هذه الجامعة، الأمر الذى دفع مابلى إلى التراجع والاعتذار. ومن جانبهم اعتقد الطلبة أن الأمر سوف ينتهى عند هذا الحد، وخاصة أن هجوم مابلى كان موجها على وجه التحديد إلى عدد صحيفة أخبار شيكاغو الأدبية الذى يدور حول شعراء جيل البيتس الصادر فى خريف ١٩٥٨. ولكن العدد التالى من مجلة جامعة شيكاغو (المفروض صدوره فى شتاء ١٩٥٩) تعطل عن الصدور؛ فاحتجبت عن الصدور كتابات ثلاثة أمريكان هم: جاك كيروك وإدوارد داهلبرج ووليم س.بوروز. علما بأن بوروز كان الوحيد الذى اشترك

فى تحرير عدد مجلة شيكاغو السابق الصادر فى خريف ١٩٥٨ والمثير للخلاف بالفصل الثانى من رواية "الغداء العارى".

اصطدم قارئ عدد مجلة جامعة شيكاغو الصادر فى خريف ١٩٥٨ بلغة خشنة هى لغة الشوارع والمدمنين، وبعدد من كلمات الفحش والبذاءة التى أشار مابلى إليها فى عاموده الذى انتقد فيه بوروز دون ذكر اسمه. وواقع الأمر أن بوروز لم يكن الوحيد الذى استخدم الألفاظ البذيئة فى إسهامه المنشور فى مجلة جامعة شيكاغو، فقد شاركه فى ذلك كتاب آخرون أمثال جويل أوبنهايمر فى القصيدة التى نظمها أوجون لوجان فى ذكرياته، إلى جانب البذاءات التى استخدمها آلن جنسبرج فى خطابيه إلى محررى المجلة.

وعلى الرغم من أن مابلى -كما ذكرنا- لم يذكر فى هجومه على مجلة جامعة شيكاغو وليم س.بوروز بالاسم؛ فقد كان من الواضح أنه المقصود بالهجوم. وتحاشيا لحدوث أي مشاكل فى المستقبل اقترح ألبرت بوريل على هيئة تحرير مجلة جامعة شيكاغو حذف الألفاظ البذيئة فى المستقبل؛ لتجنب المشاكل الناجمة عن نشر الألفاظ البذيئة الواردة فى عدد المجلة الصادر فى خريف ١٩٥٨. غير أن هيئة تحرير المجلة الجامعية استسخفت رد الفعل المضاد والمفروض على نشر بعض الكلمات البذيئة المتناثرة هنا وهناك، كما أنهم استسخفوا الحكم على بذاءة المواد المنشورة بالمجلة استنادا إلى بذاءة بعض أجزائها، الأمر الذى طمأن قلوبهم من الناحية القانونية، بعد أن أصدرت المحكمة الأمريكية العليا فى قضية روث ضد الولايات المتحدة حكما بعدم جواز إدانة المادة المنشورة ككل استنادا إلى وجود بعض فقرات أو ألفاظ بذيئة متفرقة فيه.

وبالنظر إلى أن مجلة جامعة شيكاغو واجهت عجزا فى ميزانيتها فقد قررت جامعة شيكاغو فى العام السابق (١٩٥٧) إقامة لجنة مكونة من خمسة أشخاص، تتولى مراقبة أحوال المجلة المالية؛ حتى لا تتكرر مشكلة العجز المالى الذى عانته. وتقرر اجتماع هذه اللجنة يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٨ (أى بعد نشر مقال مابلى بأسبوع واحد فقط). وحضر هذا الاجتماع المحرر إرفنج روزنتال وألبرت بوديل. ولكن أحدا من المجتمعين لم يشر إلى المقال الذى نشره مابلى. وبعد الاجتماع طلب ريتشارد ستيرن رئيس مجلس إدارة الكلية ومستشارها لدى المجلة التى تصدرها جامعة شيكاغو موافاته بقائمة أسماء الكتاب المساهمين فى تحرير العدد الشتوى من المجلة، وذلك بناء على رغبة عميد الكلية. وبدا غريبا أن يطلب ستيرن هذا الطلب نظرا لأن هيئة التحرير كانت تتمتع بالاستقلال من

ناحية، ولأن اللجنة كانت مختصة بالجوانب المالية من ناحية أخرى. واتضح بعد الاطلاع على قائمة الكتاب المشتركين فى عدد شتاء ١٩٥٨ (القادم) تكرار اسم وليم س.بوروز كمساهم فى تحرير المجلة، الأمر الذى أثار التخوف من احتمال تكرار اعتراض مابلى للمرة الثانية على مادة العدد المزمع نشره.

وكان من الممكن ألا يلقى طلب ريتشارد ستيرن اهتماما من المسئولين عن المجلة لولا أنه تصادف أن قابل عميد كلية الإنسانيات ونابيار ويلت راعى هذه المجلة. فقد ذكر ويلت له أنه طالع المقال الذى كتبه مابلى، وأن مجلة الجامعة باتت مهددة بعدم الصدور. ولكنه وعد ببذل قصارى جهده لإنقاذ المجلة من التوقف عن الصدور. وما إن علمت هيئة تحرير المجلة بأمر الأحاديث التى تناولها روزنتال مع ستيرن وويلت حتى اقترح البعض إزالة الكلمات البذيئة والفاضحة التى أساءت إلى مشاعر مابلى، أو وضع نقاط محل الألفاظ البذيئة. غير أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض فى نهاية الأمر، وتقرر نشر المقالات بحذافيرها وكما سطرها كتابها.

وفى يوم الجمعة الموافق ٧ نوفمبر ١٩٥٨ سلم روزنتال جميع المخطوطات المزمع نشرها فى العدد الشتوى من مجلة شيكاغو إلى روبرت كلاين المشرف على المطابع، والذى حملها بدوره إلى تونى رئيس عمال المطبعة، وبعد ظهر هذا اليوم عاد تونى إلى مكتب ويلت ليتناقش معه فى إمكانية وضع نقاط محل الكلمات البذيئة والمعترض عليها تجنبا لإثارة أي مشاكل قد تؤدى إلى تعطيل المجلة عن الظهور. ولكن ويلت رفض ووصف هذا الحل بأنه صبيانى، ولا ينبغى التفكير فيه إلا عند الضرورة القصوى وكملجأ أخير.

وأيضا حضر ريتشارد ستيرن الاجتماع بصفته مستشار الكلية لدى المجلة. ورغم عدم رضائه عما رآه من المستوى الهابط للعدد الصادر فى الخريف؛ بسبب افتتان هيئة التحرير بكتابات جيل البيتس فإنه دافع عن المجلة كمطبوعة لها قيمتها وفريدة من نوعها، وجادة يتولى الطلبة نشرها من البداية حتى النهاية.. وذهب ستيرن إلى أن المستوى الأدبى لهذه المجلة بوجه عام لا يقل عن مستوى المجلات التى يقوم الأدباء بنشرها. وأضاف ستيرن أن الاعتراف الدولى بقيمة هذه المجلة يرجع إلى ما تمتعت به من استقلال.

وافق أعضاء اللجنة على رأى كيمتون القائل إن الجامعة لا يمكنها أن تسمح لمجلة مستقلة تماما فى تحريرها بالاستمرار فى مزاولة عملها. غير أنهم فى الوقت نفسه لم يتفقوا على اتخاذ أى إجراء ضد المجلة، حتى لا يبدو أنهم يخذلون المجلة أو يتخلون عنها فى

محنتها، أو أنهم يسهمون فى فرض الحظر عليها عن طريق سحب الدعم المادى لها. كما أنهم سوف يجدون من يتهمهم بإنكار ما للمجلة من قيمة أدبية. ولهذا انتهى الاجتماع إلى عدم اتخاذ أى قرار حاسم وناجع رغم اتفاقهم مع كيمتون على ضرورة عمل شيء ما.

ذهب روزنتال إلى المطابع يوم الاثنين الموافق ١٧ نوفمبر (١٩٥٨) ليتولى بنفسه الإشراف على بروفات المجلة. ولكن تونى أخبره أن المطبعة لم تبدأ بعد فى طبع المجلة وأن مخطوطاتها لا تزال فى حوزة كلاين. وطلب روزنتال من كلاين أن يعطيه هذه المخطوطات، فقام مسئول المطبعة بفتح خزينتها، وأخرج المخطوطات منها وسلمها إلى المحرر، معتذرا عن عدم تمكنه من طبعها بسبب تكدس العمل فى المطبعة. فرد عليه روزنتال بأن مثل هذا التأخير فى الطبع لم يسبق له الحدوث، وأضاف إن حجرة الجمع والتوضيب فارغة، وليس هناك ما يدل على شغلها بأى عمل. ودار الحديث بين الرجلين على النحو التالى:

كلاين: فى الواقع لدينا عمل كثير للغاية.

روزنتال: متى تنتهون من جمع حروف المخطوطات؟

كلاين: لا علم لى بهذا حتى الآن.

روزنتال: هل يمكنك أن تعطينى موعدا؟

كلاين: لا أستطيع الآن.

روزنتال: هل يمكنك أن تذكر لى الوقت الذى يمكنك فيه إعطائى موعدا؟

كلاين: يتعين على الرجوع إلى المشرف، وسوف أتصل بك تليفونيا فى نهاية الأسبوع.

ثم توجه روزنتال إلى العميد ويلت حتى يضع حدا لتهرب كلاين الغريب من الارتباط بموعد بشأن طباعة مادة عدد المجلة الشتوى. وقام بإبلاغ محرر المجلة بأن ما كتبه بوروز وكيروك وشعراء سان فرانسيسكو بوجه عام لن ينشر فى عدد المجلة الصادر فى الشتاء، وأنه قد يسمح على أي حال بنشر كتاباتهم بصورة فردية فى أعداد المجلة التالية حيث إن قصصهم وقصائدهم تم قبولها للنشر واقترح ويلت على روزنتال نشر بيان يشرح فيه الموقف.

وبعد أن رفضت مطبعة جامعة شيكاغو طبع المادة لم ير ويلت سوى ثلاثة اختيارات أمام محرر المجلة روزنتال.(أولا) أن يحاول نشر مادة العدد كما هى رغم ما قد يؤدى إليه هذا من حرمان المجلة من دعم الجامعة المالى لها. (ثانيا) تغيير محتوى العدد حتى يتفق مع مطلب إدارة الجامعة فى تطهير المادة من البذاءات وتنقيتها من الشوائب. (ثالثا) استقالة روزنتال من عمله كمحرر للمجلة. غير أن الخيار الأول لم يكن قابلا للتنفيذ؛ بسبب مماطلة مطبعة الجامعة فى جمع المادة، كما أن الخيار الثانى كان مستبعدا بسبب تعذر صدور العدد دون تمويل الجامعة. أما الخيار الأخير الخاص باستقالة روزنتال كمحرر للمجلة فلن يحل جوهر المشكلة المتمثل فى تمتع هيئة تحرير المجلة الطلابية بالاستقلال التام، فهم وحدهم أصحاب القرار.

وفى الاجتماع عرض روزنتال المشاكل القائمة، وسأل المجتمعين إذا كان أى منهم يريد أن يتولى تحرير المجلة فى مثل هذه الظروف فقال هيونج وونج باك إنه يقبل الاضطلاع بهذه المهمة، فتم اختياره رئيسا لتحرير المجلة على الفور. ومن ناحيته استقال روزنتال من عمله، ومعه ستة آخرون من أعضاء هيئة التحرير؛ احتجاجا ضد ما يحدث للمجلة.

اجتمعت هيئة تحرير المجلة وصوتت لصالح المضى فى إصدار العدد الشتوى من المجلة. وفى الوقت نفسه دعت إدارة الجامعة إلى عقد اجتماع لمناقشة هذا الموضوع. وفى الدقيقة الثالثة والأربعين من بعد ظهر ذلك اليوم اجتمع مجلس الجامعة لمناقشة مشكلة نشر العدد الشتوى من مجلة جامعة شيكاغو. وحضر الاجتماع كل من ريتشارد ستيرن والمستر كات. وتولى المستر كات عرض المشكلة برمتها على اجتماع مجلس الجامعة المنعقد يوم ١١ نوفمبر. وسأل هذا الرجل ريتشارد ستيرن إذا كان يريد أن يضيف إلى أقواله أى شىء آخر، فأجاب بقوله إنه ليس هناك ما يريد إضافته، ولكنه عبر عن استعداده للإجابة عن أى سؤال يطرح عليه. وقد أنحى الطلبة فيما بعد باللائمة على ستيرن لتقاعسه فى الدفاع عن المجلة. ولكن بدا واضحا من إجاباته عن الأسئلة التى طرحها كات عليه شعوره بعدم جدوى هذا الاجتماع.

وطرح بعض الحاضرين على كيمتون أسئلة حول مستقبل المجلة، فعبر عن أمله فى تعيين محرر ومجلس تحرير جديدين قادرين على التعبير عن الذوق الأدبى الذى تتميز به الكلية التى تصدر المجلة. وعلق أحد الحاضرين واسمه واينبرج تعليقا انتقد فيه المجلة. قال

إن العدد الجديد من المجلة لا يرقى إلى المستوى البديع الذى وصلت إليه مجلة شيكاغو التى يحق لها أن تفخر بنشر كتابات كوكبة من الشبان الموهوبين. ثم استطرد فى انتقاده قائلا إن تعرض هذه المجلة الطلابية للانتقادات عقب هجوم مابلى عليها يرجع إلى أنها أخذت تفقد هيبتها واحترامها. ولكن ستيرن سارع إلى معارضة واينبرج، منوها بنجاحها وبأرقام توزيعها الكبيرة. قال ستيرن لمجلس جامعة شيكاغو إن العدد الصيفى من هذه المجلة الصادر عام ١٩٥٨ والمخصص لدراسة البوذية بيع منه ٥٧٠٠ نسخة.

أصر كيمتون رئيس الجامعة على ضرورة إيجاد حل لمشكلة مجلة شيكاغو، كما أصر على ضرورة تعويض المشتركين فى هذه المجلة فى حالة توقفها عن الظهور. وساد المجتمعين شعور عام بضرورة إيجاد حل بديل لتوقف المجلة عن الصدور. واقترح رئيس الجامعة أن يتولى عميد كلية الإنسانيات البحث عن حل لهذه المشكلة، ووافق الحاضرون فى الاجتماع على هذا الرأى، واستطاع رئيس الجامعة إقناع كلية الإنسانيات بالسعى إلى حل مشكلة المجلة.

وطلب كات من الحاضرين الاحتفاظ بسرية المناقشات التى دارت بينهم، ولكن عددا منهم اعترض على ذلك، وكلفوا أمين الجلسة بإصدار أي بيانات يراها مناسبة بخصوص هذه المناقشات التى دارت فى الاجتماع.

وفى نهاية المطاف أيد مجلس كلية الإنسانيات حظر صدور العدد الشتوى من مجلة شيكاغو الجامعية يوم ٢ ديسمبر ١٩٥٨، وأصدرت هذه الإدارة تقريرا بشأن ما توصلت إليه من حقائق يوم ٢٨ يناير ١٩٥٩. وخلص التقرير إلى نتيجة مفادها أن إدارة جامعة شيكاغو مخطئة؛ ولكن هذا لم يدخل أى عزاء فى قلوب محررى المجلة الذين كانوا فى مسيس الحاجة إلى المال لطبع مجلتهم بعيدا عن الجامعة، وسعيا إلى جمع المال اللازم لطبعها على غير نفقة الجامعة تبرع كل من الأديبين الشابين آلن جنسبرج وجريجورى كورسوا بإقامة احتفالية لقراءة الشعر يوم ٢٩ يناير ١٩٥٩. وتولت جمعية شو فى شيكاغو رعاية هذه الاحتفالية، وتمكنت من الحصول على المال اللازم لطبع المجلة المحظورة خارج الجامعة. كما أنشأت مجلة أدبية فى شيكاغو لا تخضع لسلطان مدير الجامعة وأترابه من الموظفين. وهكذا استطاع المنتمون إلى جيل البيتس فرض وجودهم فى المجتمع الأمريكى على الرغم من أنف الكارهين لهم وأنف الذين اعتبروا جيل البيتس حطة أخلاقية فى جبين هذا المجتمع. والجدير بالذكر أن البعض أمثال نيلسون ألجرن شن هجوما على كتابات البيتس من وجهة

نظر أدبية، وليس من وجهة النظر القانونية التى تهتم عادة ببذاءة ما يُكتب بغض النظر عن قيمته الفنية.

صمم إرفنج روزنتال على نشر محتويات العدد الشتوى المصادر لمجلة شيكاغو، مظهرا بذلك تحديا لإدارة جامعة شيكاغو التى أرغمته على الاستقالة كمحرر لهذه المجلة. وبحث روزنتال عن مخرج فوجد ضالته المنشودة فى مجلة صغيرة للشعر، اسمها مجلة "المائدة الكبيرة" كان يتولى تحريرها بصفة دائمة الشاعر بول كارول. وبسبب تعاطفه الشديد مع مجلة جامعة شيكاغو فى محنتها قرر بول كارول أن يتنازل عن رئاسة تحرير أول عدد من "المائدة الكبيرة" لروزنتال، حتى يتمكن من نشر جميع مواد العدد الشتوى من مجلة شيكاغو على صفحات مجلة "المائدة الكبيرة"، ثم يستأنف بول كارول بعد ذلك رئاسة تحرير مجلته. وكان هذا انتصارا عظيما لجميع الطلبة الذين استقالوا احتجاجا على مصادرة العدد الشتوى من مجلة شيكاغو. كما أن روزنتال اتهم إدارة جامعة شيكاغو بأنها المسئولة عن استقالة الطلبة الذين يتولون تحرير مجلة شيكاغو. وهدد روزنتال بفضح إدارة الجامعة علنا وعلى رءوس الأشهاد، ونشر التقرير الكامل الذى وضعته لجنة الطلبة التى تولت التحقيق فى هذه الحادثة فى أحد أعداد "المائدة الكبيرة" القادمة. ولم تكن هناك أي حاجة لهذا حيث إن جامعة شيكاغو نفسها قامت بنشر التقرير كاملا ودون حذف أي كلمة منه.

ولكن نشوة الطلبة بانتصارهم لم تدم طويلا. فقد ظهر خطر جديد أجل وأعظم من الخطر الذى سبق لهم أن واجهوه. وهو خطر تمثل فى الحظر غير القانونى الذى فرضته المؤسسة الأكاديمية عليهم. وعلى أي حال لم تعد الجامعة مصدر هذا الخطر فقد كان الخطر هذه المرة نابعا من صحفى اسمه أوغسط ديرليت المحرر الأدبى لصحيفة "كابتيول تايمز" فى ماديسون بولاية وسكونسن. كتب ديرليت الشعر والرواية وكتب الأطفال وأدب الخيال العلمى والسير، كما أنشأ وكتب مع آخرين مجموعة قصصية مثيرة للرعب تصدر دوريا بعنوان "قصص غامضة ومرعبة".

ولا يفوتنا أن نذكر بعض أوجه الشبه التى جمعت بين بوروز وديرليت؛ فكلاهما اهتم بكتابة أدب الخيال العلمى. ويجدر بالذكر أن إحدى مجلات أدب الخيال العلمى بعنوان "آفاق" أشادت برواية أدب الخيال العلمى التى ألفها بوروز بعنوان "نوفا اكسبريس". فضلا عن اهتمامها بتأليف قصص الرعب. ورغم وجود أوجه شبه بين ديرليت وبوروز فإن الأول

اعتبر نفسه كاتبا يدخل التسلية فى نفوس قرائه فى حين أن الثانى رفض اعتبار نفسه كاتبا مسليا.

طلب ديرليت موافاته بنسخة من مجلة "المائدة الكبيرة" ليطلع فيها على المادة التى كانت مجلة شيكاغو تزمع نشرها فى عددها المقرر نشره فى شتاء ١٩٥٩، والتى سبقتها إلى الظهور سمعتها السيئة. وكان على حد قوله يتوقع أن يرى فى هذه المادة حركة تجديد أدبى تتعرض للمصادرة المجحفة، فإذ به يجد نفسه أمام ما اعتبره قمامة كريهة الرائحة، فقرر أن يتخذ الإجراءات اللازمة لحظرها. واتصل بمدير مصلحة البريد فى شيكاغو على الفور دون أن يتقدم إلى مكتب البريد بأي شكوى رسمية؛ لأن مجلة المائدة الكبيرة نفسها كانت موضع شك وريبة؛ بسبب انتهاكها قوانين مصلحة البريد لأنها أرسلت بالبريد مواد تخضع للحظر والمساءلة القانونية على حد قول جوزيف ف.كوزيليك الموظف بمكتب بريد شيكاغو المسئول عن البريد العادى والذى شعر بأن مادة مجلة المائدة الكبيرة قذرة وشهوانية وغير صالحة للتداول عن طريق مصلحة البريد، فضلا عن بذاءتها بمقتضى القانون الذى يعرف بقانون كومستوك الذى يحظر إرسال الأدب البذئ وعقاقير الإجهاض بالبريد. وفى عامى ١٨٧٣ و١٨٧٦، اتسع نطاق هذا القانون ليحظر إرسال الكتابات البذيئة بالبريد. فبحكم قانون كومستوك أصبحت مصلحة البريد مخولة بحظر إرسال أي مادة تنتهك قانون البذاءة.

وعند إرسال مجلة المائدة الكبيرة بالبريد كان رئيس مصلحة البريد آنذاك آرثر سمرفيلد معروفا بتشدده مع البذاءة والأدب المكشوف. وتمثل تشدده فى سعيه إلى اتخاذ إجراءات أكثر عنفا وتشددا لمنع تداول المواد البذيئة وإرسال وسائل الإجهاض. وحتى يقضى سمرفيلد على التسيب أنشأ قاعة عرض للمواد البذيئة التى ضبطتها المصلحة والتى كان أصحابها يرسلونها بالبريد ليبين مدى ما آلت إليه الأمور من انحلال وتدهور خلقى. ثم تولى كاملوت إدارة مصلحة البريد عام ١٩٦١ فأغلق معرض البذاءات الذى أنشأه سلفه. وعلى أي حال زاد عدد المقبوض عليهم بتهمة البذاءة وانتهاك القوانين الخاصة بها خلال عام ١٩٥٩ لدرجة أن مجلة المائدة الكبيرة كانت مجرد حالة توقيف واحدة من بين ٣١٥ حالة حظر، فرضت بعد نحو أربعة آلاف حالة تحر أجراها مكتب البريد عن انتهاكات قانون كومستوك خلال السنة المالية التى انتهت فى ٣٠ يونية ١٩٥٩.

وعلى الرغم من أن أوغسط ديرليت لم يتقدم بأي شكوى فإنه أبدى رغبة فى أن يشهد ضد المجلة فى جلسة استماع لتحديد مدى صلاحية مجلة المائدة الكبيرة للتوزيع عن طريق مصلحة البريد.

وفى يوم ١٨ مارس ١٩٥٩ حمل رئيس قطاع الأعمال ألبرت بوديل مئات النسخ من مجلة المائدة الكبيرة لإرسالها عن طريق مكتب بريد شيكاغو؛ حيث تعين عليه ملء الاستمارة الخاصة بإرسالها إلى القراء المشتركين فيها. ولكن رئيس قطاع الأعمال لم يملأ خانة فى الاستمارة تطلب منه تدوين عدد المشتركين فى المجلة. ولهذا السبب امتنع مكتب بريد شيكاغو عن إرسال نسخ المجلة إلى المشتركين فيها لحين موافاته بعددهم. وفى الوقت نفسه ساورت الشكوك رئيس مكتب بريد شيكاغو بخصوص إرسال هذه المجلة بالبريد؛ مما جعله يرسل نسخة منها إلى مدير قسم الخدمات البريدية لإبداء الرأى. فقام هذا الرجل بدوره بإرسال النسخة المرسلة إلى المجلس العام لمصلحة البريد لاستطلاع رأيه القانونى بشأن مجلة "المائدة الكبيرة".

وشكا المشتركون فى المجلة وأصحاب الإعلانات المزمع نشرها فيها من عدم تسلم نسخهم من المجلة. ولكن أحدا لم يبلغهم بالمشاكل التى تواجه توزيع المجلة. غير أن الخبرات السابقة للمحررين مع الصحف الصادرة فى شيكاغو وجامعتها دلتهم على أن مصلحة البريد لابد وأنها صادرت النسخ المزمع إرسالها. ونظرا لأن مصلحة البريد لم تبلغهم رسميا بهذه المصادرة فقد أبرق محررها إلى مجلسها العام لاستجلاء الأمر. فطلب هذا المجلس إليهم الرجوع إلى نيابة واشنطن التى أبلغتهم بأن صلاحية إرسال مجلة "المائدة الكبيرة" بالبريد لا تزال قيد البحث، وأنه من المتوقع اتخاذ قرار فى هذا الشأن يوم الإثنين الموافق ٢٠ أبريل ١٩٥٩.

وفى يوم الجمعة الموافق ٢٤ أبريل من العام المشار إليه استقر فى يقين هربرت واربيرتون رئيس مجلس البريد العام أن هناك ما يكفى للدلالة على انتهاك مجلة "المائدة الكبيرة" للقوانين الفيدرالية؛ الأمر الذى جعله يرسل برقية إلى المحررين يقول فيها: "هناك شك فى صلاحية مجلة المائدة الكبيرة للتوزيع عن طريق مصلحة البريد. وسوف تنعقد جلسة استماع لبحث هذا الأمر، وسوف يتم تبليغكم رسميا فى أوائل الأسبوع المقبل". وأيضا ساورت الشكوك فى الوقت نفسه رئيس مصلحة بريد شيكاغو بشأن صلاحية توزيع مجلة "المائدة الكبيرة" بالبريد. وفى يوم ٣ أبريل ١٩٥٩ تم عرض نسخة من هذه المجلة على

مدير قسم الخدمات البريدية لإبداء الرأى فقام هذا المدير بدوره بإرسالها إلى المجلس العام لمصلحة البريد لمعرفة رأيه القانونى.

انزعج محررو المجلة بسبب شكوى المشتركين والمعلنين من عدم وصولها إليهم. وتوقع المحررون فرض الحظر على مجلة "المائدة الكبيرة"، بسبب تجاربهم السابقة مع جامعة شيكاغو ومطبعتها، الأمر الذى دفعهم إلى إرسال برقية إلى المجلس العام لمصلحة البريد فى واشنطن للاستعلام عن مصير النسخ التى لم تصل إلى أيدى أصحابها. فقامت سلطات البريد فى شيكاغو بتحويلها إلى رئيس نيابة واشنطن الذى أفاد بأن مسألة إرسال مجلة "المائدة الكبيرة" بالبريد لا تزال قيد النظر، وأنه من المتوقع أن يصدر قرار بشأنها يوم الإثنين الموافق ٢٠ أبريل ١٩٥٩.

وحل هذا اليوم دون صدور أى قرار بشأن المجلة المحجوبة فأرسل محرروها يوم الخميس برقية إلى رئيس النيابة يطلبون فيها اتخاذ قرار فورى بشأن المجلة، كما طلب المحررون عقد جلسة استماع فى أواخر شهر مايو أو أوائل شهر يونية فى حالة كون رد النيابة سلبيا. وفى يوم الجمعة الموافق ٢٤ أبريل أصبح هربرت واربيرتون رئيس المجلس العام لمصلحة البريد مقتنعا بأن هناك أسبابا تعرض المجلة للمساءلة القانونية فأبرق للمحررين قائلا: "هناك شكوك فى أن مجلة المائدة الكبيرة صالحة للتوزيع. ولهذا سوف تعقد جلسة استماع، وسوف نبلغكم رسميا بأمرها فى مطلع الأسبوع المقبل".

ثم قام رئيس مجلس البريد العام بالنيابة ريتشارد س.فارو المسئول عن قسم الغش البريدى وعدم صلاحية إرسال المواد بالبريد بإرسال خطاب إلى ألبرت بوديل لإبلاغه بتحديد موعد جلسة استماع فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢ يونية فى الغرفة رقم ٥٢٤١ فى مبنى مصلحة البريد بواشنطن. وبالنظر إلى أن مصلحة البريد كانت بصدد مراجعة بنود وقواعد المواد الصالحة وغير الصالحة للإرسال بالبريد فقد أضاف فارو أنه سوف يوافى المحررين بموعد عقد جلسة الاستماع فور إصدار القواعد والقوانين الجديدة، وقال إن موقف مصلحة البريد سوف يتضح فى خلال أسبوعين حسب تقديره. يقول فارو فى هذا الصدد: من المحتمل أن هناك سببا للاعتقاد بأن عدد مجلة (المائدة الكبيرة) الصادر فى فصل الربيع غير صالح للتداول بالبريد بمقتضى البند رقم ١٨ من القانون الأمريكى رقم ١٤٦١، بسبب بذاءة محتوياته، وخاصة بذاءة الكتابات التى تحمل العنوانين التاليين: "الملاك العجوز" و"عشر حكايات من رواية الغداء العارى".

وقد أرسل فارو هذه الملحوظة غير الرسمية ونسخة منها إلى مدير مصلحة البريد فى شيكاغو طالبا منه توصيلها بشخصه إلى من يعنيهم الأمر. كما أصدر إليه تنبيها بضرورة الامتناع عن توزيع نسخ مجلة "المائدة الكبيرة" أو أي مواد بريدية أخرى، تصدرها هذه المجلة وتبليغ واشنطن بها. وبطبيعة الحال كانت هذه التعليمات بمثابة فرض الحظر على تداول مجلة "المائدة الكبيرة".

والواقع أن ألبرت بوديل لم يتسلم هذه المذكرة المؤرخة فى ٣٠ أبريل، ولكن الصحفيين أبلغوه بفحواها. واتصل ألبرت بوديل تليفونيا بمكتب البريد للتأكد من صحة الخبر وحمله مسئولية التأخر فى تبليغه. فأكد له أنه سوف يتسلم نسخته من المذكرة فى نهاية الأمر. وخشى ألبرت بوديل عدم وصول الخطاب إليه فطلب قراءة نصه عليه بالتليفون. وفيما يلى نورد هذا النص:

ودون محاولة من جانبه إلى كتابة رد رسمى على الاتهامات – طلب بوديل إلى واربيرتون رئيس مجلس البريد العام الرد على عدة أسئلة وإيضاحات، كما طلب موافاته بأماكن حظر المجلة وقائمة بعناوين المشتركين، كذلك طالب بالإفراج عن الإحدى وعشرين نسخة الخاصة بأصحاب الإعلانات؛ للتدليل على أن المجلة لم تقصر فى عملها، وأنها بالفعل أدرجت إعلاناتهم فى صفحات المجلة المحظورة نظير المال الذى تلقته منهم.

ولم يتوقف بوديل عند هذا الحد فقد استأذن واربيرتون أن يسمح له بأن يرسل بالبريد مئات النسخ من مجلة "المائدة الكبيرة" إلى النقاد والمحررين والناشرين والأساتذة والدارسين والمحامين؛ لتمكينهم من الإدلاء بشهاداتهم لصالح المجلة وأحقيتها فى توزيع مصلحة البريد لها. فضلا عن أنه طلب من مصلحة البريد أن تتحمل نفقات إرسال هذه المجلة بالبريد الجوى تعويضا لها عما تكبدته من خسائر مالية؛ نتيجة فرض الحظر عليها. وأيضا طلب محررو المجلة تحديد معنى البذاءة على نحو أوضح، واستفسروا إذا كان من الضرورى للمرء حضور لجنة الاستماع فى واشنطن إذا كان غير قادر على تحمل نفقات السفر إليها. والجدير بالذكر أن خطاب بوديل ينم عن الزهو والتحدى لبيروقراطية مصلحة البريد.

وقد أرسل بوديل خطابه المشار إليه بالبريد المسجل كما أرسل نسخة منه إلى صديقه إرفنج روزنتال الذى انتقل إلى مدينة نيويورك. وأسر بوديل إلى روزنتال بأنه وجد نفسه مضطرا إلى الكشف عن هذا الأمر حين علم بالإجراءات التى اتخذت ضد مجلة "المائدة الكبيرة" وأخبر بوديل روزنتال بالمطالب التى تقدم بها إلى المسئولين عن مصلحة البريد

قائلا: "لقد جن جنون أولاد الزنى فى واشنطن". ولكن بوديل ما لبث أن تذكر أن المعركة فى ساحات القضاء قادمة لا محالة، وأن مصلحة البريد لن تستجيب لطلباته بأى حال من الأحوال، فطلب من روزنتال أن يجمع له بعض الشهادات التى تصب فى صالح المجلة. وكذلك زود مصلحة البريد بقائمة المشتركين والمعلنين فى المجلة وعدد النسخ الصادرة وبيانها كالتالى: ١٢٢ نسخة لمكتبة أضواء المدينة فى مدينة فيرلنجيتن و١٢٢نسخة إلى مركز الفولكلور، و١٢٢نسخة إلى بابرياك جاليرى، و٢١نسخة إلى المعلنين فى المجلة. وتوضح هذه البيانات السبب الذى دعا بوديل إلى عدم ملء البيانات الخاصة بعدد المشتركين فى المجلة؛ حيث إن ظروف المجلة لم تشجع أحدا على الاشتراك فيها.

والجدير بالذكر أن جويل ج سبراى ريجن الذى كلفه اتحاد الحريات المدنية الأمريكية بالذود عن هذه القضية كتب بتاريخ ٨ مايو (١٩٥٩) إلى رولاند واطس الموظف فى مكتب بريد نيويورك أن يتولى شرح وضع مجلة "المائدة الكبيرة"، وأصر سبراى ريجن على ضرورة عقد جلسة استماع محلية.

وفى يوم ١١ مايو توجه روزنتال إلى مكتب اتحاد الحريات المدنية الأمريكية فى نيويورك ليسلمه نسخاً من الخطابات التى تسلمها من بوديل، وشكرهم على موقفهم المدافع عن مجلة "المائدة الكبيرة"، وأضاف إنه لا يجد أى مكان آخر يمكنه اللجوء إليه.

وفى يوم ١٤ مايو تسلم ألبرت بوديل أخيرا الخطاب الرسمى المنتظر وصوله من مكتب البريد والذى تم إرساله يوم ٣٠ أبريل، وهو الخطاب الذى يتضمن تبليغا غير رسمى بعقد جلسة الاستماع بشأن المجلة المقرر عقدها فى أوائل يونية. ووقع بوديل باستلام الخطاب من مكتب البريد، وتم إرسال إيصال الاستلام إلى واشنطن.

وقام ميلفن وولف العامل فى مكتب منظمة اتحاد الحريات المدنية الأمريكية بتوجيه جويل سبراى ريجن للبدء فى استعداداته للدفاع عن مجلة "المائدة الكبيرة"؛ حيث إنه أصبح من الواضح اهتمام هذه المنظمة بها. واتصل الصحفيون بهذه المنظمة لاستطلاع الأمر ومعرفة الأخبار. وفى يوم ٢٤ مايو نشرت الصحافة قصة قيام مصلحة البريد بحظر توزيع المجلة، واعتراض هذه المصلحة على كتابات كل من بوروز وكيروك المنشورة فى مجلة "المائدة الكبيرة" و"مجلة شيكاغو".

وقام ريتشارد فارو مساعد رئيس مجلس البريد العام بالرد على الخطاب الذى أرسله بوديل إلى واربيرتون يوم ٢٢ مايو، وأبلغه بقيام مصلحة البريد برفع شكوى رسمية ضد المجلتين طبقا للتعليمات والإجراءات الجديدة التى أصدرتها مؤخرا يوم ١٩ مايو. ونصح ريتشارد فارو مساعد رئيس المجلس العام لمصلحة البريد أن يسعى إلى استشارة محام بشأن جلسة الاستماع، كما أنه رفض الطلب الخاص بإرسال نسخ إضافية إلى النقاد والمشتركين فى المجلة الصادرة. كما رفض أن تتحمل مصلحة البريد نفقات هذه النسخ الإضافية. وأخيرا قدم فارو تعريفا للبذاءة طبقا لما ورد فى قضية روث. وفيما يلى نص هذا التعريف: "يعتبر بذيئاً إذا كان الموضوع البارز الذى تتضمنه المادة فى نظر الشخص العادى كذلك، وإذا كان النظر إليها ككل يثير شهوته الجنسية... والمادة تعتبر بذيئة إذا كانت ككل تتميز بإثارة الشهوات الجنسية المتمثلة فى العرى والجنس والتبرز، وإذا كانت أساسا تتجاوز حدود الصدق المعتادة فى وصف أو تصوير هذه الأمور".

وطبقا للقواعد والتعليمات الجديدة طلب الكاتب المسئول عن الإيصالات الجمركية من رئيس مصلحة بريد شيكاغو أن يقوم بنفسه بتسليم الشكوى الرسمية المرفوعة ضد المجلة، ومعها مذكرة وإخطار حضور جلسة الاستماع التى تحدد عقدها فى العاشرة صباح يوم ٤ أغسطس فى الحجرة رقم ٥٢٤١ فى المبنى الجديد لمصلحة البرق... وكما كان متوقعا أشارت الشكوى الرسمية إلى احتمال وجود سبب من شأنه أن يدعو إلى الاعتقاد بانتهاك مجلة "المائدة الكبيرة" للبند رقم ١٨ من القسم رقم ٤٦١؛ بسبب بذاءة ما نشرته بعنوان "منتصف ليل الملاك العجوز"، و"عشر حكايات من رواية الغداء العارى". وقد كلف إدوارد كارليك برئاسة لجنة الاستماع. ولكن مرضه حال دون ذلك فحل محله وليم أ.دوفال، إلا أن بول كارول مؤسس هذه المجلة ومحررها طلب عقد لجنة الاستماع فى شيكاغو؛ بحجة أن تحرير هذه المجلة ونشرها يقع فى شيكاغو، كما أن الشهود موجودون هناك، ولأنه شخصيا لا يملك نفقات الانتقال والسفر إلى واشنطن. فضلا عن أنه طلب تأجيل لجنة الاستماع حتى ٢١-٢٧ يونية.

وتسلم كارول الخطاب الذى أرسله مكتب البريد والمشتمل على الشكوى وإخطار بموعد عقد جلسة الاستماع. وقام رئيس مكتب بريد شيكاغو كارول أ.شرودر بتحويل إيصال الاستلام الذى وقع عليه كارول مؤسس المجلة إلى واشنطن.

وبصفته المحامى المدافع عن مجلة "المائدة الكبيرة" طلب جويل سبراى ريجن رسميا تغيير مكان انعقاد الجلسة. مضيفا إلى الأسباب التى ساقها كارول حاجته إلى المزيد من الوقت لدراسة القضية والإعداد لها، واعترف سبراى ريجن لميلفين وولف فى نيويورك بأنه يحتاج إلى متسع من الوقت للاستعداد الجيد للمرافعة عن قضيته، وخاصة لأنه يريد استدعاء كل من آلن جنسبرج وجاك كيرواك ووليم بوروز.

وأخبر وولف إرفنج روزنتال بشأن اختيار سبراى ريجن للشهود. وقد كتب إلى المحامى فى شيكاغو أنه نما إلى علمه أن بوروز خارج البلاد فى أوروبا. ولكنه يخطط للعودة إلى نيويورك فى أواخر شهر يونية أو يولية. وشعر روزنتال شعورا قويا بأن بوروز على غير استعداد للإدلاء بشهادته، لأنه لا يريد الإعلان عن هويته، وأضاف إن هناك أشياء فى حياة بوروز قد يؤدى الكشف عنها إلى الحط من شأنه فى نظر القاضى وأن محامى مصلحة البريد قد يتوصل إليها ويكشف النقاب عنها. ولا شك أن روزنتال كان يفكر آنذاك فى إدمان بوروز للمخدرات وفى إطلاقه النار عن طريق الخطأ على زوجته فى مدينة مكسيكو منذ عدة أعوام.

وكذلك رأى روزنتال أن جاك كيرواك لن يقبل الإدلاء بشهادته فهو شديد الحياء والخجل، بل إنه رفض الاشتراك مع كورسو وجنسبرج فى احتفالية لقراءة الشعر. فضلا عن أن سمعته السيئة فى إدمان الشراب لن تجعل لشهادته أي قيمة فى المحاكم.

وأبلغ آلن جنسبرج الذى كان موجودا فى سان فرانسسكو أنه يفضل على الإدلاء بشهادته أن يقدم إلى المحكمة تعليقا مكتوبا. واعترف الشاعر جنسبرج بأن المحكمة لن تأخذ أقواله مأخذ الجد. وعلى أي حال خلص روزنتال إلى أن أحدا لن يوافق على تحمل نفقات سفره للإدلاء بشهادته.

وبعد اطلاعه على رأى روزنتال تخلى سبراى ريجن عن فكرة الاستعانة بشهادة هؤلاء الأدباء أثناء الدفاع عن مجلة "المائدة الكبيرة" فى جلسة الاستماع.

وفى أول يونية طلب وليم أ.ديفال النصيحة من المجلس العام لمصلحة البريد بشأن نقل مكان جلسة الاستماع إلى شيكاغو. ولم يعترض محامى مصلحة البريد على الطلب الذى تقدمت به مجلة "المائدة الكبيرة" بهذا الشأن وأقر بأن السفر إلى واشنطن سوف يكبد المدافعين عن المجلة نفقات مالية كبيرة. ولهذا تمت الموافقة على تأجيل موعد نظر الجلسة

ونقل مكانها. وبناء على المشورة التى أسداها محامى مصلحة البريد قام ديفال بتأجيل موعد انعقاد جلسة الاستماع بحيث تعقد فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٣ يونية فى شيكاغو بدلا من واشنطن، وقام بإبلاغ سبراى ريجن بهذه التغييرات، وبأن الجلسة ستعقد فى الحجرة رقم ٦١٦ فى مبنى مصلحة البريد الرسمى فى فان بورن وكانال.

وأبلغ محامى نيويورك هربرت ليفى اتحاد الحريات المدنية بأن كسب مجلة "المائدة الكبيرة" لقضيتها مضمون على مستوى القضاء الفيدرالى حتى إذا خسرها على مستوى مصلحة البريد. وحتى تتمكن المجلة من كسب القضية رأى أنه من الضرورى عرض وتعزيز القضية من جميع نواحيها، بما فى ذلك شهادة الخبراء وبيانات المؤلفين. وأصبح من الواضح أنه من الضرورى تأسيس سجل راسخ، يهدف إلى "التغلب على الأثر السئ المحلى الذى تركته الألفاظ الجنسية البذيئة فى نفوس موظفى مصلحة البريد. وعبر سبراى ريجن عن التزامه بتقديم دفاع قوى، دون الاستعانة بشهادتى بوروز وكيروالك.

وتوقع المحامى سبراى ريجن نشوب معركة قادمة. وبمقتضى لوائح مصلحة البريد التى كانت مطروحة على بساط البحث والنقاش فى الكونجرس آنذاك كان من حق هذه المصلحة أن تلعب دور المدعى والقاضى فى حالات انتهاك القوانين التى تنظم المراسلات البريدية. واعترض بعض المصلحين والمنادين بالحريات المدنية على ذلك، وعبروا عن تخوفهم من أن يؤدى هذا إلى انتهاك الضمانات الدستورية المتعلقة بحرية التعبير والصحافة لو ترك الحبل على الغارب لمصلحة البريد بوصفها صاحبة اليد الطولى والرقابة المستقلة على المصنفات الأدبية. ونظرا للموقف المتشدد الذى اتخذه سمرفيلد الرئيس العام لمصلحة البريد كان محررو ومحامو مجلة "المائدة المستديرة" يتوجسون شرا من عقد جلسة استماع بمعرفة مصلحة البريد.

وإلى جانب اتحاد الحريات المدنية الأمريكية هبت الصحافة للدفاع عن مجلة "المائدة الكبيرة" وعن المقال الذى نشرته صحيفة "الأمة" فى أواخر مايو، حيث نراها تعرض لتأخير مكتب البريد فى إرسال مجلة "المائدة الكبيرة" إلى المشتركين بطريقة عدوانية وعلى نحو لاذع السخرية.

والجدير بالذكر أن مصلحة البريد لجأت إلى فرض الرقابة على هذه المجلة بطريقة تعسفية، لدرجة أنها لم تعن باتخاذ الإجراءات القانونية السليمة. بل إنها لم تعن حتى بمجرد تبليغ أصحاب المادة المصادرة، الأمر الذى جعل صحيفة الأمة تتحدث عن انتهاك مصلحة

البريد للدستور الأمريكى. وهاجمت هذه الصحيفة الصلف البيروقراطى الذى أظهرته مصلحة البريد، واصفة إياه بأنه "سلاح فظيع إذا استخدم ضد الأفراد الضعفاء من ذوى الموارد المحدودة".

صار سمرفيلد شخصيا محاربا نشيطا، يبذل الجهد الجهيد للتصدى للبذاءة. ولهذا كان من الطبيعى أن ترتعد فرائص محررى مجلة "المائدة الكبيرة" فقد سبق لمصلحة البريد أن صادرت رواية ألفها جيرشون ليجمان بعنوان "الحياة والموت". ورغم أن هذه الرواية تخلو من البذاءة، فقد تمكن محامو مصلحة البريد من مصادرتها. ولم تكن مجلة "المائدة الكبيرة" تملك الإمكانات المادية الكافية للدفاع عن نفسها. ولهذا تعرضت للهزيمة والانكسار بسبب عدم قدرتها على تحمل نفقات التقاضى، ولم ينقذها من الاندحار سوى تدخل اتحاد الحريات المدنية الأمريكية القادر على الإنفاق على القضية.

وبالنظر إلى أن لجنة الكونجرس الخاصة بإرسال المواد البذيئة عن طريق البريد كانت بحاجة إلى المزيد من الوقت لتدارس إصدار تشريعات جديدة بشأن إرسال المطبوعات البذيئة بالبريد فقد دلت قضية مجلة "المائدة الكبيرة" على شدة بطء الإجراءات. وبعد اجتماع هذه اللجنة أصدرت تعليمات جديدة تقضى بفرض الحظر على المادة البذيئة:

"فقط بعد اتخاذ إجراءات إدارية طويلة للغاية أصبح رئيس مصلحة البريد مخولا بأن يصدر أمرا مؤقتا بالمصادرة والتحفظ على المادة البريدية موضع الشك لفترة تصل إلى عشرين يوما لإعطاء المصلحة الفرصة لإتمام الإجراءات الإدارية اللازمة لإصدار أمر بعدم قانونية المادة المرسلة بالبريد. وتدل التجربة على أن هذه الفترة لم تكن كافية للانتهاء من اتخاذ هذا الإجراء".

ولم تفكر مصلحة البريد مطلقا فى الحقوق المدنية الخاصة بحرية التعبير وفى أن نصوص الدستور تعنى فى المقام الأول بحماية حقوق المواطنين. ولاشك أن الوقت الطويل الذى استغرقته مصلحة البريد فى اتخاذ إجراءاتها القمعية زاد من تعقيد مشكلات الأفراد المتعاملين معها.

ومن ناحيته قام جويل سبراى ريجن بالرد الرسمى على الاتهامات الموجهة ضد المجلة، وأنكر فى بيانه بذاءة مجلة "المائدة الكبيرة"، واصفاً المساهمين فى تحريرها بأنهم كتاب جادون، يعبرون عن أفكار لها أهميتها الاجتماعية، وتتمتع بحماية التعديل الأول

للدستور. وأضاف إن المجلة لا تهدف بحال من الأحوال إلى إثارة شهوة الجنس فى قرائها أو فى المجتمع بشكل عام، فضلا عن أنه نوه بطبيعة المجلة الأدبية البعيدة كل البعد عن الأدب الفاضح أو المكشوف.

ثم هاجم جويل سبراى ريجن قانون البريد واصفًا إياه بأنه "غامض وغير واضح".. على مستوى التشريع والواقع معا، ومتهمًا غموضه بأنه السبب فى التضييق الشديد على حرية التعبير التى يكفلها الدستور، وقانون البريد الأمريكى تشوبه مثالب؛ مما يدعو أصلا إلى الطعن فيه، لأنه يسمح بمصادرة المادة دون الاستماع إلى الرأى الآخر. ومن ثم فإن هذا القانون مشكوك فى شرعيته. أضف إلى ذلك أن لوائح مصلحة البريد تمنح هذه المصلحة سلطة القضاء. وهى سلطة خولها الدستور للمحاكم فقط.. وطالب سبراى ريجن مصلحة البريد بإسقاط الاتهامات التى وجهتها إلى مجلة "المائدة الكبيرة"؛ لأن هذه الاتهامات غير دستورية، وليس من حق مصلحة البريد اتخاذ أى إجراء بشأنها.

ولكن جويل سبراى ريجن كان يدرك أن مصلحة البريد لن تسقط الاتهامات التى وجهتها إلى المجلة إلا بعد عقد جلسة الاستماع أو توقع أن تعقد هذه الجلسة يوم ٢٣ يونية، وأن الدفاع عن المجلة سوف يتطلب جهدا جهيدا ومتسعا من الوقت.

وعندما عرف موريس جيروديلس المعروف بنشر الأدب المكشوف وصاحب دار أوليمبيا الباريسية للنشر أن مخطوطة رواية "الغداء العارى" التى سبق له أن رفضها تتعرض للمحاكمة سارع بنشرها. وقام على الفور فى نهاية شهر يولية بإصدار طبعتين إحداهما إنجليزية، والأخرى فرنسية خارج الولايات المتحدة.

* * *

المحاكمـة

أصدر سمرفيلد رئيس عام مصلحة البريد حكما ببذاءة رواية "عشيق الليدى تشارلى" للكاتب البريطانى المعروف د.هـ.لورانس بمقتضى البند ١٨ من القانون الأمريكى رقم ١٤٦١. وبناء عليه فرض سمرفيلد حظرا على توزيع هذه الرواية عن طريق مصلحة البريد يوم ١١ يونية ١٩٥٩. وفى يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ يونية ١٩٥٩ بدأ رئيس المحكمة وليم أ.ديفال فى اتخاذ الإجراءات لتحديد مدى بذاءة مجلة "المائدة الكبيرة" التى تحول دون إرسالها عن طريق البريد بمقتضى القانون السالف الذكر. وكان أول شيء فعله ديفال هو رفض الدعوى التى أقامها جويل سبراى ريجن من أجل إسقاط التهم الموجهة ضد المجلة.

بدأ ج.كارول شويلر محامى مصلحة البريد بتأكيده على تفاهة مجلة "المائدة الكبيرة" وغثاثتها. قال هذا المحامى فى هذا الشأن: "الرأى لدينا أن هذه المجلة بذيئة وقذرة، وتخلو من أي قيمة تعوض عن بذاءتها. ومن المعروف أن بعض نقاد الأدب يرون أن بعض المقالات والقصائد المنشورة فى هذه المجلة تتميز ببعض المزايا الأدبية. وهؤلاء الناس –من وجهة نظر محامى مصلحة البريد– لا يمثلون الشخص العادى فى المجتمع... ومن المعلوم أن الشخص العادى فى المجتمع لن يجد فى هذا الكتاب سوى القذارة؛ ولهذا يتعين علينا أن نظهر الاهتمام بالشخص العادى فى المجتمع.

وهكذا أوضح محامى مصلحة البريد أن آراء النقاد ليست لها قيمة أو وزن، متبعا بذلك مفهوم الشخص العادى والبذاءة كمقياس أو معيار كما ورد فى قضية روث التى استرشدت بها المحاكم الأمريكية ردحًا من الزمن.

واسترسل محامى مصلحة البريد ليشرح أن محتويات المجلة تنطوى على النيل من معايير المجتمع، والإضرار بها بسبب تجاوزها معيار الصدق والانزلاق فيما هو شائن. فضلا عن أن مصلحة البريد رأت أن المجلة استخدمت ألفاظا قذرة وبذيئة على نحو مقزز. كما وصفت الأفعال الجنسية بحذافيرها وأجزاء من تشريح الجسم البشرى على نحو متصل ودقيق.

وبعد أن أدلى محامى مصلحة البريد ببيانه الافتتاحى أكد محامى المجلة سبراى ريجن أن القواعد المنظمة للإدلاء بالشهادة تنطبق على جلسة الاستماع، كما أنه اقترح شطب الأوصاف الافتتاحية والاستنتاجات الخاصة ببذاءة "المائدة الكبيرة" من سجلات جلسة الاستماع. ولكن القاضى ديفال رفض الاستجابة لهذا الطلب موضحا لمحامى المجلة أن البيان الذى أدلى به محامى مصلحة البريد مجرد بيان افتتاحى لا أكثر ولا أقل، وأن هذا المحامى لا يدعى أن بيانه مؤسس على أي شهادات مؤكدة وراسخة. ومن ناحيته تخلى سبراى ريجن عن حقه فى الإدلاء ببيان افتتاحى، وآثر الاعتماد على الشهود والأدلة المقدمة.

بدأ شويلر محامى مصلحة البريد باستدعاء شاهده الوحيد وهو موظف البريد جوزيف ف.كوزيليك إلى منصة الشهادة. وكان هذا الموظف قد تسلم نسخا من المجلة لإرسالها بالبريد، كما تسلم طلبا من بوديل بتاريخ ١٨ مارس ١٩٥٩ بمنحه امتيازات إرسال المطبوعات بالبريد العادى. وكذلك استدعى محامى مصلحة البريد كلا من بوديل وسبراى ريجن يوم ١٤ مايو (١٩٥٩) لحضور جلسة الاستماع، حيث شرح موظف البريد جوزيف ف.كوزيليك طبيعة عمله قائلا إن واجبه الوظيفى يقتضى منه الرد على الاستفسارات التليفونية، إلى جانب الرد على المراسلات المتعلقة بإرسال البريد العادى، ومساعدة عملاء مصلحة البريد فى هذا الشأن. وذكر هذا الموظف للمحكمة أن حب استطلاعه بخصوص محتويات المجلة لم ينشأ لديه إلا بعد أن عجز عن التأكد من معرفة عدد المشتركين فيها، لأن استمارة الطلب الذى تقدم به بوديل إلى مصلحة البريد خلت من تدوين عدد المشتركين فى المجلة. ولو أن هذا الموظف اطلع على الخطاب الذى أرسله بوديل إلى ارفنج روزنتال يوم ٨ مايو ١٩٥٩ لعرف أنه لم يكن هناك أى مشتركين فى المجلة على الإطلاق. ويجدر

بالذكر أن موظف البريد جوزيف كوزيليك ومصلحة البريد كانا يجهلان تماما أنه لم يكن هناك أى مشترك فى مجلة "المائدة الكبيرة"، وكان كل ما يعرفانه فى هذا الأمر أن خانة عدد المشتركين فى الاستمارة التى ملأها بوديل نيابة عن المجلة كانت خالية. وطبقا لما جاء على لسان كوزيليك موظف البريد فإن خلو الاستمارة من ذكر عدد المشتركين هو الذى دفعه إلى الكتابة إلى مدير الخدمات البريدية فى واشنطن يوم ٣ أبريل ١٩٥٩ لأخذ رأيه فى صلاحية إرسال مجلة "المائدة الكبيرة" بالبريد.

وطلب محامى مصلحة البريد من الموظف التعرف على المجلة موضع الخلاف وشكا سبراى ريجن أن الخطاب الأصلى لاستدعاء محررى مجلة "المائدة الكبيرة" لحضور جلسة الاستماع تأخر وصوله أسبوعين كاملين من ٣٠ أبريل حتى ١٤ مايو. فسأل القاضى ديفال موظف البريد كوزيليك أن يشرح له سبب هذا التأخير. فأجاب بأن التأخير يرجع إلى أن بوديل أعطى فى الاستمارة التى ملأها عنوانين مختلفين من فروع مكاتب البريد. فإذا عجز فرع عن تسليم خطاب الاستدعاء إلى المرسل إليه تعين إرجاعه إلى هذا الفرع قبل إرساله إلى الفرع الآخر.

ولم يجد شويلر وسبراى ريجن وديفال أي أسئلة أخرى لطرحها على الشاهد كوزيليك فتقرر صرفه من المحكمة. وأشار شويلر محامى مصلحة البريد إلى الشكوى التى سطرها ديرليت مدير دار نشر أركام بمدينة سوك بولاية وسكونسن ضد مجلة "المائدة الكبيرة"، وطلب محامى هذه المجلة سبراى ريجن أن يرى مادتها موضع الانتقاد. وتساءل القاضى ديفال عن سبب عدم حضور ديرليت بنفسه فرد عليه شويلر بأنه عبر عن رغبته فى حضور جلسة الاستماع. ولكن الظروف حالت دون ذلك بسبب ارتباطه بالتدريس فى إحدى المدارس. ومن ناحيته لم يعترض محامى المجلة على ضم البيان المكتوب الذى أصدره محامى مصلحة البريد. غير أن القاضى أكد أن مثل هذا البيان لا يخرج عن كونه مجرد إشاعات وأقاويل، ثم أضاف إنه لن يقبل للشهادة سوى آراء النقاد المتخصصين.

وفى بيانه المنتقد لمجلة "المائدة الكبيرة" ذكر ديرليت أن تجربته كمحرر أدبى فى صحيفة كابيتول تايمز فى ماديسون بولاية وسكونسن وكناشر للكتب ومؤلف للعديد منها تؤهله بعض الشيء لمعرفة خصائص العمل الأدبى المتميز، وأوضح أن اهتمامه بمجلة "المائدة الكبيرة" يرجع إلى قيام جامعة شيكاغو بحظر محتوياتها؛ ولأن هذه المجلة وعدت أن تكون مثلا يحتذى للأدب الطليعى الذى رأى ضرورة الاطلاع عليه والاستماع إليه بعيدا عن رقابة الجامعة. وكان ديرليت قبل تسلمه نسخة لعرضها فى صحيفته يميل إلى الاعتقاد بأن

محتويات المجلة تستدعى حظرها بوجه عام فى الأراضى الأمريكية. وعلى أي حال خيبت محتويات المجلة توقعاته منها، الأمر الذى دفعه إلى القول: "آسف أن أقول إننى أرى بعد التمحيص وإعمال الفكر أن الجانب الأعظم من "المائدة الكبيرة" لا يتمتع بأي ميزة أدبية على الإطلاق. وأنا هنا أشير على وجه الخصوص إلى مادة تحمل عنوان (منتصف ليل الملاك العجوز) تأليف جاك كيروك، وعشر حكايات من رواية "الغداء العارى"، تأليف وليم س.بوروز وثلاث قصائد من نظم جريجورى كورسو، وهى فى أغلبها عبارة عن نثر يحتاج إلى النظام والتشذيب، وأقرب إلى محاولات وتجارب المراهقين الباكرة منه إلى أى شيء ذى أهمية أدبية. وعلى الرغم من أن المقالين اللذين نشرهما فى المجلة إدوارد داهلبرج بعنوانى "المزيد من أحزان بريانوس" و"لباس ر.أ." أعمال متميزة بعض الشيء فإنهما يشغلان جزءا ضئيلا وصفحات قليلة من المجلة لدرجة تدعو إلى التجاهل والإهمال، ولا تمثل أى إسهام مهم للأدب".

والجدير بالذكر أن محامى مصلحة البريد ما فتئ يكرر هذه النقطة خلال جلسة الاستماع. ومن ناحيته طالب محامى المجلة موضع النزاع بشطب القضية المرفوعة ضد مجلة "المائدة الكبيرة"؛ ولكن القاضى ديفال قابل هذا الطلب بالرفض.

وكما يحدث فى قضايا البذاءة المماثلة رأت المحكمة أن الدليل القاطع يكمن فى النص. ولكن شويلر محامى مصلحة البريد ساق بعض الآراء المنتقدة المنشورة فاعتبرها القاضى غير ذات أهمية، وفى حكم الإشاعات والأقاويل. وحيث إن مصلحة البريد تعمدت ألا تكون محددة فيما توجهه من اتهامات فإنه من المفيد أن نستعرضها لإلقاء الضوء على الجوانب القانونية للقضية. بدأ بغلاف المجلة الذى بدا وكأنه كاريكاتور سياسى للعلم الأمريكى، ولكن أحدا لم يشر إلى هذا قبل وأثناء نظر القضية. ويتضح لقارئ القصة الأولى وهى "منتصف ليل الملاك العجوز" أنه أمام نوع من الكتابة لا شكل له، وتسوده الفوضى العارمة. وأمام نوع من اللغو العقيم تخترقه ومضات قصيرة من بصيرة اللاوعى المختلطة بالفلسفة البوذية، التى تعلى من شأن الحدس والتأمل والأخيلة الكاثوليكية الخابية. ويصعب على المرء أن يرمى قصة كيروك بالبذاءة، ويمكن القول إن قصته تبعث على الملل أكثر مما تثير الشهوة. وبطبيعة الحال إثارة الملل ليست عملا مؤثما أو انتهاكا للقانون.

أما إسهام إدوارد داهلبرج فى مجلة "المائدة الكبيرة" فقد ظهر تحت عنوان "المزيد من أحزان بريانوس" وهو يقع فى أربعة أقسام لكل منها عنوان مستقل. وقد صبت هذه الأقسام المنشورة فى قالب نثرى شبيه بقصائد إزرا باوند ولكنها تفوقها فى غموضها. ورغم أن

إسهام إدوارد داهلبرج يبدو فى مجموعه خاليا تماما من الحياة، فإن بعض هذا الإسهام يتميز بقدرته على إثارة شيء من الاهتمام فى نفس القارئ. ولكن الرقيب فى مصلحة البريد وجد أنها أشد ما تكون مدعاة إلى الملل، كما وجد أنها تخلو من شبهة البذاءة. وفى تقييمه لإسهام إدوارد داهلبرج ذهب أوغسط ديرليت إلى القول إن "المزيد من أحزان بريانوس" محدودة فى قيمتها الأدبية، وليس لها أى وزن من شأنه إضفاء قيمة على المجلة ككل. وفى هجومه على مجلة "المائدة الكبيرة" وحطه من شأنها؛ ذهب ديرليت بطبيعة الحال إلى أن استخدام البذاءة لابد وأن يكون له مقابل أو مبرر يتمثل فى القيمة الأدبية للمادة المنشورة فى المجلة.

وأيضا يتكون إسهام داهلبرج الآخر فى مجلة "المائدة الكبيرة"من خمسة عشر جزءا من الشعر الحر الثقيل الأوزان. وهذا الإسهام الثانى فى المجلة يشبه الإسهام الأول فى شدة اعتماده على معالجة الموضوعات والتيمات التاريخية والشخصيات المستمدة من التاريخ الفرعونى والكتاب المقدس. وكما سبق أن ذكر لا يلاحظ القارئ على إسهام داهلبرج أي بذاءة تذكر.

غير أن الوضع بالنسبة للروائى وليم س.بوروز المتمثل فى عشر حكايات من "الغداء العارى" يختلف تماما. فنحن نطالع ما لا يقل عن أربعين كلمة خارجة وبذيئة منشورة فى صفحات من المجلة لا يزيد على سبع وخمسين صفحة. ورغم أن هذه الكلمات البذيئة لا تستخدم لإثارة الشهوة فإن المؤلف يستخدمها فى إطار العنف والاشمئزاز المرتبط بإدمان المخدرات. وهى كلمة يرتبط استخدامها فى العادة بالنصابين الذين يستغلون ثقة الأبرياء وبتجار المخدرات ومدمنيها وشواذ الجنس والمنحرفين.

وعند نشر رواية "الغداء العارى" كاملة فيما بعد علق مؤلفها على الأسلوب الذى اتبعه فى سرد روايته بأنه أشبه ما يكون بجهاز التسجيل (الريكوردر). ويبدو أن أسلوب بوروز الروائى تأثر بدراسته للأنثروبولوجيا (علم الإنسان) فى جامعة هارفارد، الأمر الذى مكنه من تحليل السلوك البشرى المنحرف دون أي أفكار أو أحكام أو تحيزات مسبقة. ولغة بوروز فى سرده الروائى أقرب ما تكون إلى اللغة التى يستخدمها رجل الشارع، وذلك من أجل خلق جو واقعى، وهو أسلوب يثير شعور القارئ بالاشمئزاز أو الغثيان. علما بأن قوانين الرقابة التى تتبعها مصلحة البريد لا تطبق على إثارة الاشمئزاز بل تطبق على إثارة الشهوة الجنسية.

ويتكون الإسهام الأخير الذى اشترك به جريجورى كورسو فى مجلة "المائدة الكبيرة" من ثلاث قصائد تحمل العناوين التالية: "القوة" و"الجيش" و"البوليس" أهداها هذا الشاعر إلى الأديب آلن جنسبرج. وتعالج القصيدة الأولى موضوع عدم صلاحية امتلاك الأفراد للسلطة السياسية الخارجية كبديل لما يجب أن يمتلكوه من قوة داخلية ذاتية. وتدعو قصيدة "الجيش" بعاطفة متأججة إلى مناهضة الحرب. أما القصيدة الثالثة التى تحمل عنوان "البوليس" فتذكر المواجهات العديدة التى حدثت بينه وبين رجال القانون أثناء حضور احتفالية لقراءة الشعر.

والجدير بالذكر أن هذه القصائد الثلاث تخلو من البذاءة بجميع أنواعها. وقد نظم كورسو قصائده الثلاث فى قالب من الشعر الحر. وهى لا تنطوى على مشاعر مستفزة أو مثيرة بل تعبر عن مشاعر عادية بطريقة تدعو إلى الملل بالمقارنة بشعر جيل البيتس الذى ينتمى إليه.

وأيضا شرح كارول للمحكمة أن مجلة "المائدة الكبيرة" اختارت كتابات إدوارد داهلبرج للنشر، لأنه ناقد محنك يتسم بأسلوبه النثرى المتميز، فى حين أن هذه المجلة نشرت إسهام بوروز لأنها رأت فيه بدايات كاتب نثر أمريكى ينتظره مستقبل أدبى عظيم. وذهب إلى أن بوروز هو السليل الأدبى لكل من إدجار ألن بو وبودلير ورامبو وفيرلين الذين يسعون جاهدين إلى العثور على معنى لوجودهم خارج نطاق الأخلاق التقليدية الاجتماعية والفلسفية والدينية.

وهناك حافز آخر دفع المجلة لنشر كتابات بوروز يتمثل فى نوعية هجائه للمجتمع الأمريكى المعاصر. وقد شبه كارول بوروز بالكاتب البريطانى الساخر المعروف جوناثان سويفت قائلا إنه أول كاتب هجائى كبير يظهر فى أمريكا بعد ناثانيل وست.

وإذا نحينا بذاءات مجلة "المائدة الكبيرة" جانبا فلا مناص -فى نظر كارول– من القول إن المادة المنشورة فيها خليقة بأن تسمى مادة أدبية. فضلا عن أن بذاءاتها تقل بكثير عن بذاءات الأدب المكشوف المتداول آنذاك. ورغم ذلك فقد كانت مصلحة البريد مقتنعة بأن بذاءة المجلة تستوجب محاكمتها وعقد جلسة استماع لها. وليس هناك أدنى غرابة فى ذلك حيث إن الحملة الضارية التى شنها سمرفيلد رئيس جمعية محاربة الرذيلة ضد البذاءة ما فتئت تحث الجمهور على التبليغ ضد أي مادة بذيئة ترسل بالبريد وإرسالها إلى رئيس مصلحة البريد.

وبدأ جويل ج.سبراى ريجن دفاعه عن المجلة، وهو يشعر بالتشاؤم من أن النتيجة لن تكون فى صالحه رغم وثوقه من سلامة موقفه من الناحية القانونية. وتوقع سبراى ريجن أنه سوف يضطر إلى اللجوء إلى الاستئناف حتى يجئ الحكم لصالحه.

كان بول كارول رئيس تحرير مجلة "المائدة الكبيرة" وناشرها أول الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم. قال إنه حصل على درجة الماجستير فى الأدب الإنجليزى من جامعة شيكاغو عام ١٩٥٢، وأنه مارس التدريس فى معهد نوتردام ولويولا وجامعة شيكاغو. وأضاف أنه نشر العديد من قصائده فى المجلات والدوريات وأنه أقام عدة احتفاليات لقراءة الشعر ونشر ترجمته لخطابات القديس جيرومى. وجادل بول كارول أن مجلته تبذل محاولة جادة لنشر اتجاه جديد فى الرواية الأمريكية المعاصرة. وأضاف إن المجلة تتسم بالجدية وينبغى أن تصل إلى أيدى قرائها دون عوائق، واتهم كارول مصلحة البريد بتقييد تداول هذه المجلة بمصادرة عدة مئات من النسخ.

وطلب سبراى ريجن من رئيس تحرير المجلة أن يشرح السبب الذى حدا بالمجلة إلى نشر كتابات الأربعة كتاب السالف ذكرهم على صفحاتها. الأمر الذى جعل كارول يعلق على كتاباتهم. قال إنه نشر حكاية "منتصف ليل الملاك العجوز" لسببين؛ أحدهما أن تكنيكها الروائى يمثل محاولة جادة لتصوير الأسلوب الذى سبق لجيمس جويس أن ابتدعه، ومضى كارول يقول إن الأسلوب الذى اتبعه جاك كيروك له جذوره فى تربة الأدب الأمريكى، فهو يقفو أثر كل من كوبر وثورو ووالت ويتمان. كما يقفو إلى حد كبير أسلوب بارك شوبر، فضلا عن أنه يحمل بصمات مؤلفين آخرين مثل همنجواى وشيرود أندرسون. وامتدح كارول المؤلف كيروك لأهميته البالغة فى سبر غور الوعى الإنسانى دون أن يرمى من وراء ذلك إلى الإثارة الجنسية. ثم قرأ بعض الصفحات التى سطرها بوروز لتأييد وجهة نظره. ولكن القاضى أظهر ضيقًا بقراءة الألفاظ البذيئة فى قاعة المحكمة. وأيضا وصف كارول القصائد التى نظمها جريجورى كورسو بأنها إنتاج شعرى جاد لشاعر معاصر. وقبل أن يتمكن كارول من شرح نوعية قراء مجلة "المائدة الكبيرة" اعترض شويلر محامى مصلحة البريد بقوله إنه ينبغى الحكم على أى كتاب من خلال ردود فعل الناس الذى يقع هذا الكتاب فى أيديهم.

وانخرط محاميا مصلحة البريد والمجلة المصادرة فى جدال قصير حول قضايا البذاءة السابقة، وشرح طبيعة القارئ الذى تستهدفه المادة البذيئة. ولكن القاضى تدخل لوقف هذا الجدال الجانبى، وطلب منهما العودة لمناقشة القضية قيد النظر. ويبدو أن محامى مصلحة

البريد رأى من الناحية القانونية أن المادة البذيئة لا تستهدف طبقة المتعلمين فحسب؛ ولكنها تستهدف أيضا أكثر العقول القابلة للتأثر بها. ولكن القاضى رفض السماح لكارول بمواصلة الحديث عن القارئ الذى تستهدفه المجلة. وسعى سبراى ريجن إلى دفع محرر المجلة لمناقشة ما إذا كانت مجلة "المائدة الكبيرة" تتعمد إثارة الشهوة الجنسية فى الشخص العادى". وهنا تدخل القاضى ديفال ليقول إن مصلحة البريد لا يهمها أن تعرف نوايا المجلة وناشريها. عندئذ لجأ سبراى ريجن إلى طرح السؤال فى صياغة، أخرى وطلب إلى كارول وصف طبيعة القارئ العادى للمجلة، فأجاب بأن قراء هذه المجلة هم فى العادة طلبة الجامعة الذين يقرأون الأعمال الجادة ليس بهدف التسلية فحسب؛ ولكن بهدف الوصول إلى بصيرة أعمق لفهم حالتهم والحياة التى تحيط بهم، وكذلك بهدف الوقوف على بعض حقائق الحياة، وأضاف محامى المجلة إنها تخلو من الأدب الفاضح. ولا تهدف إلى أن يقرأها الناس سرا فى الحمامات ودورات المياه، مؤكدا أنها مجلة تصدر كل ثلاثة شهور، ويشترك فى تحريرها مؤلفون جادون، ويطالعها قراء جادون. غير أن كارول اعترف بأن المجلة تحتوى على كلمات فاضحة وبذيئة أحيانا. ولكنه أضاف إن مثل هذه الكلمات موجودة فى كثير من الكتابات الأدبية الراسخة. وكان كارول يهدف بذلك إلى إقناع القاضى ديفال بأن المجلة لها قيمة أدبية حتى يمكن معاملتها معاملة رواية "يوليسيس" لجيمس جويس والتى برأها القضاء من تهمة البذاءة رغم ورود كثير من الكلمات البذيئة فيها.

كان الشغل الشاغل لسبراى ريجن وكارول أن يثبتا أن مجلة "المائدة الكبيرة" عمل أدبى. يقول كارول فى هذا الشأن: إن شركتين توليتا توزيع المجلة، وإن المكتبات المحترمة مثل مكتبة برينتامو تبيعها فى العلن وليس فى السر مثلما يباع الأدب المكشوف. وأوضح سبراى ريجن أن عددا من أصحاب الإعلانات ينشرون إعلاناتهم فى هذه المجلة مثلما ينشرون إعلاناتهم فى الصحف والمجلات المحترمة مثل "صوت القرية"، و"مجلة لندن"، و"الافرجرين ريفيو".

ثم واصل محامى مصلحة البريد كارول شويلر التحقيق مع بول كارول ناشر المجلة فى مناقشة ست نقاط هى: ١- رأيه فى الحدود التى يجب على القانون الوقوف عندها عند استخدام بعض الكلمات البذيئة، ٢- علاقة كارول بمجلة شيكاغو ريفيو وحظر عددها الشتوى لعام ١٩٥٩، وامتناع جامعة شيكاغو عن إصدارها، ٣- سمعة بوروز ككاتب، ٤- الإسهام الذى نشره كيروك فى المجلة، ٥- بوروز ككاتب اجتماعى ساخر، ٦- خلفيته كناقد أدبى.... الأمر الذى جعل كارول يتحول إلى شخص عدوانى صلف ونافد الصبر.

سأل شويلر الناشر عن حق الكاتب فى أن يتمتع بالحرية فى استخدام الألفاظ فأجاب الناشر بقوله: "يحق للكاتب الجاد استخدام أي كلمة من شأنها أن توضح وتلقى الضوء على ما يحاول كتابته وتقديمه للقارئ، ودار بين هذين الرجلين الحوار التالى:

شويلر: إننى ببساطة أسألك عن رأيك إذا كنت تعتقد أنه يمكن إجبار أى كاتب على أن يستخدم أي ألفاظ فى تأليف القصص.

كارول: هل تسمح لى بالتركيز على سؤالك لصالحى. لقد حاولت فى وقت باكر أن أصف اعتقادى أن أى فنان ومسئول وجاد يحق له التعبير عن أى موضوع يشغل اهتمامه، ويجب أن يتمتع بالحرية الكاملة فى اختيار ألفاظه، حتى يتمكن من وصف البعد الكامل للموضوع الذى يعالجه. أما بالنسبة إلى أنواع الكتابة الأخرى فإنى أخشى أنك تحاول دفعى إلى القول بحرية الكاتب المطلقة فى استخدام ما شاء من الألفاظ، وإجابتى كلا لهذه الحرية المطلقة.

يتضح من هذا أن شويلر حاول أن يطمس الفروق الموجودة بين الكتاب، فى حين أوضح كارول هذه الفروق بجلاء، كما أوضح أن هناك بين هؤلاء الكتاب من يستحق أن يتمتع بالامتيازات بسبب ما يتصف به من جدية. وألح شويلر على كارول أن يعطيه مثلا على الفنان الجاد، فقال كارول إن جيمس جويس "رجل يخبرنا بالحقيقة كما يعرفها. فلو أن هذا الرجل رأى ضرورة فى استخدام بعض الألفاظ المعينة لتصوير الحقيقة فالرأى عندى أنه يتمتع بحق استخدام ما يشاء من ألفاظ. هذا هو الفنان المسئول الذى يضئ لنا الطريق".

وهكذا أكد كارول أن الفنان الجاد هو الوحيد الذى يتمتع بالحرية المطلقة فى استخدام ما شاء من ألفاظ!

ثم انتقل شويلر محامى مصلحة البريد إلى الاستفسار عن طبيعة العلاقة التى تربط محرر مجلة "المائدة الكبيرة" بمجلة "شيكاغو ريفيو". فاعترض محامى المجلة سبراى ريجن على هذا السؤال الذى ليست له أي علاقة بالقضية موضع الخلاف. ولكن القاضى ديفال سمح باستمرار هذا النوع من التساؤل. وسأل شويلر محامى مصلحة البريد كارول عن السبب الذى حدا بالرقابة أن تفرض الحظر على مجلة "شيكاغو ريفيو" فشرح ناشر هذه المجلة على النحو التالى:

"يرجع سبب حظر عدد مجلة شيكاغو ريفيو المزمع إصداره عام ١٩٥٩ إلى رئيس الجامعة الذى أراد آنذاك أن يتحاشى المزيد من الفضائح. ولم يكن سبب الحظر أدبيا، ولكنه

استند إلى احتمال أن تثير المجلة المزيد من الفضائح التى أرى أن المسئولين عن المجلة أرادوا تجنبها حفاظا على مصالح الجامعة الحالية. لقد أرادوا تلطيخ سمعتهم. فالحظر لا يرجع إلى أي أسباب أدبية. وألمح محامى مصلحة البريد مرتين إلى أن جامعة شيكاغو اعتبرت مادة المجلة بذيئة. وكان هدفه من وراء ذلك أن يثبت فى السجلات أن جامعة شيكاغو سبق لها أن فرضت الحظر على مادة المجلة. وطرح شويلر على الشاهد كارول مجموعة من الأسئلة حول الكاتب بوروز ومدى معرفته بكتاباته. ودار بين الرجلين الحوار التالى:

شويلر: هل يمكنك وصف كتابات بوروز بأنها نيئة (أى خام أو مستهجنة)؟

كارول: نيئة؟

شويلر: نعم نيئة.

كارول: هل تشرح معنى هذا التعبير من فضلك؟

شويلر: أعتقد أننا جميعا نعرف معنى نيئ.

كارول: نيئ مثل الشخص الذى يقدم على قتل زوجته. أعنى...

القاضى ديفال: يا مستر كارول خذ معنى كلمة نيئ لترى إذا كان بإمكانك تطبيقها على أى من كتابات بوروز.

سبراى ريجن (رئيس تحرير مجلة المائدة الكبيرة): إنى أعترض على ذلك يا سيادة القاضى، حيث إننى لا أرى ثمة علاقة بين وصف الكتابة بأنها نيئة وبين الجوانب القانونية التى نعرض لها فى هذه الجلسة. وإنى أفترض أنه حتى إذا كانت الكتابة نيئة فإن هذا لا يبرر وصمها بالبذاءة.

ديفال: حسنا إنى أفترض أن هذا السؤال مجرد تمهيد وأنه يسأله عن رأيه كشخص مؤهل لإبداء مثل هذا الرأى.

كارول: طبقا لمفهومى لكلمة نيئ سوف أقول نعم هى نيئة بكل تأكيد. وإذا أردت أن أصف باختصار ماهية مفهومى لهذه الكلمة، فإنها تنطوى على هذا المعنى... على ذلك الجانب الأكثر توحشا والذى نجده فى مصير البشر. وإنى أشير هنا بوجه خاص إلى شكسبير مؤلف عطيل وماكبث وهاملت كما أنى أشير إلى بعض جوانب أندرسون وإرنست همنجواى وخاصة فى روايته "الشمس تشرق أيضا". وأنا أصف هذه الأعمال الأدبية جميعها

بأنها "نيئة". وعلى هذا النحو فإنى أقول إن عمله (أى عمل بوروز) نيئ". وينطبق هذا على أجزاء من مؤلفاته. والأثر العام الذى تتركه كتابات بوروز أثر نيئ.

وفى نهاية المطاف كشف شويلر عن السبب القابع وراء هذه الأسئلة التى لا معنى لها والخاصة باستخدام كلمة نيئة. وهى مصطلح كان المؤلف آلن جنسبرج المنتمى إلى جيل البيتس قد استخدمه فى خطاب أرسله إلى بول كارول، وقامت مجلة شيكاغو بطبعه فى خريف عام ١٩٥٨. ويتضمن هذا الخطاب الإشارة التالية إلى كتابات بوروز:

"إن معظم كتاباته نيئة أكثر مما ينبغى، ولهذا طلبت منه أن يرسل إلىّ شيئا يمكن طباعته وفقا للمعايير الأمريكية".

وفور قيام شويلر بقراءة هذه الكلمات السالفة الذكر أخذ سبراى ريجن يشرح أن الرأى الوارد فى الخطاب هو رأى جنسبرج وليس رأى كارول. ومضى ناشر مجلة "المائدة الكبيرة" يقول إن بعض الفقرات الشكسبيرية قمينة، بأن تبدو نيئة فى نظر الرقيب إذا ما تمت صياغة لغتها الإليزابيثية فى قالب معاصر. وأبلغ الناشر جلسة الاستماع أنه تلقى الخطاب المشار إليه قبل مطالعة أى من كتابات بوروز، وأن الأفكار التى جالت فى ذهنه هى أن بوروز لا يخرج عن كونه حالة سيكوباتية أى مرضية، أو أنه يسطر كتابات بالغة القوة والتأثير.

وكرر شويلر محامى مصلحة البريد أسئلته عدة مرات فى محاولة لحمل كارول على الاعتراف بأن كلمة نيئة تنطوى على معنى جنسى وبذئ. ثم قام شويلر فجأة بتغيير أسئلته ليتناول أسلوب كيروك فى الكتابة. ولكنه سرعان ما عاد إلى تناول أسلوب بوروز فى الكتابة، ثم انتقل إلى إسهامه فى المجلة وطرح السؤال التالى: "هل تعتقد أن مثل هذا العقد الاجتماعى كما تسميه سوف يكون عديم القيمة إذا خلا من استخدام الألفاظ البذيئة، فأجاب كارول "نعم" أعتقد بكل أمانة أنه سوف يكون عديم القيمة. وقبل أن يكمل سؤال الشهود الآخرين طلب شويلر محامى مصلحة البريد إلى كارول أن يقدم قائمة بعدد مراجعات الكتب والمقالات النقدية التى سطرها وذلك فى محاولة واضحة للنيل منه، والحط من شأنه كناقد أدبى.

ولكن ناشر المجلة سعى -ما وسعه السعى- إلى تأكيد كفاءة كارول كناقد، وأن هجاء بوروز الاجتماعى ليس واضحا لقارئ المجلة العادى. فضلا عن أنه لا يهدف بهذا الهجاء إلى إثارة المجون والفسق بأى حال من الأحوال.

وسأل شويلر محامى مصلحة البريد كارول عن نوعية القارئ الذى تسعى المجلة إلى مخاطبته فأجابه كارول بقوله:

"إن المجلة تهدف إلى الوصول إلى قارئ الأدب الجاد وليس بالضرورة خريج الجامعة بالمعنى الإحصائى لهذه الكلمة. إنها تستهدف قارئ الأدب الجاد كى يتعلم بعض حقائق الحياة من الأدب".

شويلر: هل تتفق معى أن هذا القارئ ليس تماما القارئ العادى فى الولايات المتحدة؟

سبراى ريجن: أعتقد أنه بإمكاننا أن نستخدم تعريفا آخر.

شويلر: أعتقد أننا جميعا ندرك السؤال الذى أطرحه، كما أنى على يقين من أن المستر كارول يدركه.

كارول: حسنا، بطبيعة الحال لن أقول إنه الشخص العادى الصحيح... ولكم كنت أتمنى لو كان الأمر كذلك. ويمكننى أن أضيف إذا سمحت لى بذلك أن استخدامنا للبريد الأمريكى..

شويلر: لدينا شهادة بأن...

كارول: أنت تحاول تحديد نوعية القارئ لهذه المجلة... أنت تحاول أن تجعلنى أقول إن المجلة لا تخاطب القارئ العادى.

وهكذا نجح محامى مصلحة البريد فى إرباك كارول ولخبطته وإظهاره بمظهر الشخص المتناقض مع نفسه فى وصفه لجمهور قراء مجلة "المائدة الكبيرة". ولو أن كارول وافق على التسليم لهذا المحامى بأن قراء المجلة من المتخصصين لاستطاع أن يكسب بعض النقاط حيث إن الهدف الذى كان شويلر يرمى إليه هو أن يبين أن المجلة لم تكن صالحة لبعض قطاعات المجتمع كقطاع الأطفال على سبيل المثال.

ولم يبق لسبراى ريجن محامى المجلة أو لشويلر محامى مصلحة البريد أي أسئلة أخرى يطرحها على كارول. وطلب القاضى ديفال من كارول أن يشرح كيف أن كيرواك يكتب بالتفاصيل الدقيقة عن العمليات الذهنية الدقيقة دون أن يعرف أى شكل من أشكال الكبت. وذهب ناشر المجلة إلى أنه يشعر بأن هذا الكاتب يحاول تسجيل التجربة الفعلية لعمل العقل، وهو يتأمل أو يتدبر موضوعا بعينه. ومضى يقول إن مثل هذا التكنيك أشبه ما يكون بتداعى الأفكار الحر فى علم النفس أو تيار الشعور فى الأدب أو بالنغمات المرتجلة التى نجدها فى موسيقى الجاز.

وتساءل القاضى ديفال إذا كان بإمكانه توضيح مقولة سبق التعبير عنها، مفادها أن كتابات بوروز تتضمن محاولات من خارج المجتمع لفهم أسباب وجوده، فأجاب كارول أن بوروز يبحث فى الغالب عن معنى لوجود هذا المجتمع عن طريق وسائل يحظرها هذا المجتمع القائم؛ بسبب ما يسوده من فساد وعجز عن استيعاب الأبعاد الكاملة للتجربة الإنسانية. وتساءل ديفال إذا كان الكاتب يستخدم هذه اللغة الفاضحة لسبر غور هذه الأبعاد فوافق كارول على أن بوروز يستخدم اللغة على هذا النحو مضيفا: "إن عدم استخدام مؤلفنا للغة المستخدمة فى الكنائس أيام الآحاد لا يعنى بالضرورة إحجام هذا المجتمع عن قراءة كتاباته أو الإعراض عنها. وعاد ديفال إلى تناول استخدام الكلمات على نحو خاص فى مجلة "المائدة الكبيرة". وهنا تبادل كل من القاضى ديفال وكارول الحوار التالى:

ديفال: إننى أشير فى جزء إلى لغته، وفى جزء آخر إلى المناظر والمواقف التى يصفها الكاتب مثل السحاق واللواط والممارسات المتنوعة التى من هذا القبيل. أظن أنك توافق على أن هذه الأشياء تخرج تماما عن أخلاقيات المجتمع.

كارول: هل تسمح لى أن أضيف الآتى. هناك مسرحية من الأدب العظيم ألفها سقراط... أعنى "أوديب الملك"[*] وهى بكل تأكيد علاقات تنتهك أخلاقيات أى مجتمع. والسؤال المطروح هل ينبغى تقديم أو عدم تقديم هذه المسرحية على خشبة المسرح. وهل ينبغى قراءتها أو عدم قراءتها؟ هذه التجربة الفعلية لرجل يعاشر أمه ويقتل أباه... التجربة المروعة والعنيفة والمرضية والغيورة. وهناك تجربة هاملت الذى قتل أخاه[**] هل ينبغى أن يمتنع المجتمع المحترم عن قراءة هذه المسرحيات. أعتقد أن بوروز يحتل مكانة فى هذا التقليد... مكانة رجل يكتب عن مناطق فى هذه التجارب غير المألوفة للشخص العادى. ولكن عن طريق تقديم هذه الأمور بطريقة معينة، والكتابة عنها كهجاء اجتماعى يمكّن الشخص العادى من أن يكتسب بصيرة أكثر نفاذا فيما يتعلق بما يحدث فى حياتنا اليومية وأمام عيوننا. هذا هو شعورى الأدبى حول هذا الموضوع. وأعتذر أنى أبدو كشخص يلقى محاضرة".

عندئذ تكلم القاضى بجفاء وأبلغ ناشر المجلة أن المشكلة القائمة لا تتمثل فيما إذا كان يحق للمؤلف أن يكتب فى موضوعات بعينها، وإذا كانت اللغة التى يستخدمها بوروز مقبولة

---

[*] مؤلفها سوفوكليس وليس سقراط. (المؤلف)

[**] هاملت لم يقتل أخاه بل قتل عمه. (المؤلف)

طبقا لمعايير المجتمع. وقد ذهب كارول إلى أنه يحق لبوروز أن يكتب عن تجاربه بصدق وحيوية؛ لأنه "أحد الملعونين" الذين يستطيعون أن يجعلونا نفهم هويتنا بطريقة أفضل.

ولم تبق هناك أي أسئلة تطرح على بول كارول ناشر المجلة. ولكن الشاهد الآخر – على خلاف بول كارول الذى أظهر تحيزا للمجلة – لم تربطه أي علاقة بمجلة "المائدة الكبيرة" أو "شيكاغو ريفيو" أو جامعة شيكاغو نفسها. وكان هذا الشاهد واسمه هوك نوريس يعمل مراجعا للكتب فى صحيفة "شيكاغو صن تايمز". وبعد إدلائه بالقسم أمام لجنة الاستماع قدم نفسه بأنه أستاذ بجامعة هارفارد وروائى وكاتب قصة قصيرة وناقد أدبى. وقد جعلت خلفية نوريس كأستاذ بجامعة هارفارد وعمله كصحفى فى صحيفة يومية كبرى أعلى قدرا من أوغسط ديرليت من الناحية الأدبية.

بدأ سبراى ريجن يستجوب نوريس بأن طلب منه تقييم مجلة "المائدة الكبيرة"، فأجابه نوريس بأن محتويات هذه المجلة تمثل حركة أدبية دولية جادة وسليمة، وتعبر عن احتجاج له مغزاه الاجتماعى ضد عالم فى مقدوره أن ينتج قنبلة تنسف مدينة كاملة بضربة واحدة. وعلى الرغم من أن نوريس أظهر احتراما لمحاولة كيرواك أن يتتبع "جولات العقل فى كهوف التجربة" بطريقة تشبه طريقة كل من جيمس جويس وجيرترود شتاين فإنه حكم على حكايته (منتصف ليلة الملاك العجوز) بالفشل من الناحية الأدبية.

غير أن المقتطفات المستقاة من كتابات بوروز أصابت نجاحا أعظم فى استخدام تكنيك تداعى الأفكار المعروف بـــ"تيار الشعور" لتصوير التداعيات الداخلية للعقل البشرى. وذهب نوريس فى شرحه قائلا: "إن الشخوص الطليقة والتداعيات غير المترابطة بين الأشياء والكلمات والجمل والفقرات والأماكن الموجودة فى النص أسهمت جميعها فى ترك أثر فى النظارة أشبه ما يكون بنظرة مختلسة داخل عقل مدمن المخدرات".

وذهب نوريس إلى أن القصائد الثلاث التى نظمها كورسو تظهر قدرة كبيرة على التحكم فى اللغة والشعور بالصورة المرسومة بدقة وبقدر عظيم من الفكاهة. وذكر أنها أفضل من جميع الإسهامات المنشورة فى المجلة. وكان مديحه – رغم شدة إيجابيته – يؤكد بدقة ونعومة ملكات الشاعر ومواهبه أكثر من كونه ثناء على إنجازاته.

والغريب أن نوريس شن هجوما ضاريا ونقدا لاذعا ضد الإسهامات المنشورة فى المجلة، والتى تتصف ببعدها أكثر من غيرها عن الفحش والبذاءة. ثم اعترف بأنه لم يفهم من إسهام إدوارد داهلبرج المنشور فى مجلة "المائدة الكبيرة" شيئا، ولكنه أقر بأنه إسهام يتسم بقيمته الأدبية.

وفى محاولة للتدليل على أن مجلة "المائدة الكبيرة" مجلة عادية سأل سبراى ريجن الناقد نوريس عن طبيعة ومعنى نوعية الإعلانات التى تقوم هذه المجلة الأدبية بنشرها. وقبل أن يتمكن نوريس من الإجابة اعترض شويلر محامى مصلحة البريد على استدعاء الشاهد كى يتكلم عن الإعلانات. وهنا أوضح سبراى ريجن أنه يحق لمن يستعرض أي مجلة أن يعرض لجميع محتوياتها، بما فى ذلك الإعلانات التى تنشرها، فهذه الإعلانات من شأنها أن توضح الهدف العام للمجلة والقراء الذين تستهدفهم.

ديفال: لست أرى كيف يمكن للإعلانات المنشورة هنا أن تعطينا مؤشرا على نوعية القراء الذين يرمى الناشر إلى الوصول إليهم. سوف أفترض أن الناشر على غير استعداد لقبول أى إعلان ترغب أي شركة فى نشره فإنه من المفترض أن الناشر فى نهاية الأمر يود أن يرى مطبوعته رائجة من الناحية المالية.

سبراى ريجن: لو أننا عثرنا على إعلان فى هذه المجلة عن سكن فاخر لفترة قصيرة فإنى أعتقد أنه يحق لنا أن نستدل من ذلك على بعض المؤشرات.

ديفال: ولكن ليس هناك أى وجود لمثل هذا الإعلان فى المجلة.

سبراى ريجن: هذه النقطة على وجه التحديد هى التى لدى عنها ما أشهد به.

ديفال: صحيح يا سيدى، لديك ما تشهد به من واقع المجلة نفسها. وهذا أفضل دليل على محتويات المجلة نفسها.

وفى حين حاول سبراى ريجن والشهود الحديث عن مختلف محتويات المجلة تشبث القاضى ديفال بقوله إن محتوى المجلة يتحدث عن نفسه، وليس هناك حاجة إلى شرحه.

ثم طرح سبراى ريجن على نوريس السؤال التالى:

عندما طالعت مجلة المائدة الكبيرة وقمت بتقييمها كناقد أدبى هل كنت تدرك ما ورد فيها من وصف دقيق ومفصل للمضاجعات الجنسية؟

شويلر: أعترض على طرح هذا السؤال؛ حيث إن المجلة تتحدث عن نفسها.

سبراى ريجن: لو كانت المجلة تتحدث عن نفسها يا سيادة القاضى لما كان هناك ما يدعو إلى وجودنا هنا. إن الكتابة ليس لها وجود، ولا يتم إنتاجها من فراغ.

وبطبيعة الحال كان ديفال وشويلر يدركان أنه ليس بمقدور كل قارئ لأى كتاب أن يستوعب ما يتضمنه من تغييرات. وثار جدال فى هذا الموضوع فى قاعة المحكمة. وأنهى

ديفال الجدل المثار بأن خلص إلى نتيجة مفادها أنه طالما أن هذا الأمر لا يعدو أن يكون شهادة غير ملزمة له بشيء، ولا تفرض عليه أي قيود عند اتخاذ القرار الذى يراه فإنه سيسمح للشاهد بالإدلاء بشهادته، وعندما أجاب نوريس عن السؤال المطروح قال إنه لا يعتبر الأوصاف الواردة فى مجلة "المائدة الكبيرة" ذات طابع جنسى.

وعندما سأل سبراى ريجن الشاهد عن استخدام كلمات بعينها فى النصوص المنشورة أجاب نوريس أنه يشعر بأن الكلمات الجنسية والبذيئة التى يستخدمها كل من كيرواك وبوروز لازمة لخدمة الهدف الجاد الذى يرمى إليه إسهامهما المنشور فى المجلة. وأردف نوريس قائلا: إن الكلمات المنشورة فى المجلة "تشير إلى وظائف الجسم الطبيعية أو إلى الأعضاء التى تؤدى هذه الوظائف".

ثم سأل سبراى ريجن الناقد نوريس عن رأيه النقدى فى ثلاثة أمور: (١) إذا كان قد لاحظ وجود تغييرات خلال الثلاثين عاما الماضية بخصوص استخدام الألفاظ الجنسية البذيئة والأوصاف الجنسية فى الأدب الجاد. (٢) إذا كانت الألفاظ المعترض عليها الواردة فى مجلة "المائدة الكبيرة" موجودة فى الكتب التى تحظى بالقبول على نطاق واسع. (٣) إذا كانت الكتابات المنشورة فى المجلة تهدف إلى إثارة الشهوة الجنسية فى قرائها.

واعترض شويلر محامى مصلحة البريد على طرح هذه الأسئلة الثلاثة، معتبرا أن السؤالين الأول والثانى لا يمتان إلى صلب الموضوع. أما السؤال الثالث فلم يكن نوريس مؤهلا للإجابة عنه. وذهب شويلر محامى مصلحة البريد إلى أن الإجابة تتطلب منه الإدلاء بشهادة لا تمت إلى تخصصه بصلة، فهى تحتاج إلى شهادة عالم متخصص فى علم النفس. وقد وافق القاضى على هذه الاعتراضات، ثم وجه محامى المجلة سؤالا إلى نوريس يطلب فيه أن يصف القارئ العادى الذى تستهدفه المجلة، فأجاب هذا الناقد بقوله إن أى قارئ على درجة عالية من الثقافة، ويعنى بالأدب الطليعى الجاد سوف يقدر مجلة "المائدة الكبيرة" حق قدرها. ثم أضاف على وجه السرعة أن السواد الأعظم من الناس لن يظهر أى اهتمام بالمجلة؛ لأن طبيعة المطبوعات الطليعية لن تستهوى سوى عدد قليل من القراء.

أما شويلر محامى مصلحة البريد فقد ضيق الخناق على الشاهد نوريس كناقد أدبى، موضحا أن اشتغاله بالنقد الأدبى لا يتجاوز عاما واحدا. وسأل محامى مصلحة البريد الشاهد إذا كان يشعر بأن واجبه كناقد يقتضى منه تتبع المنحنيات والتموجات الموجودة فى عقل رجل يدمن تعاطى المخدرات. وفى هذا بدون أدنى شك إشارة إلى إسهام بوروز فى الكتابة عن إدمان المخدرات وتعاطيه الشخصى لها. ورد نوريس على ذلك قائلا: حيث إن إدمان

المخدرات شأن عام فإنه من المؤكد أن بوروز يلقى الضوء على مشكلة اجتماعية. وقد بذل محامى مصلحة البريد قصارى جهده لمحاصرة الناقد نوريس بالأسئلة عن المزايا الأدبية لمجلة "المائدة الكبيرة". واستطرد هذا الناقد قائلا إن رأيه فى هذا الشأن يتوافق مع معظم النقاد الآخرين. واصفا هذه المجلة بأنها ظاهرة أدبية وثقافية لها أهميتها، دون أن يمتدح مادة هذه المجلة أو يقرظها.

ثم تناول شويلر استخدام كتاب المجلة للكلمات القذرة، وأراد أن يعرف إذا كان الناقد نوريس يشعر بأن الحكايات المنشورة فى مجلة "المائدة الكبيرة" سوف تفقد الكثير من معناها إذا استبدلت بكلماتها البذيئة مفردات أقل بذاءة، فقال نوريس إن استبدال مفردات مقبولة من قبل المجتمع بالكلمات البذيئة شيء مستهجن، بل إنه شيء يثير الضحك. وأضاف إن الواقعية فى الأدب تشكل جوهر الكتابات الأدبية فى القرن العشرين كما يمارسها درايزر وجويس وهمنجواى. واعترف نوريس بأن نقاد الأدب يتسامحون مع الأديب الخلاق ويسمحون له باستخدام الألفاظ البذيئة، وأضاف إن القوانين تتخذ من هذه الألفاظ البذيئة موقفا أكثر تزمتا وأقل تقدمية من النقد الأدبى.

وكذلك ذكر نوريس أن المراجعة التى نشرها فى صحيفة الصنداى تايمز عن مجلة "المائدة الكبيرة" لم تكن فى صالح هذه المجلة. غير أنه لم ينكر على هذه المجلة بعض ميزاتها الأدبية، ولكنه قال إنها ميزات محدودة بطبيعة الحال، فضلا عن اعترافه بجديتها.

وبعد أن استيقن سبراى ريجن من اقتناع نوريس بجدية المجلة طرح القاضى ديفال بعض الأسئلة الاستيضاحية. أراد أن يعرف منه لماذا قام بمراجعة المجلة فى صحيفته فى المقام الأول. وفيما يلى الحديث الذى دار بين القاضى ديفال والناقد نوريس فى هذا الشأن:

ديفال: إنك هاجمت المجلة فيما كتبت؟

نوريس: نعم يا سيدى هاجمتها بوجه عام.

ديفال: أعتقد أنك قلت فى تقييمك للمجلة إنك تمثل أغلبية النقاد الذين تعرفهم وطالعت انتقاداتهم؟

نوريس: نعم يا سيدى. هذا هو انطباعى.

ديفال: أنت على حق يا سيدى. هل هذا رأيك الأخير فى هذا الموضوع؟

نوريس: نعم يا سيدى.

فسكت ديفال وتوقف عن توجيه الأسئلة إلى نوريس.

ولكن سبراى ريجن واصل توجيهها إليه؛ مما جعله يقرر أنه لولا أن مجلة "المائدة الكبيرة" تمثل حركة أدبية مهمة لما كتب عنها فى صحيفته على الإطلاق. وأضاف إن انتقاده للمجلة يرجع إلى موقفه النقدى، وليس إلى موقفه القانونى منها. وبدا أن شهادة نوريس لم تترك فى نفس القاضى أى أثر.

وكان الشاهد الثالث والأخير أمام المحكمة هو هانز دابليو ماتيك المتخصص فى علوم النفس والاجتماع والجريمة، والحاصل على درجة الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة شيكاغو. وقد عمل هذا الرجل خلال الحرب العالمية الثانية فى معسكرات الحرب. فضلا عن أنه كان يشغل فى الماضى وظيفة مساعد لرئيس سجن كوك كاونتى، وباحثا اجتماعيا فى لجنة إطلاق سراح السجناء فى ولاية إلينوى ورئيس أكاديمية إلينوى لعلم الجريمة. واقتصرت كل شهادته على مقتطفات مأخوذة مما كتبه بوروز فى المجلة. وهكذا سعى سبراى ريجن إلى إبراز أهمية الجوانب العلمية والاجتماعية المتمثلة فى رواية "الغداء العارى".

واعتبر ماتيك -من واقع تجربته كحارس سجون وكرجل متبحر فى علم الجريمة- أن إدمان المخدرات مشكلة اجتماعية خطيرة. وحيث إن إدمان المخدرات نشاط ذو طابع إجرامى فقد شعر ماتيك أن هذا النشاط يضطر الأشخاص إلى اللجوء إلى أنوع متعددة من الجريمة من أجل الاستمرار فى تعاطى المخدرات. وحتى يؤكد خطورة هذه المشكلة ذكر أمام لجنة الاستماع أن المكتب الفيدرالى برمته أنشئ بغرض التعامل معها.

وعند سؤال ماتيك عن الفائدة التى يمكن جنيها من وراء المقال الذى أسهم به بوروز فى مجلة "المائدة الكبيرة"، أجاب بقوله: إنه يستفيد من كتاباته فى تدريس علم الجريمة للطلبة. قال:

"إننى بالتأكيد أطلب من طلبتى الرجوع إلى ما كتبه المستر بوروز فى المجلة؛ باعتباره أروع مثل على استغراق المدمن فى الخيالات، أى أنه بهذا يسهم فى فهمنا لبعض المشاكل التى يواجهها مدمن المخدرات".

وأضاف ماتيك إن الجزء المنشور من رواية "الغداء العارى" يصور تصويرا جيدا أفكار وخواطر المدمنين، ويصف بموضوعية عملية تعاطى المخدرات. ثم مضى يقول: "ولكن قيمته الحقيقية تتمثل فى أنه يحتوى على معلومات مباشرة من وجهة نظر شخص

يعرف المشكلة. ومن الواضح أنه يصبح على سجيته عندما يحدثنا عن أفراح المدمنين وأتراحهم". وهناك فرق جوهرى بين حكايات الإدمان التى يتحدث عنها بوروز بتلقائية وتلك الحكايات التى يرويها المدمنون، وهم فى ظروف غير طبيعية حين يكونون نزلاء السجون أو عند القبض عليهم واستجوابهم.

وسأل القاضى ديفال محامى المجلة سبراى ريجن إذا كان يرى ضرورة إثبات إدمان بوروز للمخدرات فى الأوراق الرسمية ما دام الإدلاء بالشهادة يخلو من أي إشارة إلى هذا. وفوجئ سبراى ريجن بهذا التعليق وبهت قائلا إن لب جلسة الاستماع يقتصر على نوعية كتابات بوروز وليس على مسلكه. وهنا أوضح القاضى ديفال أن ملاحظات "الشاهد ماتيك وتعليقاته تفترض أن مثل هذا النوع من الكتابة لا يمكن أن ينجزها غير المدمن للمخدرات. وهنا علق الشاهد بقوله:

"لو أنه (أى بوروز) لم يتعاط المخدرات قط لجاء وصفه لإدمان المخدرات بهذا الشكل إلى حد المتعاطف والمتفهم مدهشا للغاية، فهو بقدر ما أعرف يرسم صورة تتسم بالصدق... وعلى أي حال لست فى موضع يسمح لى بتوجيه الاتهامات؛ لأن هذا أمر قانونى بحت لا أستطيع التعليق عليه. وقد اعتبر الشاهد أن رواية "الغداء العارى" تتضمن حياة مؤلفها، ولا يمكن لغير مجرب أن يكتبها.

وبوصفه عارفا بعلم الاجتماع سئل ماتيك بشأن استخدام المؤلف بوروز للألفاظ البذيئة فرد بقوله إن مثل هذه الألفاظ هى الشائعة والجارية على ألسنة المدمنين والسجناء بوجه عام. وهو يستخدم هذه الألفاظ من واقع معرفته بهم واختلاطه بالمجندين فى الجيش".

وامتنع ماتيك عن التحدث فى هذا الموضوع كناقد أدبى. وعلى أي حال لم يسمح له القاضى ديفال بالكلام عن قيمة رواية "الغداء العارى" من الناحية الأدبية. فضلا عن أن هذا القاضى لم يسمح لماتيك بأن يتناول الشهوة الجنسية التى تثيرها كتابات كل من بوروز وكيروواك.

وبعد أن انتهى محامى مصلحة البريد من توجيه أسئلته إلى الشهود طرح ديفال هذا السؤال على ماتيك:

ديفال: بناء على الشهادة التى أدليت بها يا مستر ماتيك فإن الانطباع الذى يتبقى لدىَّ أنك تعتبر الكتابة التى أسهم بها بوروز جيدة ومفيدة فى المقام الأول لمدمنى المخدرات أو

الناس الذين يعالجون موضوع تعاطى المخدرات كنوع من القراءة التى قد تساعد المدمنين على الشفاء.

ماتيك: نعم أعتقد ذلك فى إطار فهم طبيعة مدمن المخدرات وحالته العاطفية والنفسية.

لم يقبل محامى المجلة أن تقتصر شهادة ماتيك على الإيحاء بأن المادة التى نشرها بوروز فى المجلة سوف تفيد مدمنى المخدرات والمتعاملين معهم فقط. وسأل محامى المجلة هذا الشاهد إذا كان القارئ الحاد الذكاء – وليس بالضرورة المتخصصين فى علم الاجتماع أو الجريمة – سوف يجد أن المقتطفات المنشورة فى رواية "الغداء العارى" تلقى الضوء على مشاكل وعذابات مدمنى المخدرات، وبطبيعة الحال وافق ماتيك على أنها سوف تفعل ذلك، فضلا عن أن هذه الرواية تزيد من فهم القارئ الجاد لحجم مشكلة الإدمان. وفور أن غادر ماتيك منصة الشهادة بدا أن مجلة "المائدة الكبيرة" قمينة بأن تخسر القضية، كما أصبح من الواضح أن محامى المجلة استقبل ردود ماتيك بفتور؛ حيث إنه كان يفكر فى رفع قضية استئناف لصالح المجلة، وأن بإمكانه الاستفادة من السجل القوى الذى يمكنه الاستناد إليه فى رفع دعوى الاستئناف. فضلا عن أن محامى المجلة تمكن من طرح عدد من الأسئلة الدستورية، لا يمكن حسمها إلا فى ساحة المحكمة الفيدرالية وليس على مستوى جلسة استماع إدارية.

وبعد أن انتهى الشهود من الإدلاء بشهاداتهم قدم محامى المجلة أدلة تتكون من "أربعة وعشرين خطابا سطرها الكتاب والنقاد والمعلمون وأصحاب المكتبات والناشرون وأحد المتخصصين فى التحليل النفسى. وقبل القاضى الأخذ فى الاعتبار شهادة الكتّاب بأن مجلة "المائدة الكبيرة" تتمتع بالقيمة الأدبية والاجتماعية" ولكنه تحفظ فى قراره واعدًا سبراى ريجن محامى المجلة بأنه سوف يحتفظ فى السجلات فقط بآراء النقاد المرموقين والمشهود لهم بالكفاءة. وأعلن القاضى ديفال أنه يرفض تسجيل أي عبارات ترى أن مادة المجلة تثير الشهوة الجنسية فى القارئ العادى، وطلب استبعادها لأنها لا تفيد القضية المطروحة، كما أخبر محامى المجلة بأنه سوف ينظر إلى هذه الشهادات، ويقيم كلا منها على حدة. واعترض محامى المجلة على قرار القاضى بأن يضع، وفق هواه، بعض خطابات الشهود فى السجلات ويستبعد بعضها الآخر.

ثم قدم محامى المجلة سبراى ريجن مجموعة من المقالات تتكون من تسعة مقالات تدل على أهمية فلسفة وأدب الجيل المعروف بجيل البيتس. وأيضا احتفظ القاضى بحقه فى إرجاء إصدار الحكم على الأدلة المقدمة لحين تمكنه من الاطلاع على المادة المقدمة

وفحصها. وأيضا قام محامى المجلة سبراى ريجن بتقديم الشهادة التى سبق للشاهد مالكلولم كاولى أن أدلى بها أثناء محاكمة رواية د.هـ.لورانس "عشيق الليدى تشاترلى" فقال القاضى ديفال إنه سوف يصدر حكمه عليها بعد قراءتها.

والغريب أن ديفال: استدعى ناشر المجلة المحظورة بول كارول مرة أخرى لسؤاله عن الشئون المالية للمجلة. قال هذا الناشر إنه يتطلع إلى رواج مجلته فى كل ربوع الأمة. كما يتطلع إلى مجئ اليوم الذى يرى مجلته الأدبية الجادة تعرض فى أكشاك بيع الصحف لتمكين القراء من شرائها.

أضاف إن جميع طموحاته فى الوقت الحاضر لا تتجاوز حصوله على راتب يتقاضاه من المجلة بعد كل المبالغ التى أنفقها على إنشائها. وأبلغ كارول القاضى ديفال بأنه وعد شفاهة بأن يعطى خمسين دولارًا مكافأة لكل مشترك فى تحرير العدد الأول من مجلته. ولكن قلة العائد من مبيعاتها حالت دون الوفاء بوعده. وبعد أن اعترف الناشر بول كارول بضآلة ميزانية مجلته سمح له القاضى بمغادرة منصة الشهادة.

عندئذ قال شويلر محامى مصلحة البريد إنه لم ينته بعد من مرافعته، وإن سجلات جلسة الاستماع توضح النقاط الراسخة التالية: (١) أن مجلة "المائدة الكبيرة" أرسلت نسخها إلى المشتركين فيها عن طريق مصلحة البريد. (٢) أن هذه المجلة بذيئة. (٣) أن شهادة الشهود تبين وجود خلاف كبير بين النقاد فى قيمة المجلة الأدبية.

وخلص محامى مصلحة البريد من هذا إلى أن المحك السليم للحكم على رواية "الغداء العارى" يتمثل فى أثرها من الناحية الاجتماعية، وليس فى أهميتها من الناحية الأدبية. والجدير بالذكر أن القاضى ديفال أقام حكمه فى هذه القضية على أساس الموازنة بين فائدة المادة المنشورة وبذاءتها. علما بأن قطاعا من الناس اعتبر قيمة المادة المنشورة من الناحية الاجتماعية هى معيار الحكم عليها. ولكن محامى مصلحة البريد أنهى مرافعته باعتبار المجلة موضع التقاضى بذيئة ومثيرة للشهوات وقذرة وغير مهذبة، ولا تصلح للتداول والتوزيع عن طريق مصلحة البريد بمقتضى البند رقم ١٨ من القانون الأمريكى ١٩٦١.

وأنهى محامى المجلة سبراى ريجن مناقشته للقرارات التى اتخذتها المحكمة الأمريكية العليا بشأن موضوع البذاءة بقوله إنه يحق للحكومة أن تفرض الحظر فقط على الأدب المكشوف الفاضح، فى حين لا ينبغى لها اعتبار الأعمال التى تتميز بالأهمية الاجتماعية، مثل مجلة "المائدة الكبيرة"، بذيئة.

والجدير بالذكر أن سبراى ريجن محامى المجلة هاجم رواية "عشيق الليدى تشاترلى" عندما أشار إلى الحكم الصادر قبل أسبوع واحد ضد هذه الرواية؛ حيث نرى رئيس مصلحة البريد يصرح ببذاءتها، لأنها مفعمة بأدق الأوصاف الجنسية، وقد علق سبراى ريجن فى هذا الشأن بقوله إن لغة مجلة "المائدة الكبيرة" ربما تتجاوز الحدود المعتادة للصدق فى الوصف، ولكن هذه الأوصاف ليست مثل الأوصاف الفاضحة التى نطالعها فى رواية "عشيق الليدى تشاترلى"، ولهذا فإن مجلة "المائدة الكبيرة" لا تخضع لقوانين الحظر التى تنطبق على رواية د.هـ. لورانس الفاضحة.

واعترض محامى المجلة على استناد مصلحة البريد فى مقاضاة مجلة "المائدة الكبيرة" إلى رأى أوغسط ديرليت السلبى فيها، واتهامه لها بالبذاءة، كما أوضح أن أكثر من عشرين ناقدا شهدوا لصالح هذه المجلة. ثم شن هجوما على طرق الاستجواب التى استخدمها شويلر محامى مصلحة البريد أنهاه بقوله:

"وثمة وجهة نظر من جانب المديرين الحكوميين تنطوى على انتهاك مباشر لمبادئ التعديل الأول للدستور الذى يضمن للمواطن الأمريكى حرية التعبير، كما يضمن له أن يقرر بنفسه ما هو صالح وصحيح، وما هو غير صالح وغير صحيح فى الفنون".

وطلب محامى المجلة سبراى ريجن من رئيس جلسة الاستماع أن يقرر أن مجلة "المائدة الكبيرة" ليست بذيئة، وأنها تنطوى على مضمون أدبى له هدف جاد. فضلا عن أنها تتمتع بحماية التعديل الأول للدستور الأمريكى. وأوضح سبراى ريجن أن النقاط القانونية "الدستورية" سوف تسقط لو أن رئيس هذه اللجنة فعل ذلك. وبعد أن طالب سبراى ريجن المحكمة باتخاذ قرار شفوى مباشر فى هذا الشأن أوضح أن القاضى ديفال لم يقرأ المجلة بأكملها؛ ومن ثم فإنه ليس بوسعه إصدار حكم عادل عليها. وقطع القاضى ديفال على نفسه عهدا بإصدار قرار كتابى فى هذا الشأن فى غضون خمسة أيام من تاريخ عقد لجنة الاستماع.. وقد تنازل محامى مصلحة البريد ومحامى المجلة عن حقهما فى رفع مذكرات إضافية مكتوبة بشأن الجوانب القانونية لهذه القضية.

واختتم ديفال جلسة الاستماع فى تمام الساعة الخامسة واثنتين وعشرين دقيقة من يوم ١٤ مايو ١٩٥٩.

الجزء الثانى من المحاكمة

استغرقت جلسة الاستماع وقتا طويلا، الأمر الذى جعل جويل سبراى ريجن يضيق ذرعا بها، فعبر هذا الرجل عن إحباطه ونفاد صبره لمحرر صحيفة النيويورك بوست الذى جاء لتغطية وقائع الجلسة. وقد صرح له جويل سبراى ريجن بقوله:

"يجدر بمكتب البريد أن يتذكر أن وظيفته تنحصر فى إرسال البريد، وأن الأمريكان أحرار فى تقرير ما يشاءون قراءته". وفى اليوم التالى الموافق ٢٤ يونية ١٩٥٩ نشرت صحيفة نيويورك هذا التصريح فكانت أول صحيفة واسعة الانتشار تغطى أحداث جلسة محاكمة أدب كل من بوروز وكيروواك.

وفى يوم ٢٧ يونية قام الشاعر والناقد جون كياردى بنشر ملخص، يضم الإجراءات التى اتخذها مكتب البريد ضد مجلة "المائدة الكبيرة". ولم تختلف تعليقاته المتعجرفة عن تعليقات المدافعين عن حرية التعبير، مستندا فى ذلك إلى قضية محاكمة رواية يوليسيس لجيمس جويس، كما أنه استند إلى قضية تعرف بقضية هاول التى نظرتها محكمة سان فرانسيسكو فى إبراز القيمة الاجتماعية لأى عمل أدبى أو فنى عند وضع تعريف قانونى للبذاءة. وبدا استشهاد كياردى بقضية هاول غريبا؛ حيث إن الحكم الذى أصدرته المحكمة الأمريكية العليا المعروف بقضية روث كان المصدر المعتاد لتعريف البذاءة آنذاك. ولكن

يبدو أن عددا من المدافعين المتحمسين عن مجلة "المائدة الكبيرة" وعن جيل البيتس المتمرد أمثال آلن جنسبرج وارفنج روزنتال هم الذين اقترحوا عليه الاستشهاد بقضية هاول غير الذائعة. والجدير بالذكر أن دفاع كياردى عن مجلة "المائدة الكبيرة" لم يكن قائما بأى حال من الأحوال على إعجابه برواية بوروز من الناحية الجمالية. فضلا عن أنه كان يميز بين رفض العمل الأدبى من منطلق فنى، وبين تجريم هذا العمل من الناحية القانونية، فى حين أن القاضى ديفال المنوط به النظر فى هذه القضية عجز عن التمييز بينهما.

وقد وجد الناقد كياردى نفسه أيضا يدافع عن الحكاية التى نشرها كيرواك بعنوان "ملاك منتصف الليل العجوز". وأقر كياردى بأن كيرواك يمتلك قدرا عظيما من الموهبة. ولكنه أضاف إن انفلات كيرواك يعيث فى هذه الموهبة ويخنقها. وبالنسبة للمحاولات التى بذلتها مصلحة البريد لفرض الحظر على الرواية باعتبارها عملا بذيئا علق كياردى بقوله: "من المستحيل علينا أن نرى كيف يمكن للشخص العادى قراءتها، ناهيك عن أن يرى كيف أنها تتسبب فى إفساده. وعبر كياردى عن سخريته من مصلحة البريد عندما قال: "أقترح على المشرفين والأوصياء على مصلحة البريد التفكير فى مبدأ قانونى مفاده أن أسلوب الكتابة المحلى يقف حائلا دون الإثارة، وإننا إذا طبقنا معيار الملل فسوف نجد أن كتابات كيرواك أبعد ما تكون عن الإثارة، وأكثر الكتابات النثرية التى أصدرتها الفيدراليات مدعاة للملل.

ولم تكن جميع المواد المنشورة فى "المائدة الكبيرة" مخيبة لآمال الناقد الأدبى لصحيفة "الساترداى ريفيو"، فقد أبدى تأثره بقيمة "عشر حكايات من رواية الغداء العارى". واستعرض هذا الناقد تكرار ورود الكلمات الجنسية البذيئة فى هذه الحكايات، وخلص إلى نتيجة مفادها أن "مثل هذه البذاءات –إذا كانت تعتبر بذاءات– لا يمكن فصلها عن النسيج والأثر الشامل الذى يتركه مضمونها الأخلاقى". ثم استطرد ناقد الساترداى ريفيو قائلا: إنه خلافا لمزاعم مكتب البريد فإن كتابة بوروز "تتمتع بالقوة الهائلة، والصدق الفنى العظيم، والبحث العميق عن القيم الحقة". وفى رأيه أن أي محكمة عادلة أو معقولة لا يمكن أن تعتبر كتاباته بذيئة إذا كانت تتمتع بأى قدر من الذكاء. موحيا بذلك أن الإجراءات الإدارية التى اتخذها مكتب البريد ضد مجلة "المائدة الكبيرة" وغيرها من المطبوعات تجافى الحجى ولا تتفق مع العقل.

ورغم عناد مصلحة البريد الأمريكية وتشبثها بموقفها المناهض لمجلة "المائدة الكبيرة" فقد كان كياردى واثقا من أن القضاء سوف يفرج عن هذه المجلة لو أنه تم النظر فيها أمام محكمة عليا. وأبدى كياردى انزعاجه بسبب الإجراءات التى أعطت مكتب البريد الحق فى التصرف كخصم وحكم فى آن واحد. وتساءل قائلا: إنه بفرض أن محررى مجلة "المائدة الكبيرة" نجحوا فى الحصول على قرار بالإفراج عنها فليس هناك ضمان من أن الحظر المفروض على هذه المجلة لن يتكرر فى المستقبل. كما تساءل: إذا كانت مصلحة البريد تعقد النية المؤكدة على فرض لغة المراهقات والعذارى على جميع الكتابات فإن ذلك يجعلها سببا للكوارث الأدبية.

وأصبح موقف مصلحة البريد الحاظر لمجلة "المائدة الكبيرة" نذير شؤم على حرية التعبير بعد أن نجحت رواية "يوليسيس" لجيمس جويس فى الحصول على حكم قضائى ببراءتها من تهمة البذاءة. ولهذا كان من الطبيعى أن يعترض الناقد كياردى على الرقابة بقوله: "كل رقابة كارثة تبدأ بالجهل وتنتهى بالديماجوجية"، الأمر الذى شجع مجلتى "صوت القرية" و"واجنر" على التعبير عن تحمسهما الشديد ومؤازرتهما لمجلة "المائدة الكبيرة"، فضلا عما وجدته مجلة "المائدة الكبيرة" من دعم وتأييد من مجلة محافظة ومرموقة هى "الساترداى ريفيو". وحقيقة الأمر أن معظم النقاد حذوا حذو هوك نوريس فى الاعتراض على الرقابة.

وأثار المقال الذى سطره كياردى دفاعا عن كتابات بوروز حنق المسئولين فى جامعة شيكاغو فقام ريتشارد ج.ستيرن رئيس لجنة الكلية الاستشارية بمهاجمة هذا المقال والطعن فيه، ونشر ردا فى صحيفة الساترداى ريفيو اتهم فيه محررها إرفنج روزنتال باستخدام أعداد المجلة الثلاثة لنشر كتابات مجموعة معينة للكتاب. وبسبب الرد الذى نشره ستيرن فى صحيفة الساترداى ريفيو وجدت جامعة شيكاغو نفسها مضطرة للتدخل حين تبينت أن محرر المجلة روزنتال ينوى إصدار عدد رابع من المجلة، تسهم فيه أقلام هذه المجموعة نفسها من الكتاب. ومعنى هذا أن جامعة شيكاغو سعت بحظرها للمجلة إلى منع تكرار الأقلام نفسها التى سبق لها نشر إنتاجها الأدبى فى أعداد المجلة السابقة. ولكن طلبة جامعة شيكاغو بادروا بدحض هذا الزعم فى صيف عام ١٩٥٩ عندما أصدروا تقريرا بينوا فيه أنه اتضح لهم بعد الفحص والتمحيص أن زعم المسئولين بجامعة شيكاغو يجافى الحقيقة.

وظل ستيرن يدافع عن تصرف الجامعة وحظرها لمادة المجلة، ونفى أن يكون سبب الحظر استبشاع المسئولين فى الجامعة لكثرة ورود الألفاظ الجنسية البذيئة فى المادة المنشورة. وأنكر ستيرن أن الجامعة فرضت الحظر على المجلة، مشيرا إلى أن أحدا من أعضاء التدريس بجامعة شيكاغو لم يطالعها. فضلا عن أنه ألمح بأن محرر المجلة روزنتال ناصر كتاب جيل البيتس، وبأنه سرق أموال المجلة وضيعها. ورد الناقد الأدبى كياردى طالبا من ستيرن إقامة الدليل على صحة أقواله، الأمر الذى لم يفعله ستيرن.

والجدير بالذكر أن جاك مابلى انتقد بشدة يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٥٨ الألفاظ الجنسية والبذيئة التى وردت فى المجلة، مما دفع جامعة شيكاغو إلى اتخاذ قرار بحظر عدد المجلة المزمع إصداره فى شتاء عام ١٩٥٩. ويبدو أن فيرفاكس م.كون الموظف المسئول عن جامعة شيكاغو كان على علم بالمقال الذى نشره مابلى؛ حيث إنه وجد أن عددا من صفحات المجلة صادمة للمشاعر المهذبة، وأشبه ما تكون بالكتابات البذيئة التى تطالعها أحيانا على الجدران.

ومن المؤكد أن قرار حظر المجلة جاء نتيجة احتوائها على العديد من الألفاظ الجنسية البذيئة رغم ادعاء البعض بغير هذا. علما بأن أوغسط ديرليت كان الناقد والخبير الأدبى الوحيد الذى آزر الإجراءات التى اتخذتها مصلحة البريد ضد مجلة "المائدة الكبيرة"، وأيد حظرها.

وأمام المشاكل المتفاقمة التى واجهت هذه المجلة قدم محررها روزنتال استقالته، وتولى هـــو.باك رئاسة تحريرها. ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن مفهوم وليم أ.ديفال رئيس لجنة الاستماع للبذاءة كان محافظا للغاية.

قرارات مكتب البريد

فى ٩ يوليو ١٩٥٩ أصدر وليم أ.ديفال بالاشتراك مع مصلحة البريد قرارهما بعد مرور أسبوعين على جلسة الاستماع، ويرجع التأخر فى إصدار القرار إلى التأخر فى تسلم المستنسخات، وتأخر محامى المجلة سبراى ريجن فى تقديم أدلته. وقد تأخر ظهور المقال الذى نشره كياردى بعنوان "حارقو الكتب وحلاوة الحياة فى السادسة عشرة". وحكم وليام أ.ديفال على مدى صلاحية العروض الثلاثة التى قدمها سبراى ريجن كأدلة فى القضية المنظورة. علما بأن سبراى ريجن قام بتسليم القاضى نسخة من شهادة مالكولم كاولى للتدليل على استخدام الألفاظ الأنجلوساكسونية فى الأدب الحديث فى محاولة لوضع معايير مجتمعية معاصرة لقبول هذه اللغة. غير أن ديفال رفض هذه المحاولة، واعتبرها غير مناسبة فى جلسة استماع من هذا القبيل.

وتقدم محامى المجلة المحظورة بتسع مجموعات من المقالات وأجزاء من الكتب كدليل على علو مكانة كيرواك كفنان ومناقشة فلسفة وأدب جيل البيتس. واتجه الدفاع عن المجلة المصادرة إلى تأكيد جدية هؤلاء المؤلفين وبعدهم عن الأدب الفاحش أو المكشوف. ورغم رفض ديفال اعتبار الأشياء المقدمة من الدفاع كدليل فقد سمح هذا القاضى بضم المقالات المرفوضة إلى أوراق القضية.

ولكن رفض القاضى لهذه الدفوع المقدمة من الدفاع للتنويه بالأهمية الأدبية للكتاب السابق ذكرهم لم يلحق بهم أى ضرر. وعلى الجانب الآخر كان للدفع الثالث المقدم إلى القاضى أهميته حيث إن هذا الدفع تكوُن من أربعة وعشرين خطابا، سطرها نقاد مرموقون مثل جاك بارزون وكينيث بيرك وهيو كينر وليونيل تريلنج وتوماس باركنسون. فضلا عن أن نورمان مالر وآلن جنسبرج ولى روا جونز وجيمس لافلين وروبرت كريلى وجون كياردى كانوا أيضا ضمن الذين انبروا للدفاع عن المجلة. وكما وعد القاضى ديفال أثناء جلسة الاستماع قام بالاطلاع على الخطابات مستبعدا منها الأجزاء والفقرات التى لا تتعلق بالقضية، ومستبقيا فى حكمه الأجزاء التى رأى أن لها علاقة بها والتى تقع فى أربع عشرة صفحة. وانتهى ديفال إلى القول:

"لقد طالعت جميع هذه التعليقات. ويؤكد اطلاعى عليها سلامة الشهادة التى أدلى بها المستر نوريس، وهى أنه رغم الخلافات الموجودة فى التقييم النقدى لهذه المطبوعة فإن معظم الآراء النقدية تناهضها وتعارضها. واعترف القاضى ديفال بأنه استبعد بعض الخطابات لأن أصحابها ينتمون إلى الحركة الأدبية التى تعرف باسم "جيل البيتس" مثل جنسبرج وفيرلنجتين وجونز وميلر. ورغم أنه يتضح من العمل الأدبى الذى سطره ميلر بعنوان "الزنجى الأبيض" أن مؤلفه كان يرغب فى ارتباط اسمه بمعتقدات جيل البيتس فإنه لم يكن بالفعل أحد المنتمين إليه. وقد كان من المفهوم أن يرتكب القاضى ديفال، هذا الخطأ. ولكنه خطأ اعتبره سبراى ريجن نموذجا لعدم كفاءة الجهات الحكومية فى مجال النقد الأدبى. الأمر الذى جعل القاضى ديفال عاجزا عن فهم الرأى النقدى الذى عبر عنه بوروز، ومفاده أنه قد يثبت أن بوروز واحد من أهم الكتاب الأمريكان الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية. وهو رأى استخف به ديفال، ولم يعطه حق قدره.

وإلى جانب شهادة هانز ماتيك على أهمية الفصل من رواية "الغداء العارى" الذى نشره بوروز فى المجلة المصادرة فى التصدى لظاهرة تعاطى الهيروين، نرى الناقد كينر ينوه بأسلوب كاتبنا. علما بأن الناقد كينيث بيرك أشاد بأهمية التكنيك الأدبى الذى استخدمه بوروز فى روايته. غير أن القاضى ديفال لم يلق بالا لشهادة كينيث بيرك، ولم يأخذها مأخذ الجد.

ومن الواضح أن القاضى ديفال كان يميل إلى رأى توماس باركنسون القائل إن جانبا من كتاب بوروز يمتلئ بالحشو والتكرار، ويدعو إلى السآمة والملل.

وفى دفاعه عن رواية "الغداء العارى" ذهب بارزون إلى أن بذاءة مجلة "المائدة الكبيرة" شىء لا يقارن على الإطلاق ببذاءة بعض الأعمال الكلاسيكية المشهورة مثل "الديكاميرون" لبوكاشيو، أو حكايات لافونتين. غير أن القاضى ديفال أصر على استبعاد شهادتى كل من الناقدين تريلنج وبارزون، الأمر الذى يدل على مدى تعسفه فى تحديد معنى البذاءة.

وبعد أن انتهى القاضى ديفال من الاستماع إلى شهادة الشهود عالج القضية محل نظره بوجه عام، مستخدما فى ذلك تعريف قضية روث المشهورة لمعنى البذاءة، وبمقتضاه تعتبر أي مادة بذيئة إذا كانت بوجه عام تثير شهوات الجنس.

أصدر ديفال حكمه ببذاءة رواية "الغداء العارى" استنادا إلى وصف المؤلف للتفاصيل الدقيقة لكل الأعضاء التى يتكون منها جسم الإنسان، والوظيفة التى يؤديها كل عضو منها. فضلا عن أن هذا المؤلف تناول مختلف أنواع الشذوذ الجنسى. وخلص ديفال إلى أن بذاءة اللغة التى يستخدمها بوروز وقذارتها أشد ما تكون وضوحا وجلاء، وأن هذه البذاءة تمحو ما قد تتمتع به الرواية من مزايا أدبية، كما تمحو موهبة المؤلف فى الوصف وقدرته الواضحة على الهجاء. ولكن ديفال أقر بأن الجزء المنشور من الرواية فى مجلة "المائدة الكبيرة" قد لا يثير رغبات الشخص العادى الجنسية؛ ولكنه يتجاوز إلى حد كبير حدود الحشمة المعتادة فى وصف الممارسات الجنسية وتمثيلها، وكذلك فى وصف العرى أو عمليات التبرز، الأمر الذى يكفى لوصفها بالبذاءة. واختتم ديفال حكمه بأن مجلة "المائدة الكبيرة" مؤثمة قانونا بسبب ما تحتويه من مواد غير مصرح بنشرها بمقتضى النصوص القانونية الواردة فى القسم ١٤٦١ مادة ١٨ من قانون الولايات المتحدة الأمريكية.

لم يقبل محامى المجلة سبراى ريجن هذا الحكم، وأبلغ كلا من رولاند واتس وفيلفي وولف عضوى نقابة الحريات المدنية الأمريكية فى نيويورك بعزمه على اتخاذ الإجراءات اللازمة للاعتراض على الحكم الصادر لصالح مصلحة البريد، وإقناع نقابة الحريات المدنية بالسماح له برفع قضية أمام المحكمة الفيدرالية للسماح بتداول المجلة المحظورة.

وقدم سبراى ريجن مذكرة رسمية إلى المسئولين عن مصلحة البريد بتاريخ ١٧ يولية ١٩٥٩ ذكر فيها أن القاضى ديفال عند إصداره الحكم على المجلة تجاهل خطأ مصلحة البريد فى تأخرها لمدة شهر ونصف الشهر فى تبليغ المسئولين عن المجلة بقرار المصادرة. فضلا عن أن محامى المجلة اتهم القاضى بسوء عرض شهادة هانز ماتيك حين قال إن رواية بوروز تروق لمدمنى المخدرات فقط، فى حين أن ماتيك قال إن المادة التى نشرها

بوروز فى المجلة توسع إدراك أى قارئ ذكى، وتعمق فهمه لمشكلة إدمان المخدرات بوجه عام. واستند محامى المجلة إلى قضية "شركة كتاب الشمس الساطعة ضد سمرفيلد" عام ١٩٥٨ التى ذهبت إلى أهمية أخذ نية المؤلف فى الاعتبار عند الحكم على بذاءة إنتاجه الأدبى.

وأيضا اتهم المحامى سبراى ريجن القاضى بالتحيز؛ بسبب استبعاده المقالات التى تتناول حركة البيتس الأدبية. فضلا عن أنه شكك فى قدرة القاضى على التقييم الأدبى. غير أن هذا المحامى استفاد من اعتراف ديفال بأن مجلة "المائدة الكبيرة" ليس فيها ما يثير الشهوة الجنسية، كما استفاد من شهادة الشهود بعدم قدرة هذه المجلة على إثارة النوازع الجنسية. وهاجم محامى المجلة التناقض الذى وقع فيه ديفال، فهو رغم قوله إن مجلة "المائدة الكبيرة" لا تثير الشهوات الجنسية فإنه عبر عن رأى مخالف مفاده أن لغة المجلة قد تشجع قارئها على استخدام ما تحتويه من ألفاظ بذيئة ونابية. ولم يفت سبراى ريجن أن ينحى باللائمة على القاضى؛ لأنه تجاهل شهادة ستة وعشرين شخصا، لهم خبرة ودراية بالكتابة الأدبية عبروا عن خلو المجلة مما يشين. واستنادا إلى هذا طالب محامى مجلة "المائدة الكبيرة" بإلغاء قرار مصادرة المجلة، والسماح بإرسالها إلى قرائها عن طريق مصلحة البريد. كما تعمد فى مذكرته استخدام لغة معتدلة وبعيدة عن الشطط والانفعال. غير أنه هاجم مصلحة البريد بشدة عندما اتهمها بالرغبة الجامحة فى تطهير رفوف الكتب فى شتى أنحاء أمريكا، وأنه سبق لها أن فرضت الحظر على أفضل ما أنتجته الأقلام مثل كتابات بنيامين فرانكلين وفرويد وأوفيد وأرسطوفانيس وجيمس جويس ود.هـ.لورانس. وحيث إن مصلحة البريد تصر على إلصاق تهمة البذاءة بمجلة "المائدة الكبيرة" على الرغم من تبرئة ستة وعشرين ناقدا ومربيا وكاتبا وعالما نفسيا لها فإن المرء قد يشك فى وجود قذارة فى عقول رقباء الحكومة أكبر مما يوجد بالفعل على الصفحات المطبوعة. والجدير بالذكر أن سمرفيلد الرئيس العام لمصلحة البريد قال إنه لا يكترث بما يقوله النقاد؛ الأمر الذى يوضح عجز مصلحة البريد عن تعريفنا بماهية الأدب الجاد المسموح لنا بقراءته.

تسلمت مصلحة البريد التماسا من محاميها الجديد المنوط به الدفاع عن وجهة النظر الحكومية بتمديد فترة النظر فى الاستئناف. ووافق تشارلس د.أبلارد الضابط القضائى فى مصلحة البريد على التمديد. والجدير بالذكر أن هذا الرجل سبق له فى الشهر الماضى أن

ترأس القضية التى رفعتها مصلحة البريد ضد رواية "عشيق الليدى تشاترلى" التى ألفها د.هـ.لورانس.

والجدير بالذكر أيضا أن المحامى تشارلس ريمبار الذى دافع فى آخر جلسة استماع عن هذه الرواية أمام القضاء الأمريكى شهد بنزاهة تشارلس أبلارد.

ثم قامت مصلحة البريد بتعيين محاميها الجديد سول ج.ميندل بدلا من ج.كارول شويلر، كى يتولى الدفاع عن وجهة نظرها أمام محكمة الاستئناف. وفى يوم ٣ أغسطس تقدم هذا المحامى الجديد (ميندل) بمذكرته إلى محكمة الاستئناف. وأكد ميندل فى مذكرته أن لغة مجلة "المائدة الكبيرة" نكراء وبذيئة، ولا تندرج تحت باب حرية التعبير التى تحظى بحماية التعديل الأول للدستور.

قال ميندل إنه إذا نظرنا إلى مجلة "المائدة الكبيرة" ككل فإننا لن نجد فيها أي جوانب فنية، تقلل ما اتسمت به من بذاءة وقذارة. واستند فيما ذهب إليه إلى الشهادة التى أدلى بها هوك نوريس. فضلا عن أنه أنحى باللائمة على سبراى ريجن لقوله إن مادة هذه المجلة تتمتع بقيمة أدبية. وأخيرا طالب ميندل بتبنى القرار الذى أصدره القاضى ديفال بشأن المجلة والذى يلزم رئيس مصلحة البريد فى شيكاغو بالتخلص من المجلة المحظورة.

وفى يوم ٣ أغسطس أرسل سبراى ريجن بيانا رسميا إلى مصلحة البريد يشكو فيه من استجابتها إلى طلب محاميها الجديد بتأجيل موعد النظر فى الاستئناف. كما أعرب سبراى ريجن عن ضيقه بعدم تبليغه بهذا التغيير فى الموعد. وأبلغ سبراى ريجن الضابط القضائى بأن هذا التأخير سوف يلحق بالمجلة أضرارا مالية كبيرة نظرا لأنها تعتمد فى توزيعها على مصلحة البريد مشيرا إلى أن المصلحة عطلت توزيع المجلة قرابة ستة شهور.

وفى يوم ١٢ أغسطس ١٩٥٩ أعاد د. أبلارد الضابط القضائى النظر فى قضية حظر المجلة. والجدير بالذكر أنه خلص إلى الرأى نفسه الذى سبق للقاضى ديفال أن ذهب إليه، وهو الحكم بالبذاءة على مادة المجلة، ولكن لأسباب تختلف تماما عن الأسباب التى استند إليها ديفال. يقول أبلارد: إن مادة المجلة بذيئة ليس فقط بسبب تعريف كلمة البذاءة. فالمقالات التى تتضمنها المجلة تصور أمور الجنس بطريقة أشد ما تكون سوءا ومرضا وانحرافا، كما أن اللغة المستخدمة تتجاوز فى فحشها أي كلمة بذيئة موجودة فى القاموس الأنجلوساكسونى، مثل تلك التى نجدها فى الروايات المعاصرة السائدة. بل إن هذه اللغة

تتناول عمليات التبرز والأعضاء التناسلية والعلاقات الجنسية والممارسات الشاذة فى أحط صورها. وإنى أعتقد أن هذه المطبوعة تثير الشهوات. وعلى أي حال كان أبلارد مقتنعا فى قرارة قلبه ببذاءة مادة مجلة "المائدة الكبيرة" وقدرتها على إثارة شهوة الجنس.

أما فيما يتعلق بقيمة هذه المجلة الأدبية فقد كان أبلارد – على عكس القاضى ديفال – يدرك أن الشرطة ووكلاء النيابة والقضاة والمحلفين غير مؤهلين لتقييم الأعمال الأدبية والفنية تقييما صحيحا. فضلا عن أن أبلارد كان يدرك التفاوت والخلافات الشديدة الموجودة بين النقاد والمشتغلين بالفنون والآداب والممارسين لها لدرجة تجعل من الصعب الاتفاق على القانون الذى يؤثم البذاءة – وكذلك التكيف أو ملاحقة التغيرات التى تطرأ على الذوق الأدبى؛ حيث إن هذا الذوق يخضع للموضة، ويتبدل من حين إلى آخر. ولهذا نراه يعتبر الأحكام الأدبية مجرد آراء تتبدل وتتغير وليست حقائق ثابتة. وبناء عليه قرر أبلارد أن مجلة "المائدة الكبيرة" تفوق المجلات الأخرى فى قدرتها على إثارة النوازع الجنسية. وأكد أبلارد أن مادة هذه المجلة تتسم بالقبح وشيوع الألفاظ البذيئة والألفاظ التى تصف عمليات التبرز. وهى ألفاظ أشد ما تكون وضوحا فى إسهام كل من بوروز وكيرواك الذى يعتبر أبرز أدباء جيل البيتس. ولكن أبلارد اعترف بحق الفنان والأديب فى التمتع بقدر من حرية التعبير يفوق ما يتمتع به الناس العاديون، وأنه يتعين على المجتمع أن يسمح لهما بقسط أوفر من الحرية. ورغم أن أبلارد أبرز حق الأديب والفنان فى التمتع بحرية التعبير فإنه فى الوقت نفسه سلم بحق المجتمع فى حماية نفسه. وكان من الواضح أنه وقف فى صف حماية المجتمع من تهتك وبذاءة مجلة "المائدة الكبيرة". ولهذا أيد أبلارد قرار مكتب بريد شيكاغو فى الاستمرار فى التحفظ على أعداد مجلة "المائدة الكبيرة" لحين صدور تعليمات جديدة. ولم يعد هناك مفر أمام المجلة المصادرة من اللجوء إلى محكمة المقاطعة الفيدرالية لرفع شكوى ضد مصلحة البريد.

الاستئناف والحكم أمام المحكمة الفيدرالية

اتخذ سمرفيلد الرئيس العام لمصلحة البريد الأمريكية خطوات حثيثة لشن حرب صليبية ضد البذاءة، والتنبيه على جميع العاملين فى هذه المصلحة بضرورة اليقظة وحث المواطنين على التقدم بالشكوى ضدها وضد أى مكتب بريد محلى يتسلمون منه أي مراسلات بذيئة وإعادتها إليه. وكذلك بذل سمرفيلد جهودا حثيثة تهدف إلى دفع الكونجرس إلى إصدار تشريعات مشددة لمناهضة البذاءة. وفى يوم ١٢ أغسطس ١٩٥٩ ألقى سمرفيلد كلمة بعنوان "مسئولياتنا ومستقبل أمريكا" أمام المؤتمر السنوى الذى عقدته جمعية موزعى البريد فى الأرياف وصف فيها القاذورات التى ترسل عن طريق مكاتب البريد بأنها أسوأ وصمة عار فى عصرنا. فضلا عن أنه ألقى خطبا مماثلة أمام الكثير من المنظمات النسائية.

ولم يكن سمرفيلد المناهض الوحيد لإرسال المواد القذرة عن طريق مكاتب البريد. فقد نشر ريتشارد ماك جوان سلسلة من المقالات تتكون من أربع حلقات فى صحيفة النيويورك ديلى نيوز تناول فيه صناعة الأدب المكشوف، مؤكدا الدور الضار الذى يلعبه هذا الأدب فى انحراف الشباب، فضلا عن كاتب آخر اسمه الفريد س.رولر نشر سلسلة أخرى من المقالات المشابهة فى صحيفة شيكاغو صن تايمز، عالج فيها الجهود التى بذلها كارل شرودر رئيس مكتب بريد شيكاغو وسمرفيلد الرئيس العام لمصلحة البريد الأمريكية. وأيضا ذهب رولر فى سلسلة مقالاته إلى أن الأدب المكشوف مسئول عن انحراف الشباب.

وفى صيف عام ١٩٥٩ عقدت كاترين جراناهان عضوة الكونجرس الأمريكى ورئيس لجنة مصلحة البريد فى البرلمان الأمريكى جلسة استماع حول مشكلة إرسال المواد البذيئة

عن طريق مكتب البريد. ومثل أمام هذه اللجنة شهود من الكنيسة والمنظمات النسائية ليؤكدوا أن إرسال المواد البذيئة بالبريد من شأنه إفساد الشباب والتشجيع على الاغتصاب والتعذيب بل على القتل نفسه.

وتشتمل المواد البذيئة على المجلات الهزلية ومجلات الرعب والمطبوعات الأخرى التى تحتوى على صور ومادة شريرة وضارة بالمجتمع.

ولم يتناول التقرير الذى أصدرته هذه اللجنة الأثر الضار الذى تتركه المواد البذيئة فى نفوس قرائها فحسب، بل إنها وصفت الإجراءات التى تتبعها مصلحة البريد للتصدى لها، وما تقابله هذه المصلحة من صعوبات ومشكلات فى سبيل ذلك. وفى عام ١٩٥٨ أجرى تغيير فى القوانين المناهضة للبذاءة الصادرة عام ١٨٦٥ فأصبح ينص على مقاضاة الراسل والمرسل إليه معا. وينص هذا التغيير على احتجاز المذنب مؤقتا لمدة عشرين يوما، غير أن مصلحة البريد عبرت عن حاجتها إلى فترة ٤٥ يوما على أقل تقدير لاستكمال إجراءاتها الإدارية اللازمة لإصدار قرارها الخاص بحظر المادة المشتبه فيها، علما بأن التقرير الذى أصدرته اللجنة المشار إليها يتضمن النص الكامل لما سطره تشارلس د.أبلارد حول قرار مصلحة البريد فى قضية مجلة "المائدة الكبيرة". وعلما أيضا بأن الفقرة رقم ١٨ من القسم رقم ١٤٦١ من قانون البذاءة الجنائى أعطى الرئيس العام لمصلحة البريد الحق فى منع إرسال أي مادة بذيئة عن طريق البريد. والجدير بالذكر أن التقرير الذى أصدرته اللجنة يشير إلى أن مصلحة البريد حققت فى ذلك العام فى أربعة آلاف قضية بذاءة انتهت هذه التحقيقات بالقبض على ٣١٥ شخصا.

وفى يوم ٢٦ أغسطس ١٩٥٩ رفع جويل ج.سبراى ريجن وبرنارد وايزبرج قضية ضد رئيس مصلحة بريد شيكاغو كارول أ.شرودر بسبب قراره الحاظر لتداول مجلة "المائدة الكبيرة" مطالبا بالحكم ببطلان هذا القرار. وأكد المتقاضيان أن هذه المجلة تتمتع بحماية التعديل الأول للدستور، وأن قرار حظرها باطل لأنه تم دون عقد لجنة استماع قضائية. فضلا عن أن المتقاضيين حملا مصلحة البريد مسئولية إلحاق الضرر الجسيم بالمجلة المحظورة.

وقد طالب الطرفان المتنازعان وهما مصلحة البريد ومجلة "المائدة الكبيرة" المحكمة بإصدار حكم عاجل لحسم هذا النزاع.

ومن ناحيته تقدم جويل ج. سبراى ريجن بمذكرة إلى محكمة المقاطعة فى إلينوى فى ١ فبراير ١٩٦٠، وفيها ذكر التالى:

(١) أن مجلة "المائدة الكبيرة" لا تخلو من البذاءة، ولكنها تعبر عن مضمون اجتماعى مهم، يحظى بحماية التعديل الأول للدستور.

(٢) أن القسم ١٤٦١ من قانون الولايات المتحدة لا يعطى مصلحة البريد الحق فى التصرف على نحو ما تصرفت فى هذه الحالة.

(٣) أن النظام الرقابى الذى اتبعته مصلحة البريد ينتهك التعديلين الأول والخامس للدستور اللذين يحميان حرية التعبير. وتناول سبراى ريجن فى مذكرته أهمية المجلة الاجتماعية، موضحا أن هناك فرقا بين الأدب المكشوف الفج والأعمال التى تعالج الأمور الجنسية بواقعية مستشهدا فى ذلك برواية جيمس جويس المعروفة "يوليسيس"، وهى أعمال فنية تحظى بالحماية المنصوص عليها فى التعديل الأول للدستور. وقد اتفق كل من ديفال وأبلارد على عدم اعتبار مجلة "المائدة الكبيرة" أدبا مكشوفا بحتا. وعقد سبراى ريجن مقارنات بين مجلة "المائدة الكبيرة" وروايتى "يوليسيس" و"عشيق الليدى تشاترلى"، مشيرا إلى احتوائهما على عدد من الكلمات البذيئة. ولكنه أنكر أن هاتين الروايتين تصفان الممارسات الجنسية وعمليات التبرز بطريقة مثيرة. وأضاف سبراى ريجن أنه رغم وجود ألفاظ بذيئة فى رواية بوروز فإنها لا تتجاوز ما يسمح به المجتمع المعاصر. وحتى يثبت وجهة نظره أشار سبراى ريجن فى مذكرته إلى تكريم المجتمع الأمريكى لثلاثين عملا أدبيا، تعالج الجنس بصراحة سواء أكان هذا الجنس طبيعيا أم شاذا، وأكد أن رواية "قدس الأقداس" لفوكنر و"العرايا والموتى" لنورمان ميلر خير شاهد على مثل هذه المطبوعات البذيئة التى تحظى بقبول المجتمع وتكريمه. وكذلك أشار سبراى ريجن فى مذكرته إلى تعسف المسئولين فى إصدار القرارات والأحكام، فقد سبق عرض مجلة "المائدة الكبيرة" للتوزيع والبيع فى مهرجان فنى سبقت إقامته فى الصيف الماضى. ولم يعترض جمهور الحاضرين على ذلك رغم وجود العديد من رجال الشرطة فى ملابس مدنية بينهم.

وبعد أن أكد سبراى ريجن أن مجلة "المائدة الكبيرة" لا تتضمن أى تجاوز لحدود حرية التعبير انتقل إلى مناقشة نوايا كتابها، مستندا إلى ما ذهب إليه الناقد جون كياردى من جدية كل من بوروز وكيروواك، ومستندا أيضا إلى الحكم ببراءة رواية "عشيق الليدى تشاترلى" من البذاءة، ومشيدا بقيمتها الأدبية الراجعة إلى أمانة مؤلفها وإخلاص نواياه كما نستدل على ذلك مما فى رواية لورانس من وحدة وتطوير أحداثها. وعاب المحامى سبراى ريجن على كل من ديفال وأبلارد أنهما فى قراراتهما تجاهلا الإشارة إلى أمانة الكتاب الذين نشروا أعمالهم فى مجلة "المائدة الكبيرة"، وكذلك تجاهلهما الإشارة إلى صدق نواياهم. وأضاف سبراى ريجن أن المسئولين عن توزيع هذه المجلة لجأوا إلى القنوات الشرعية المحترمة، فضلا عن ارتفاع سعرها مقارنة بسعر الأدب المكشوف الذى يهدف إلى الإثارة. ولم يفت

سبراى ريجن أن يدافع عن المجلة من منطلق عدم سعيها إلى كسب الأرباح الطائلة مثلما يفعل الأدب البذئ. كما لم يفته أن يرفق بمذكرة دفاعه قصاصات عدد من المقالات المقرظة للمجلة.

وفى دفاعه عن مجلة "المائدة الكبيرة" استند سبراى ريجن إلى خطاب من صفحتين أرسله هارولد روزنبرج مدير مؤسسة لونجفيد إلى بول كارول أقر فيه بأن المؤسسات التى يديرها منحت بعض كتاب هذه المجلة جوائز لمساهماتهم فيها، ومن بينها تلك الجائزة التى أعطيت لوليم س.بوروز نظير ما نشره فى مجلة "المائدة الكبيرة" بعنوان "عشر حكايات من رواية الغداء العارى"، الأمر الذى يؤكد قيمتها من الناحية الأدبية. ومما يزيد من احترام هذه الجائزة أن الأديبين الكبيرين شاؤول بيلو وألفريد كازين قاما بالتحكيم فى هذه الجائزة. وينحى سبراى ريجن باللائمة على القاضى ديفال، لأنه اعتبر المديح الهائل الذى حظيت به رواية د.هـ.لورانس "عشيق الليدى تشاترلى" كعمل أدبى دليلا على قيمتها الفنية فى حين أنه هون من شأن رواية "الغداء العارى" بسبب قلة عدد مقرظيها، لأن انتهاج مثل هذا الموقف الخاطئ يؤدى بالضرورة إلى إضعاف سعى الأدباء إلى التجريب والتجديد. فالعبرة لا تكمن فى عدد المتحمسين والمعجبين بالعمل الأدبى المجدد بل تكمن فى نوعية التجديد والتجريب. ويذكرنا هذا بما قاله البروفيسور لوكهارت وماك كلود اللذان أدانا الهجوم المتعسف على التجديد فى مجال الفنون والآداب، حيث إن هذا الهجوم من شأنه الإضرار بالتجريب والتجديد الأدبى.

واختتم سبراى ريجن دفاعه عن مجلة "المائدة الكبيرة" بقوله إنها لا تحتوى على إنجازات أدبية عظيمة، ولكن محتوياتها تنتمى بكل وضوح إلى مجال الأدب المعترف بقيمته. ولهذا فإنه من الخطل اعتبار المجلة بذيئة ما دام النقاد لا يعتبرونها كذلك، وما دامت لا تنتهك قواعد التهذيب. فضلا عن تمتع المجلة بقيمة اجتماعية، الأمر الذى يجعلها تحظى بحماية التعديل الأول للدستور لها.

ثم انتقل سبراى ريجن إلى مناقشة الشق القانونى من هذا الموضوع قائلا إن نية الكونجرس فى سنِّ القانون الأمريكى رقم ١٨ القسم ١٤٦١ تمثلت فى إعطاء مصلحة البريد حق مصادرة أي مادة بعد أن تقرر المحكمة الفيدرالية أن هذه المادة تنطوى على انتهاك للقانون. ولهذا كان ينبغى أن تتولى المحكمة الفيدرالية عقد جلسة استماع أولا قبل قيام مصلحة البريد بفرض الحظر على الكتاب وليس بعد ذلك. وذكر المحامى سبراى ريجن أن التعديل فى لائحة مصلحة البريد لعام ١٩٥٦ أعطى المصلحة فى حالات الضرورة مهلة مدتها عشرون يوما تسبق عقد جلسة استماع لحظر المادة المعترض عليها. وأوضح سبراى

ريجن أن الهدف من وراء هذا التعديل فى لائحة مصلحة البريد يرجع إلى إجهاض العمليات السريعة الخاطفة للاتجار بالأدب المكشوف، وتوزيعه عن طريق هذه المصلحة. وبموجب القسم رقم ١٤٦١ ذكر سبراى ريجن أنه لا يحق لمصلحة البريد حظر أي مادة تعتبرها بذيئة، ثم الإعلان عن هذا الحظر عن طريق المحاكم الإدارية التابعة لها، وليس من حق مصلحة البريد أن تفعل ما فعلته إلا بموجب القسم ١٤٦٣ من قانون مصلحة البريد حيث إن هذا القسم يتعلق بنشر الألفاظ والصور البذيئة، والتى لا يوجد أدنى شك فى بذاءتها على أغلفة المجلات، الأمر الذى لا ينطبق على "المائدة الكبيرة" التى يخلو غلافها من البذاءة والخلاعة. ويضيف سبراى ريجن أن الخطأ الذى وقعت فيه مصلحة البريد أنها اعتقدت أنه يحق لها حظر المادة، دون عقد جلسة استماع بمقتضى القسم رقم ١٤٦١. فهذا التفسير الخاطئ لهذا القسم يعطى مصلحة البريد الحق فى تدمير أي مادة، دون إرسال أى إشعار ودون الاستماع إلى وجهة نظر المتضررين. وأوضح سبراى ريجن أن القوانين وضعت حدودا لمصلحة البريد، إذ تقتضى منها فى حالة حظر المادة ألا يتجاوز هذا الحظر عشرين يوما يصبح لزاما عليها بعدها عقد جلسة استماع أمام المحاكم، وليس من حق مصلحة البريد الاستمرار فى حظر المادة التى تعترض عليها لمدة ٥٧ يوما مثلما فعلت. وطالب سبراى ريجن بتطبيق القانون وفقا للهدف من وراء استنانه، وهو معاقبة المذنبين وحظر إرسال المواد البذيئة عن طريق مصلحة البريد، وذلك بتطبيق القانون الجنائى وليس باللجوء إلى الحظر عن طريق جهات المصلحة الإدارية التى لا يخول لها القانون سلطة الحظر، حيث إن هذا من شأنه تدمير الهدف المقصود من وراء التعديل الأول للدستور. ولا يحق لمصلحة البريد أن تتدخل وتتخذ أي إجراءات ضد حرية التراسل إلا بعد أن تكون المحكمة أو المحلفون قد أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أن المادة المرسلة بالبريد بذيئة. أما الالتجاء للسلطات الإدارية التابعة لمصلحة البريد لحظرها فهو انتهاك صارخ للحريات التى يوفرها التعديل الأول للدستور. والحظر دون محاكمة أو عقد لجنة استماع لا ينتهك التعديل الأول للدستور فحسب بل ينكر الضمانات التى يوفرها التعديل الرابع عشر للدستور، حيث إن الناشر للمادة المحظورة يجد نفسه مضطرا إلى الالتجاء للقضاء لإثبات براءة المادة المنشورة من تهمة البذاءة. وناشد سبراى ريجن المحكمة مراعاة الحكمة والرشاد قائلا إنه إذا أصدرت المحكمة العليا قرارا ببطلان قرارها غير الدستورى الحاظر للمجلة بمقتضى القسم ١٤٦١ فسوف ينطوى ذلك على إدانة نظام رقابى أدان نفسه بالفعل عندما أصدر قراراته العبثية وغير المسئولة مثل حظر مصلحة البريد يوما ما بمقتضى القسم ١٤٦١ روايات تشمل: "يوليسيس"، و"لمن تدق الأجراس"، و"إلمر جانترى"، و"كانديد"، و"ليسسترا"، و"من هنا إلى الأبدية".

قال محامى المجلة هذا لأنه يعرف أن القضاة لا يحبون أن يظهروا بمظهر الأغبياء وأعداء الديموقراطية. وأيضا ذكر سبراى ريجن المحكمة بأن مجلة "المائدة الكبيرة" تجربة فنية جادة، وأن قرار مصلحة البريد بحظرها "متعسف ونزوة طائشة تنتهك القانون وتتعارض مع الحقوق الدستورية". وطالب سبراى ريجن المحكمة برفع الحظر المفروض على المجلة ظلما وعدوانا.

وفى ٢٥ مارس ١٩٦٠ طلب محاميا مصلحة البريد روبرت تايكن وشارلس بورسيل إصدار حكم قضائى مستعجل بتأييد الحظر الذى سبق للقاضى ديفال أن فرضه على مجلة "المائدة الكبيرة" وحظى بمساندة أبلارد. وأكد محاميا مصلحة البريد عدم وجود تعارض بين القانون الأمريكى رقم ١٨ قسم ١٤٦٣ الذى يخول لرئيس هذه المصلحة سلطة إصدار اللوائح الخاصة بالتنفيذ الإدارى للحظر وبين القانون الأمريكى رقم ١٨ قسم ١٤٦١ الذى ينص على إصدار قرار حظر من المحكمة الفيدرالية.

وأصر محامو هيئة البريد على أن التعديل الأول للدستور لا يحمى البذاءة التى تتسم بها مجلة "المائدة الكبيرة". وذكر الدفاع عن مصلحة البريد أن التأخير لمدة ٥٧ يوما فى إخطار المجلة بقرار الحظر مسألة ثانوية ليست لها أي أهمية. فضلا عن أنهم تشككوا فى صحة تقدير مدة التأخير، وأنها فى الواقع قد تكون أقل من ٤٣ يوما. وقالوا إن المجلة نفسها مسئولة عن هذا التأخير، لأنها أعطت كمقر لها عنوانين مختلفين. الأمر الذى سبب الارتباك لمكتب البريد فى إرسال الإشعار على العنوان الصحيح.

وتصدى سبراى ريجن لدحض أقوال تايكن مستشهدًا بقضية مشابهة تعرف بقضية سميث ضد كاليفورنيا. وفيها حكمت المحكمة ببطلان وعدم دستورية قيام مصلحة البريد بمصادرة المطبوعات دون أن تعقد المحكمة جلسة استماع. واستهزأ سبراى ريجن بزعم مصلحة البريد أن تأخيرها لمدة ٥٧ يوما فى إخطار مجلة "المائدة الكبيرة" بالمصادرة يرجع إلى وجود عنوانين لهذه المجلة بقوله: إن وجود أكثر من عنوان للمجلة حرى بتسهيل مهمة مصلحة البريد فى تسليم المجلة إخطار الحظر.

وكرر سبراى ريجن مطالبته المحكمة بإلغاء الحظر الذى فرضته مصلحة البريد على المجلة. ويجدر بالذكر أن القرار كان فى يد جوليوس ج.هوفمان قاضى المحكمة الفيدرالية. وفى يوم ٣٠ يونية عام ١٩٦٠ تولى قاضى المحافظة الشمالية بولاية إلينوى النظر فى القضية، واستعرض المذكرات المتعارضة التى قدمها الخصوم. ورأى هذا القاضى أن القضية تثير أمامه خمس مشكلات رئيسة هى:

(أولا) صلاحية المحكمة لنظر القضية، (ثانيا) مدى الحاجة إلى نظر القضية على نحو مستعجل، (ثالثا) مدى صلاحية تطبيق القاعدة المستندة إلى الأدلة الرئيسة، (رابعا) مدى شرعية الأحكام التى أصدرتها مصلحة البريد، (خامسا) وهى أهم نقطة: التأكد من بذاءة المجلة المحظورة.

لم يهتم جوليوس ج.هوفمان بالشق الدستورى فى القضية الذى أثاره سبراى ريجن. ونظرا لعدم تقديم أي حقائق جديدة خاصة بهذه القضية فقد ارتأى هوفمان ضرورة الاستعجال فى البت فيها. وحكم هذا القاضى بتجاهل القرارات التى اتخذتها مصلحة البريد لأنه كان من المفروض عرض القضية أمام محكمة فيدرالية قبل كل شىء. ثم انتقل هوفمان إلى اتهام مصلحة البريد لمجلة "المائدة الكبيرة" بالبذاءة دون تقيده بالأحكام الإدارية التى أصدرتها مصلحة البريد. وطالب المستأنفون بإعادة فحص الأدلة وعقد محاكمة جديدة إذا كان هناك أى شك فى تعرض الدستور الأمريكى للانتهاك. وأعلن هوفمان أنه ليست هناك ضرورة ملحة لعقد محاكمة جديدة. ثم ناقش هوفمان دستورية القانون الذى يخول لمصلحة البريد الحق فى تحديد ما هو بذئ ومنع تداوله وتوزيعه، وقرر أن حكم مصلحة البريد بالبذاءة على مادة المجلة لا يستند إلى أدلة كافية. ولهذا ينبغى صرف النظر عن هذا الحكم.

ورغم أن هوفمان وافق على رأى القاضى ديفال القائل بتجاوز المجلة حدود الحشمة واللياقة فى مناقشة أمور الجنس فإنه ذهب إلى ما سبق لهذا القاضى أن ذهب إليه من أن مادة هذه المجلة لا تثير الشهوة الجنسية. وهو رأى حظى بمؤازرة هوفمان. ويجدر بالذكر أن نفى ديفال لوجود عنصر الإثارة الجنسية فى مادة المجلة أعطى فرصة ذهبية لأى شخص يريد الطعن فى قرار الحظر الذى اتخذته مصلحة البريد. وذهب هوفمان إلى ضرورة قراءة كل محتويات "المائدة الكبيرة" من جديد. وبعد الاطلاع عليها استقر رأيه على أن المجلة لا تثير شهوات الجنس رغم امتلائها بألفاظ الفحش والقذارة؛ حيث إن ورود مثل هذه الألفاظ لا يؤدى بالضرورة إلى وصف المجلة بالفحش، كما أن استخدام الألفاظ البذيئة قمين بانتهاك المحرمات الثقافية والاجتماعية، ولكنه بكل تأكيد لا يتضمن انتهاكا للقانون.

ورأى هوفمان أن الحكم الصحيح على مادة المجلة يقتضى معرفة مكانتها الأدبية ونوايا مؤلفها ومقتضيات التكنيك الأدبى الذى تستخدمه. ورغم ذلك فقد شدد هوفمان على ضرورة تجنب الحكم عليها من الناحيتين الأدبية والأكاديمية؛ حيث إن المعيار القانونى للبذاءة لا يهدف إلى حماية الفحش اللغوى بحجة توفير وصيانة حرية التعبير. وشرح هوفمان رأيه بقوله إن التعديل الأول للدستور يهدف إلى حماية حرية التعبير عن الأفكار، ولا يعنى الإباحية فى استخدام اللغة.

وذهب هوفمان إلى أن العشر حكايات من رواية "الغداء العارى" التى ألفها وليم بوروز تعالج موضوع إدمان المخدرات. ورغم أن بعض أجزاء الرواية تعالج الجنس فقد رأى هوفمان أنها أقرب ما تكون إلى العبرة وضرب المثل، فضلا عن أنها تعالج الجنس الشاذ المريض، وأن هدف المؤلف من ورائها صدم المجتمع حتى يدرك مثالبه وعيوبه، وليس إثارة الأفكار الشهوانية. والجدير بالذكر أن القاضى الفيدرالى هوفمان تنبه إلى الطبيعة الهجائية الجوهرية التى تتضمها حكايات بوروز وهو ما فات على موظفى مصلحة البريد إدراكه. وأيضا أشار هوفمان إلى آراء الكتاب والنقاد الذين أكدوا على أن كتابة بوروز تنتمى إلى الأدب الجاد، كما أشار إلى سعى المجلة إلى إجراء تجارب تكنيكية فى مجال الكتابة الأدبية. وانتهى هوفمان إلى رأى مفاده أن مجلة "المائدة الكبيرة" ليست بذيئة من وجهة النظر القانونية. وبناء عليه خلص إلى رأى مفاده أنه لا يصح اتهام مادة المجلة بالبذاءة، ما دام الهدف منها يخلو من البذاءة، ثم انتهى هوفمان إلى القرار التالى بأن المحكمة الفيدرالية تسمح للشاكين ضد مصلحة البريد باستصدار حكم مستعجل، إلى جانب إلغاء قرار مصلحة البريد بحظر توزيع وتداول مجلة "المائدة الكبيرة" عن طريق البريد. علما بأنه سبق لهوفمان أن أصدر حكما لصالح المقالين اللذين نشرهما كل من كيرواك وبوروز فى المجلة سالفة الذكر. وهكذا حكم القضاء ببراءة هذه المجلة بعد مضى نحو خمسة عشر شهرا على حظرها لأول مرة ومرور نحو عامين على قيام جامعة شيكاغو بمصادرتها.

ولكن مصلحة البريد لم ترض عن الهزيمة التى لحقت بها فقررت الاستئناف ضد الحكم ببراءة المجلة.

وفى يوم ١١ أغسطس ١٩٦٠ ظهر محامو مصلحة البريد أمام كبير القضاة وليام كامبل ليعلنوا سحب الاستئناف الذى تقدموا به. عندئذ شعر جويل سبراى ريجن محامى المجلة بنشوة النصر قائلا: "يمكن الآن لمجلة "المائدة الكبيرة" أن تأخذ مكانتها فى مصاف روايتى "يوليسيس" و"عشيق الليدى تشاترلى" كدليل راسخ على قدرة مؤسساتنا الديموقراطية والقانونية على التصدى للرقابة والحكومة التى تسعى لفرض ذوقها الأدبى على جميع الأمريكان.

مصلحة الجمارك تفرض الرقابة على رواية "الغداء العارى" والقاضى هوفمان يقرر بطلان حظرها

أبدت دار النشر جروف هاوس اهتماما ملحوظا بطباعة ونشر رواية "الغداء العارى" منذ أن بدأت مجلة الشيكاغو ريفيو فى نشر بعض أجزائها. وبعد قيام موريس جيروديأس صاحب دار نشر أولمبيا بنشر هذه الرواية فى فرنسا عام ١٩٥٩ سعت دار نشر جروف إلى الحصول على نسخة منها بسبب رغبتها فى نشرها فى الولايات المتحدة فاستجابت دار النشر الفرنسية إلى طلب دار النشر الأمريكية، وأرسلت إليها النسخة المطلوبة. وعندما شكت دار النشر الأمريكية إلى الآنسة فران مولر العاملة بدار أولمبيا للنشر من عدم تسلم النسخة المرسلة أرسلت الدار الثانية إليها خطابا مؤرخا فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٩ قالت فيه: "إننى مندهشة أن أسمع منكم أنكم لم تتسلموا النسخ التى أرسلناها من رواية "الغداء العارى".

تسلمت جوديث شميدت المسئولة بدار جروف للنشر الأمريكية هذا الخطاب، فأصابها شىء من الانزعاج، وكتبت إلى ميريام وورمز العاملة فى دار أولمبيا للنشر يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٩ تعبر عن شكوكها فى أن مصلحة الجمارك الأمريكية قامت بمصادرة النسخ المرسلة. حدث هذا عندما كان القاضى هوفمان ينظر الاستئناف المقدم إليه ضد مصادرة أجزاء من الرواية التى نشرها وليم بوروز فى مجلة "المائدة الكبيرة" التى كانت لا تزال محظورة قانونا.

ونظرا لأن مصلحة البريد التزمت الصمت حول هذه الرواية، ولم تبلغ دار جروف للنشر بأمر حظرها، فقد قامت هذه الدار بمخاطبة دار النشر الفرنسية أولمبيا كى تعيد إرسال الرواية إليها بالبريد الجوى داخل طرد عادى وواضح للتأكد من وصوله أو عدم وصوله إلى أمريكا، ولمعرفة إذا كانت السلطات الفرنسية أو الأمريكية هى المسئولة عن عدم إرسالها. ورغم أن مصلحة الجمارك الأمريكية كان لها سوابق فى حظر عدد من الكتب الممنوعة التى أرسلتها دار نشر أولمبيا إليها من باريس فإن الطرف المسئول عن الحظر فى هذه الحالة لم يكن واضحا.

وكذلك كتب المحامى جويل ج.سبراى ريجن بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٥٩ إلى شارلس ريمبار محامى دار نشر جروف يبلغه بالإجراءات القانونية التى اتخذت ضد الرواية. وأدركت دار جروف للنشر أن قيام مصلحة البريد بحظر بعض أجزاء رواية بوروز من شأنه إثارة اهتمام الناس بها ويزيد إقبالهم عليها. ولكن هذا الخبر فى الوقت نفسه كان سببا فى انزعاج هذه الدار؛ نظرا لأن الدخول فى مشاكل قضائية مع مصلحتى البريد والجمارك الأمريكيتين من شأنه تكبيدها نفقات باهظة، وخاصة لأنه كان من حق كل ولاية أن تفرض الحظر على رواية بوروز عند صدورها بين دفتى كتاب. علما بأن دار نشر جروف سبق لها أن خاضت تجربة مماثلة عندما قامت بنشر رواية هنرى ميلر المعروفة "مدار السرطان"، الأمر الذى جعلها تتوخى الحذر عند نشر رواية بوروز "الغداء العارى". وزاد من المشاكل الشائكة التى واجهتها دار نشر جروف أنها حاربت من أجل رفع الحظر الذى فرضته مصلحة البريد على رواية "عشيق الليدى تشاترلى". ويجدر بنا هنا التنويه بالدور الطليعى الذى اضطلعت به دار جروف للنشر ضد الرقابة المفروضة على المصنفات الأدبية فى أواخر عقد الخمسينيات وأوائل عقد الستينيات من القرن العشرين.

ظلت جوديث شميدت تطلب نسخا من رواية "الغداء العارى" من ناشرها فى باريس حتى تتمكن من إعادة طبعها فى الولايات المتحدة، وذلك لأن مؤلفها بوروز أوصى باعتبار الطبعة الباريسية كأصل معتمد يعتد به. وبالنظر إلى أن جميع نسخ الرواية المرسلة إليها من باريس لم تصل إليها، فقد خلصت إلى أن مصلحة الجمارك الأمريكية هى المسئولة عن عدم وصولها. ورغم أن دار النشر الأمريكية جروف تلقت نسخة من الرواية مكتوبة بالآلة الكاتبة يوم ١ إبريل ١٩٦٠ فقد ألحت جوديث شميدت فى طلب نسخ منها/ نشرتها دار أولمبيا للطباعة والنشر فى باريس تلبية لرغبة عدد من القراء الأمريكان فى اقتناء نسخ من

الطبعة الباريسية. ورأت جوديث شميدت أن يكون الاتصال بين القراء ودار النشر الباريسية مباشرا فأعطت عناوين هؤلاء القراء الأمريكان لهذه الدار كى تتعامل معهم بدون وساطة. وحتى تستبعد جوديث شميدت دورها كوسيط قامت بطبع استمارة يقوم أى راغب فى اقتناء الرواية بملئها وإرسالها مباشرة إلى دار نشر أولمبيا. وبهذا تجنبت دار جروف الأمريكية للنشر التورط فى المشكلات الناجمة عن مصادرة مصلحة الجمارك الأمريكية لرواية "الغداء العارى" الصادرة عن دار أولمبيا الباريسية للنشر.

ويرجع أول دليل رسمى على أن مصلحة البريد اعتبرت رواية "الغداء العارى" بذيئة إلى يوم ٢٦ أغسطس ١٩٥٩، أى بعد مرور عشرة شهور تقريبا على أول احتجاز لهذه الرواية؛ بسبب الشك فى بذاءتها. ففى ذلك اليوم أرسل إرفنج فيشمان نائب رئيس مصلحة البريد إلى دار جروف للطباعة والنشر يبلغها أن المصلحة صادرت خمس نسخ من الرواية. وفى ذلك الوقت كان المختص بالنظر فى قضايا البذاءة إرفنج واشنطن فى نيويورك وروبن كلاين فى واشنطن. وكان فيشمان آنذاك يتباهى بعدم تسامحه على الإطلاق مع المواد البذيئة فهو يزهو قائلا: "خلال الخمسة عشر عاما الماضية... لم نقابل إلا محاولات قليلة للاعتراض على قيام مصلحة الجمارك بمصادرة المواد البذيئة، فضلا عن أن مثل هذا الاعتراض لم ير طريقه إلى ساحة القضاء على الإطلاق".

وطبقا للقانون الأمريكى المعروف باسم قانون التعريفة الجمركية لعام ١٩٣٠ رقم ١٩ قسم ١٣٠٥: "يُفرض الحظر على أى كتاب أو نشرة أو صحيفة أو كتابة أو إعلان أو أى مقال يتسم بالبذاءة والانحلال الخلقى".

وفى عام ١٩٦٠ كان هذا يعنى تلك الكتب القذرة التى يهربها داخل الأراضى الأمريكية أفراد مغامرون فى حقائب اليد أو تحت المعطف أو بداخل الملابس. ولفترة امتدت بعض الشىء ظلت هذه الطريقة الوحيدة التى اتبعها الأمريكان فى بلادهم، كى يتمكنوا من قراءة د.هـ.لورانس وجيمس جويس وهنرى ميلر.

وطبقا للسلطة المخولة لمصلحة الجمارك بمقتضى القسم ١٣٠٥ قامت هذه المصلحة بفحص عشوائى نسبته ٣% من مجموع الطرود التى تصل إلى الموانئ الأمريكية. وإذا رأى موظف مصلحة الجمارك أن المادة المرسلة بذيئة يتعين عليه تبليغ النيابة العامة التى تقوم برفع قضية أمام محكمة الإقليم الفيدرالية لتحديد مدى بذاءة المادة من الناحية القانونية وفقا للمعايير الحديثة. وإذا اشتبه موظف الجمارك فى بذاءة أي مادة يحق له فتحها وفحصها بعد

أن يتلقى من المرسل إليه تفويضا بذلك. فإذا لم يسمح المرسل إليه بذلك طلب إلى مصلحة الجمارك تفويضا بفحص المادة المرسلة، وإلا تقوم هذه المصلحة بإعادة الطرد إلى راسله. ولكن من الواضح أن مصادرة مصلحة الجمارك لرواية "الغداء العارى" لم تتم نتيجة أى فحص عشوائى للمادة المرسلة. وأغلب الظن أن حظر مصلحة الجمارك لهذه الرواية جاء نتيجة متابعة المراسلات الدولية المتبادلة بين ناشرين تقترن أسماؤهم بالاتجار بالبذاءة والترويج لها. وعند سؤال جون أنوود المسئول فى مصلحة الجمارك عن فحص المواد المحظورة حول الأسلوب الذى تتبعه لاكتشاف المواد البذيئة قال إنه فى حالة مصادرتها لرواية "الغداء العارى" اقتضى الأمر شدة اليقظة والانتباه". عندئذٍ سعى محاوروه إلى إحراجه فسألوه أن يعلق على أسلوب تعامل مصلحة الجمارك مع اثنين من دور النشر المعروفة بنشر الكتب البذيئة وهما جروف الأمريكية وأولمبيا الفرنسية (ومن المعروف أن دار نشر جروف لم تجد أدنى غضاضة فى نشر رواية "عشيق الليدى تشاترلى" التى يعتبرها البعض بذيئة وفاضحة)، كما سألوه إذا كان إقدامها على نشر مثل هذه الكتب يكفى لتنبيه المسئولين فى مصلحة الجمارك الأمريكية إلى ضرورة مراقبة المراسلات الدولية المتبادلة بينها وبين دار نشر أولمبيا؛ للكشف عن نشاطهما فى نشر الكتب الممنوعة أو المشتبه فى أمرها. ولكن أنوود رفض التعليق على هذا الأمر الذى يدل على أن الطرق التى اتبعتها مصلحة الجمارك الأمريكية فى الكشف عن المطبوعات الممنوعة ظلت سرا تحتفظ به المصلحة لنفسها، وتخفيه عن الجميع. ورغم ذلك فإنه يبدو أن الطريقة التى اتبعتها مصلحة الجمارك للكشف عن المطبوعات البذيئة كانت كالتالى: إذا حدث أن تشككت مصلحة الجمارك فى أى عمل بذئ أحالته إلى مستشارها الأدبى هنتجنتون كيرنس الذى يبلغ بدوره كلا من روبن كلاين وإرفنج فيشمان إذا كانت المطبوعة قيد التحرى تنتهك قانون التعريفة الجمركية أم لا. ويبدو أيضا أن مصلحة الجمارك الأمريكية دأبت على فحص بريد الأشخاص المشتبه فيهم بشكل روتينى. وليس هناك فى ملفات مصلحة الجمارك الخاصة برواية "الغداء العارى" أي وثائق تدل على عدم قيامها برصد وتفتيش الطرود. وتشير الدلائل إلى أن مصلحة الجمارك كانت تراقب الطرود والمراسلات المتبادلة بين دار نشر جروف الأمريكية ودار نشر أولمبيا الفرنسية بشكل دورى أو روتينى حيث إنه من المستبعد أن يكون التفتيش الروتينى لـ٣% من الطرود والمراسلات مثمرا ومؤديا إلى الكشف عن جميع الكتب البذيئة. وعلى أي حال لم تحتو ملفات المصلحة الخاصة برواية "الغداء العارى" على أي إشارات إلى الأسلوب الذى اتبعته المصلحة فى الكشف عن البذاءات. ولكن يمكن

أن نسترشد بعض الشيء عن أسلوب مصلحة الجمارك الأمريكية فى رصد المحظورات الفرنسية من الحادثة التالية. عند قدوم دانييل بيل المحرر السابق لمجلة فورتيون وعضو مجلس إدارة الاتحاد الأمريكى للتحريات المدنية من رحلته من أوروبا إلى الولايات المتحدة فى خريف عام ١٩٥٨ فى ميناء نيويورك قام مفتش مصلحة الجمارك بمصادرة نسخته التى اشتراها من فرنسا من كتاب جان جينيه "سيدة الزهور" الصادر عن دار أولمبيا للنشر. يقول بيل فى هذا الشأن إنه ما إن فتح حقيبته أمام موظف مصلحة الجمارك حتى وقع نظر هذا الموظف على الغلاف الأخضر المميز للكتاب فقال له هذا الموظف على الفور: "آه أرى أنك قد أحضرت معك بعض الكتب المنشورة فى باريس" ثم أضاف: "إن جميع الكتب الصادرة عن دار نشر أولمبيا محظورة على أساس أنها بذيئة". وعندما أصر بيل على الاطلاع على قائمة الكتب الممنوعة التى أعدتها مصلحة الجمارك اقتاده الموظف إلى زميل له يحتفظ بهذه القائمة وأطلعه عليها. وطلب الرجلان منه التوقيع على استمارة تخول للمصلحة تدمير الكتاب الذى أحضره من باريس.

أبلغ دانييل بيل الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية بما حدث له فقام الاتحاد بدوره بالاتصال بارفنج فيشمان طالبا منه تفسيرا. علما بأنه سبق للاتحاد أن سمع عن مصادرة مصلحة البريد لبعض عناوين الكتب. ولكنه لم يسمع عن قيام مصلحة الجمارك بهذه المصادرة بالذات. وأفاد فيشمان بعدم وجود قائمة للكتب الممنوعة أو المصادرة وأنه لا وجود لأي تعليمات بحظر جميع مطبوعات دار أولمبيا للنشر. ولم يجد فيشمان تفسيرا لما حدث لدانييل بيل غير التفسير التالى، وهو أن المفتشين بمرور الوقت اكتشفوا أن كتبا كثيرة صادرة عن دار نشر أولمبيا تستحق المصادرة لبذاءتها، لدرجة جعلت الموظفين يصادرون من باب الاحتراز جميع مطبوعات هذه المواد خشية احتوائها على البذاءات.

ومن ناحيته أبلغ باتريك ميرفى مالين المدير التنفيذى للاتحاد الأمريكى للحريات المدنية روبرت ب.أندرسون بوزارة الخزانة الأمريكية يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٥٨ بالحادثة التى وقعت لدانييل بيل. وعبر باتريك مالين عن اعتراضه على مصادرة كل مطبوعات دار أولمبيا؛ للنشر لأنها تنتهك التقاليد الأمريكية الخاصة بضمانات الحريات المدنية وضرورة الحكم على كل مطبوعة على حدة. كما أنه اعترض على حظر المطبوعات البذيئة بأمر من السلطات الإدارية بدلا من حظرها عن طريق الأحكام القضائية. وكذلك شكا باتريك مالين من إهمال

مصلحة الجمارك، وعدم تبليغ المتضررين من تصرفاتها بحقهم القانونى فى الاعتراض على الحظر.

وتلقى الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية خطابا من مصلحة الجمارك يعد بالرد الكامل على جميع استفساراته. وهو ما لم يحدث أبدا فبعث إليه الاتحاد برسالة مهذبة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٥٩ لاستعجال رد المصلحة. غير أنها تقاعست عن إرسال مثل هذا الرد. وكتب إليها مالين بتاريخ ١٠ مارس ١٩٥٩ مهددًا بأنه إزاء صمت مصلحة الجمارك سوف يجد نفسه مضطرًا إلى إبلاغ الصحافة بما حدث. وفى يوم ١٦ مارس ١٩٥٩ (وهو تقريبا الوقت نفسه الذى صادرت فيه مصلحة البريد مجلة المائدة الكبيرة) أرسل أ.جلمور فلوز المسئول بوزارة الخزانة خطابا إلى باتريك مالين جاء فيه أنه على الرغم من أن الكتاب ذا الغلاف الأخضر المضبوط بذئ طبقا للقسم ١٣٠٥ من القانون فقد قرر رئيس مصلحة الجمارك السماح لبيل بالحصول على نسخة منه بهدف إجراء الأبحاث. فضلا عن أن فلوز أنكر أن المصلحة تقوم بحظر جميع الكتب التى تنشرها دار أولمبيا للنشر قائلا: "على الرغم من أن هذه الدار درجت على نشر الكتب البذيئة طبقا للقسم ١٣٠٥ من قانون التعريفة الجمركية فإنه ليس من عادتنا أن نحظر جميع الكتب التى تقوم هذه الدار بنشرها".

وعبر مالين عن شكره لفلوز فى خطاب أرسله إليه بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٥٩، وطلب منه تزويد مفتشى مصلحة الجمارك بالتوجيهات اللازمة. وذكرت مصلحة الخزانة أنها وجهت نظر جميع العاملين بمصلحة الجمارك فى نيويورك بضرورة تنبيه المتضررين إلى حقهم فى الاعتراض القانونى على إجراءات الحظر.

وهكذا استرد بيل نسخته من الكتاب. ورغم إنكار مصلحة الجمارك وجود قائمة بعناوين الكتب المحظورة فقد استمرت هذه المصلحة فى انتهاج سياسة الحظر الجماعى لكل مطبوعات دار أولمبيا للنشر. والجدير بالذكر أن مصادرة مصلحة الجمارك للكتاب الذى أحضره بيل من رحلته إلى فرنسا سبقتها مصادرة رواية "الغداء العارى" لأكثر من عام. ولكن يبدو وجود علاقة بين الحادثتين؛ نظرا لأن الكتابين صدرا عن دار واحدة هى دار أولمبيا للنشر.

وهناك إشارة وردت فى المذكرة التى أعدتها إليانور ساسك الموظفة بمصلحة الجمارك بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٦٢ لتقديمها إلى إرفنج فيشمان. وتبين هذه المذكرة اهتماما عظيما بقضايا البذاءة المنظورة أمام المحاكم الفيدرالية. وتشير هذه المذكرة إلى وجود علاقة بين

قضية مجلة "المائدة الكبيرة" وقضية نشر رواية "الغداء العارى" لوليم بوروز. ونحن نجد أيضا فى هذه المذكرة نفسها إشارة إلى قيام دار جروف للنشر بنشر رواية بوروز فى الولايات المتحدة.

وعندما قامت مصلحة البريد بضبط مجلة "المائدة الكبيرة" لتقرير مدى صلاحية إرسالها عن طريق مصلحة البريد تم إرسال إشعار رسمى إلى ألبرت سوديل فى ٣٠ إبريل ١٩٥٩. ونستدل من هذا الإشعار على وجود علاقة عمل وثيقة تربط بين مصلحة البريد ومصلحة الجمارك فى مجال ضبط ومصادرة المواد البذيئة. وبطبيعة الحال تصدى روبن كلاين للمواد البذيئة نيابة عن مصلحة الجمارك بالتعاون مع إرفنج فيشمان. وتدل هذه المذكرة السالفة الذكر على أن مصلحة الجمارك تنبهت إلى احتواء رواية "الغداء العارى" حتى قبل أن يقرر نشرها موريس جيروديلس صاحب دار أولمبيا الباريسية للطباعة والنشر، وذلك لأن جيروديلس انتظر حتى يونية ١٩٥٩ ليتصل ببوروز، طالبا منه إلقاء نظرة أخرى على مخطوط روايته قبل نشرها، أى أنه انتظر نحو شهر ونصف الشهر بعد إرسال الإخطار الرسمى إلى كلاين. ويجدر بالذكر أن مصلحة الجمارك عرفت بأمر رواية بوروز وكان لديها من الأسباب ما يجعلها تعتبرها بذيئة حتى قبل أن تفكر دار نشر أولمبيا فى نشرها.

وعلى نحو ما أسلفنا أصدر القاضى هوفمان قرارا بتاريخ ٣٠ يونية ١٩٦٠ ببطلان إجراءات الحظر التى اتخذتها مصلحة البريد. وأكدت مصلحة الجمارك فيما بعد فى خطابها الصادر بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦١ موقفها الحاظر للرواية. وحتى بعد قرار القاضى هوفمان ببطلان قرار حظر مصلحة البريد لمجلة المائدة الكبيرة استمرت مصلحة الجمارك فى تطبيق هذا الحظر.

وبطبيعة الحال كان لصدور الطبعة الأمريكية من رواية "الغداء العارى" يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ صدى عظيم على المستويين الأدبى والقانونى.

وفى شهر فبراير ١٩٦٣ أى بعد مضى نحو شهر على إلقاء القبض فى بوسطن على شخص يدعى ثيودور مافريكوس لقيامه ببيع نسخة من رواية "الغداء العارى" إلى مخبر يعمل فى بوليس الآداب الأمريكى اسمه هارولد ف.شابيرو التابع لمكتب النائب العام الأمريكى أصدر هذا النائب بيانا إلى مصلحة الجمارك يأمر فيه رئيسها بصرف النظر عن الحظر المفروض على الرواية.

ظروف وملابسات تأليف رواية "الغداء العارى"

يعطينا ابن وليم بوروز صورة لوالده أثناء كتابته روايته "الغداء العارى" فى مدينة طنجة بالمغرب. يقول الابن إنه كان يرى والده منكبا بالساعات على كتابة هذه الرواية، وهو يدخن الحشيش، ثم ينطلق نحو آلته الكاتبة كلما اختمرت فكرة فى خاطره. وأيضا يصف لنا بول باولز ظروف المؤلف المعيشية فى فترة تأليفه هذه الرواية:

"كان يعيش فى غرفة ضيقة ورطبة تطل على الحديقة فى فندق يعرف باسم فيلا الميتزيه. ويضيف بول باولز أنه فى خلال العامين اللذين شاهد فيهما المؤلف فى طنجة بانتظام دأب على تناول المخدرات والكحول بكميات كبيرة. ويجلس إلى مكتبه وقد تناثرت أوراق روايته عليه وعلى أرضية الغرفة فى فوضى واضحة".

نشر وليم بوروز أول كتاب له بعنوان "جانكى" عام ١٩٥٣. ولكنه عندما أقدم على كتابة روايته الثانية "الغداء العارى" شكا بعد مضى عام لصديقه جاك كيروك من كثرة تعثره فى الكتابة، كما شكا من أن شكل روايته الجديدة لا يتناسب مطلقا مع ما يرغب فى التعبير عنه. وأضاف مؤلفنا أنه يريد عددا قليلا من القراء. وزاد من مشاكله أنه كان يأمل فى كسب الكثير من المال الذى هو فى مسيس الحاجة إليه من وراء بيع روايته "الغداء العارى" بعد نشرها سلسلة من حلقات فى إحدى المجلات؛ ثم عاد يشكو إلى صديقه كيروك من عدم قدرته على الكتابة بطريقة شعبية جذابة، الأمر الذى جعله يشعر بالإحباط حيث إن الكتابة بطريقة شعبية كانت السبيل الوحيد أمامه للحصول على الكثير من المال.

كان من عادة بوروز أن يسطر اسكتشات قصيرة من الخطابات التى يبعث بها إلى أصدقائه ومعارفه، وهى اسكتشات ضمنها فيما بعد فى رواية "الغداء العارى" أثناء تأليفها. فهو مثلا يدخل فى متن هذه الرواية فقرة كان قد ضمنها فى خطاب أرسله إلى صديقه كيرواك عام ١٩٥٤. وكذلك ضمن بوروز روايته بعض الاسكتشات التى سبق أن أرسلها إلى أديب جيل البيتس المعروف آلن جنسبرج، وهو خطاب يحتوى على حكاية يرويها الدكتور بنواى عن رجل يقوم بتدريب فتحة شرجه على الكلام. وهى حكاية أقرب إلى الهجاء السياسى منها إلى النكتة والفكاهة. وفى هذا الخطاب نفسه الذى أرسله مؤلفنا إلى صديقه جنسبرج عبر للمرة الثانية عن رغبته فى تأليف رواية تجد رواجا بين القراء. وعندما استرجع بوروز ما سطره أصابته خيبة أمل لعجزه عن تأليف الرواية الشعبية الرائجة التى كان يصبو إلى كتابتها.

وبسبب مروره بضائقة مالية أصبح عاجزا عن الحصول على طعامه وعلى المخدرات التى اعتاد عليها. وبلغ به الإفلاس مبلغا جعله يبيع الآلة الكاتبة التى كان يكتب عليها روايته. وعندما اكتشف بوروز عجزه عن كتابة الرواية الشعبية الرائجة اتجه إلى كتابة الهجاء السياسى والاجتماعى بدلا منها فى كتاب يعج بالصور الشرجية وبالبذاءات.

وتلقى الخطابات التى أرسلها وليم بوروز إلى كل من كيرواك وجنسبرج فى أواخر عام ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ أثناء إقامته فى بلاد المغرب الضوء على كاتبنا كمؤلف وعلى حالته النفسية والعقلية. فضلا عن إلقاء الضوء على جانب من سيرة حياة مؤلفنا الذاتية، وكذلك على الجو السوريالى الذى تميزت به بعض جوانب رواية "الغداء العارى".

ولم يتوقف بوروز عن إرسال مقتطفات من روايته إلى أصدقائه مثل ذلك المقتطف الذى أرسله فى خطاب بعث به إلى صديقه كيرواك يوم ٢٤ مايو ١٩٥٥. ويدور هذا المقتطف حول القردة ذات فتحات الشرج الشديدة الاحمرار التى يصطادها صيادون يركبون الموتوسيكلات. وهو منظر له دلالاته الواضحة الخاصة بالشذوذ الجنسى. علما بأن مناظر القردة ذات فتحات الشرج الحمراء تتكرر كثيرا فى كتابات بوروز، وخاصة فى المقال الذى نشرته له مجلة اسكواير بمناسبة انعقاد المؤتمر القومى الديموقراطى عام ١٩٦٨. وفى هذا المقال يصور بوروز السياسى ماندريل بأنه قرد ذو فتحة شرج حمراء. وهو منظر شائع فى رواية "الغداء العارى" فضلا عن أن هذه الرواية تتضمن عدة عناصر من سيرته الذاتية.

ويكشف الخطاب الذى أرسله وليم بوروز إلى صديقه جنسبرج فى أبريل عام ١٩٥٢ عن دلالات باكرة تشير إلى جنوح مؤلفنا فى تعليقاته الاجتماعية إلى استخدام الأسلوب السوريالى والرسوم الشاذة المشابهة.

كان وليم بوروز آنذاك قد انتهى من تأليف روايته الأولى "جانكى" وطلب من صديقه جنسبرج التفاوض مع دار نشر فى نيويورك لنشرها. وقد أجرى هذا الصديق مفاوضاته مع شركة وين للنشر. وطلب هذا الناشر كلمة موجزة للغاية عن سيرة حياة المؤلف لوضعها على غلاف الكتاب، الأمر الذى أثار ضيق مؤلفنا، فكتب يقول:

"فيما يتعلق بالكلمة الخاصة بسيرة حياتى فإنى أجد نفسى عاجزا عن كتابتها، نظرا لأنها شديدة العمومية. فضلا عن أنى لا أعرف على وجه التحديد ماذا يريدون. هل يريدون منى أن أكتب أنى عملت فى أحد المواخير وبيوت الدعارة واشتغلت عامل نظافة فى المراحيض وعاهر ذكر ومرشد فى البوليس وذكر خنثوى يجمع بين عناصر الذكورة والأنوثة معا... وأن هوايتى المفضلة هى تعذيب القطط وخاصة القطط السيامية التى يغرينى بتعذيبها شعرها الحرير المنسدل، وذلك بصب الكيروسين عليه، وإشعال عود ثقاب فيه. وإنى أفضل لحرقها استخدام الكيروسين على الجازولين لأنه يحترق ببطء".

وبسبب شعوره بالعجز عن كتابة كلمة الغلاف لأولى رواياته طلب من جنسبرج أن يكتبها نيابة عنه. ولم يجد أي غضاضة أو حرج فى ذكر شذوذه الجنسى. تكشف رواية بوروز الأولى "جانكى" عن نزوعه الأصيل إلى الهجاء الاجتماعى المرير. وهو هجاء يشيع فى كل كتاباته، وخاصة فى الخطابات التى دأب على إرسالها إلى أصدقائه. ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن الخطابات التى بعث بها بوروز إلى صديقه جاك كيرواك وآلن جنسبرج احتوت على البذرة التى نمت وترعرعت وتحولت إلى أعمال روائية فيما بعد. هذه الخطابات تضمنت أجزاء متناثرة طورها فيما بعد إلى أعمال روائية. والجدير بالذكر أن بعض الكتاب سبقوه إلى الخوض فى أمور الجنس وتعاطى المخدرات وإدمانها. ويتميز بوروز بمعالجته لهذه الموضوعات من منظور اجتماعى.

وأيضا طلب الناشر من وليم بوروز تزويده ببعض الأحداث الروائية لإدخالها فى روايته الأولى "جانكى" لملء فجوات موجودة فى حبكة هذه الرواية، حيث نرى أن "جانكى" يتزوج وأن زوجته تختفى فجأة دون أى تفسير أو مقدمات، الأمر الذى حدا بدار النشر أن تطلب من المؤلف إضافة بعض الأحداث الروائية التى من شأنها توضيح سر اختفاء هذه الزوجة. وشعر بوروز بصعوبة توضيح هذا الموقف الغامض حيث إن طلب الناشر نكأ

جراحه القديمة وذكره بأنه كان المسئول عن مقتل زوجته جوان. وقد أمدتنا صحيفة نيويورك تايمز بتفسير لاختفاء الزوجة المفاجئ والغامض نشرته وكالة أنباء الأسوشيتد بريس تحت عنوان "رجل يطلق النار على زوجته". وفيما يلى نص الخبر المنشور:

"مدينة مكسيكو بتاريخ ٧ سبتمبر تكساس: أنكر مزارع قطن ثرى اليوم قتله لزوجته الليلة الماضية بسبب إطلاقه الرصاص على كأس خمر وضعته على قمة رأسها. وصرح (القاتل) وليم سيوارد بوروز البالغ من العمر سبعة وثلاثين عاما بأن مسدسه سقط من يده فانطلقت منه رصاصة طائشة أصابت زوجته إصابات قاتلة..

وكان هذا التقرير الصحفى سببا فى نشر العديد من الشائعات حول هذه الحادثة. ونظرا لخطورة الحادث بادرت السلطات المكسيكية فى التحريات والتحقيقات وقد نشرت الصحف الخبر التالى:

"مدينة مكسيكو بتاريخ ١٠ سبتمبر: تم اليوم تقديم وليم س.بوروز وهو رجل مرموق ينتمى إلى عائلة سانت لويس إلى المحاكمة بتهمة إطلاق النار على زوجته فأرداها قتيلة. وأمر القاضى إدوارد أورازنا جيمنز رسميا بالزج به فى السجن، وتوجيه تهمة القتل إليه توطئة لتقديمه إلى المحاكمة".

وقد رفضت المحكمة الكشف عن موعد جلسة الاستماع التالية. علما بأن القانون المكسيكى ينص على إصدار الحكم فى القضايا الجنائية فى غضون عام. وأصدر القاضى حكمه بعد استماعه إلى شهادتين أدلى بهما اثنان من الشهود. وتؤيد هاتان الشهادتان أقوال بوروز بأن الطلقة انطلقت من مسدسه عن طريق الخطأ أثناء محاولته معرفة إذا كان هذا المسدس محشوا بالرصاص أم لا.

وليس من الواضح على وجه التحديد كيف نجح الروائى بوروز فى تبرئة نفسه من تهمة القتل والحصول على حكم من المحكمة بأن وفاة زوجته كانت محض صدفة. ولكن يكفينا أن نعلم أن السلطات المكسيكية سمحت لمؤلفنا بمغادرة الأراضى المكسيكية إلى الولايات المتحدة بعد أخذ تعهد عليه بالعودة إلى المكسيك عند استدعائه. وترك بوروز ابنه فى رعاية لورا لى وأبيه مورتيمر بوروز المقيم فى منطقة بالم بيتش فى ولاية فلوريدا حيث كان أبواه يمتلكان محلا لبيع الهدايا.

والجدير بالذكر أن مصرع زوجة بوروز بالرصاص ترك أثرا عميقا وغائرا فى حياة مؤلفنا الشخصية، غير أنه لم يعالج هذا الحادث فى رواياته على نحو مباشر على عكس تناوله المباشر موضوع ممارسته للشذوذ الجنسى وإدمانه المخدرات.

وقد طلبت دار النشر التى اضطلعت بنشر رواية "جانكى" من بوروز أن يكتب عن حادثة زوجته جوان بعد وقوعها بشهور قلائل لضمها إلى هذه الرواية. فكتب مؤلفنا إلى صديقه يقول: "بعد وفاة زوجتى جوان أجد نفسى عاجزا عن الكتابة عن هذه الحادثة. ليتك تتحدث مع المسئولين فى دار النشر كى يصرفوا النظر عن هذا الموضوع".

ولكن الناشر أوين أصر على ضرورة دمج حادثة القتل فى حبكة رواية جانكى فطلب بوروز من جنسبرج أن يسعى لدى دار النشر لاستبعاد إشارته الوحيدة لمصرع زوجته من هذه الحبكة، واقترح بدلا من ذلك إضافة بعض الأحداث إليها. غير أن الناشر رفض هذا وتمسك بإضافة مصرع زوجته إلى حبكة الرواية. وعبثا حاول مؤلفنا تغيير موقف الناشر قائلا إن مصرع زوجته لا تربطه أي علاقة جوهرية بمتن الرواية فهى مجرد إشارة عابرة يمكن استبعادها والاستغناء عنها. وكتب مؤلفنا يقول فى هذا الشأن:

"كانت آخر إشارة إلى زوجتى وردت فى الرواية هى: "انفصلت عن زوجتى آنذاك. أما إذا أصر الناشر على رأيه فسوف أخترع له حكاية عن مقتلها فى حادث سيارة يقودها مخمور، فضلا عن إضافة بعض المناظر الخاصة بالسجن. ولكنى أدرك أنى سوف أرتكب بذلك خطأ فنيا، وأن هذا سوف يجعل روايتى تنحرف عن مسارها. وسوف أفعل هذا إذا أصر الناشر على رأيه. ولكن الحل البديل بسيط ويتمثل فى استبعاد جميع الاشارات الواردة فى الرواية إلى الزوجة. وكما أقول إن حكاية زوجتى لا تؤثر مطلقا فى روايتى".

ولم يسمح الناشر للمؤلف بإجراء أي تغييرات على مخطوطة الرواية بشأن اختفاء زوجته المفاجئ. ولكن عند إصدار طبعة ثانية من رواية جانكى أضيفت إليها مقدمة، تتضمن إشارة إلى ملابسات مصرع زوجته ورد فيها ما يلى: "إن أحد الأحداث الأكثر قبحا التى شوهت ماضيه تتمثل فى ضرب زوجته بالرصاص... عندما أراد إظهار مهارته فى التصويب على كأس شمبانيا وضعته زوجته على رأسها، فإذ برصاصة قاتلة تنطلق من فوهة مسدسه. وقعت هذه الحادثة فى مدينة مكسيكو نحو عام ١٩٥٠. ولكنه حصل على براءة من تهمة القتل".

وتتضمن رواية جانكى بعض الاختلافات عن مجرى التحقيق الذى تناقلته الصحف حيث إن كأس شراب الجن تحول إلى كأس من الشمبانيا.

وبعد مضى بعض الأعوام نشر ابن بوروز فى مجلة سكواير مقالا عن حياته تحت سقف واحد مع والده وجاء فيه ما يلى: أخبرنى جنسبرج فى ليلة باردة أنها (أى أمى) كانت تشتهى الموت كما هى الحال مع جميع الذين اعتادوا قيادة سياراتهم بسرعة جنونية، ثم أخبرنى أنه يحتفظ بصورة جثة أمى فى المشرحة وأنه على استعداد أن يطلعنى عليها إذا شئت، فضحكت فى سرى ضحكة تنم عن عدم الارتياح، وقلت له ما معناه إننى قد ألقى عليها نظرة فيما بعد. وهكذا رأيت الجانب العاصف فى حياة أمى على أقل تقدير.

وفى إحدى الليالى أقمنا حفلة فى منزلنا شرب فيها كل الحاضرين حتى الثمالة. ووضعت أمى تفاحة أو مشمشة أو عنبا وأحيانا وضعتنى فوق رأسها متحدية أبى أن يطلق الرصاص على ما تحمله فوق رأسها. ولكن أبى –رغم دقته فى التصويب– أخطأ الهدف. واعتبر الحادث قتلا بالمصادفة أو قتلا خطأ وأن موت أمى نجم عن نزيف فى المخ. غير أنى لا أتذكر أي تفاصيل عن الشقة التى وقع فيها الحادث بل لا أتذكر صورة أمى.

ويتضح لنا مما يقوله بوروز الابن أن الحادثة لم تكن محض صدفة بل ترجع إلى أن أمه كانت تشتهى الموت. وأيضا يلمح الابن إلى أن موتها لم يكن مجرد مصادفة حيث إن والده كان مشهودا له بمهارة التصويب.

والجدير بالذكر أن مؤلفنا كان يحمل مسدسه أينما ذهب وأنه فى حوار أجرى معه بعد نشر روايته التالية "الغداء العارى" أشار إلى مقتل زوجته قائلا: "حدث حادث مروع لزوجتى جوان فولمر. كنت أملك مسدسا فكرت فى بيعه إلى صديق لى. وأثناء فحصى لهذا المسدس انطلقت منه رصاصة فأردتها قتيلة. وسرت شائعة تقول إننى كنت أحاول تصويب مسدسى إلى كأس شمبانيا وضعته فوق رأسها. وهذا شىء مضحك وأبعد ما يكون عن الحقيقة".

اعتبر مؤلفنا هذا الحادث مجرد مصادفة ووافقت السلطات المكسيكية على ذلك. ويتضح لنا من ردود فعله أن هذا الحادث هزه من الأعماق؛ فقد أصبحت كتاباته تعتبر بلاد المكسيك موطنا للشرور بعد أن كان يمتدحها فى خطاباته التى يرسلها إلى صديقه كيرواك، ويعتبرها أفضل مكان يمكن لأمريكى محدود الدخل أن يعيش فيها. علما بأن مؤلفنا لم يشر فى روايته "جانكى" إلى زوجته جوان باسمها الحقيقى، فقد أطلق عليها اسم "جين".

وبعد سماح المحكمة له بمغادرة الأراضى المكسيكية ذهب مؤلفنا إلى ولاية فلوريدا ليعيش مع والديه بعض الوقت، ثم سافر إلى أمريكا الجنوبية معظم شهور عام ١٩٥٣. وبعدئذ تركها فى عام ١٩٥٤ للالتحاق بمستعمرة أهل الفن فى طنجة. ومن هناك أرسل الخطابات إلى أصدقائه يصف فيها ملاحظاته عن سكان طنجة، حيث أقام فى سكن أطلق

عليه اسم الماخور، فى حين أسماه البعض بيت دعارة الذكور. وكان صاحب بيت ممارسة دعارة الذكور رجلا هولنديا اسمه تونى. وفى خطاب أرسله مؤلفنا إلى صديقه جاك كيرواك نراه يقلد لكنة صاحب هذا البيت، وهو يشكو من انتشار الشائعات التى تربط بينه وبين الترويج للمخدرات. والجدير أن رواية بوروز التالية "الغداء العارى" تدل على شدة إتقان مؤلفنا لمحاكاة لهجة الناس، الأمر الذى يخفف من مرارة الفكاهة القاتمة السوداء التى تشيع فيها.

وعبر بوروز عن ضيقه وشعوره بالإحباط لأن زملاءه من أدباء المهجر الذين يعيشون فى طنجة أمثال بول باولز وترومان كابوت وتنيسى وليامز وجهوا إليه الانتقادات. ومن ناحية أخرى أسر مؤلفنا إلى صديقه كيرواك أنه سوف يحاول الإقلاع عن إدمان المخدرات وأن عشيقه العربى كيكى قدم إليه عونا عاطفيا فى هذا السبيل. وبعد أن قتل بوروز زوجته عبر عن شدة ارتباطه وحبه لزميله الأديب آلن جنسبرج بوجه خاص.

والجدير بالذكر أن وليم بوروز بعد تخرجه فى جامعة هارفارد الأمريكية التحق لفترة وجيزة بإحدى مدارس الطب فى أوربا، الأمر الذى جعله يسعى إلى وضع نظرية عامة عن عادة الإدمان. ولكنه قبل أن يتمكن من شرح نظريته لصديقه آلن جنسبرج تلقى نبأ مصرع عشيقه العربى كيكى على يد مغنى كوبى لواطى أصابته لوثة من الغيرة عندما شاهد عشيقه يصاحب إحدى الفتيات. فبادر هذا الكوبى بطعن كيكى فى قلبه بسكين مطبخ ثم هاجم الفتاة. وفر هذا الكوبى من مكان الجريمة ولكن البوليس تمكن من القبض عليه. وحزن بوروز لمقتل عشيقه العربى، وعبر عن ندمه على ممارساته الجنسية الشاذة. وتمثل هذه الحادثة مظاهر العنف والموت التى نراها فى كتاباته. ولكنه سعى ما وسعه السعى إلى السيطرة على مشاعره التى اهتاجت لمقتل عشيقه العربى. وفى فترة انشغاله بكتابة "الغداء العارى" اضطربت حياته اضطرابا شديدا، الأمر الذى انعكس بوضوح على الخطابات التى كان يرسلها إلى كل من أصدقائه آلن جنسبرج وبول باولز وجاك كيرواك. وهى خطابات تضمنت جوانب مثيرة فى حياة مؤلفنا. ففى الفترة التى لقى فيها العربى كيكى مصرعه كان العشيق السابق لأحد أصدقائه (واسمه آلان أنسن) قد قدم إلى فرنسا حيث قام بقتل سائق تاكسى ثم انتحر عندما جاءت الشرطة للقبض عليه. وكان هذا الصديق يسكن مع مؤلفنا فى نفس الحجرة فى فترة إقامته فى طنجة. علما بأن آلان أنسن هو صديق مؤلفنا الذى ساعده على ترتيب وتنظيم روايته "الغداء العارى".

ولم يكتف بوروز بمحاولة فهم الأسباب التى دفعته إلى إدمان المخدرات بل سعى جاهدا إلى فهم أسباب نزوعه إلى المثلية. وقد أرسل خطابا إلى آلن جنسبرج يقول فيه إنه أوشك على إيجاد حل لمشكلته التى وصفها بالعلة أو المرض. وصار بوروز شديد الوعى بمشكلة مثليته فى فترة زيارته للندن عقب حلم طاف به فى المنام. وهكذا بدأ يشعر بالندم على مثليته بعد ممارسته للشذوذ الجنسى لمدة خمسة وعشرين عاما. وأصبح مؤلفنا نهبا مقسما بين ممارسته للشذوذ الجنسى والندم على ممارسته له، الأمر الذى حطم تكامل شخصيته وحولها إلى مجموعة من الشذرات المفككة والمتناثرة. ونحن نرى فى الحلم الذى طاف به صراعًا محتدما بين نزوعه إلى المثلية، وميله إلى ممارسة الجنس على نحو سوى وطبيعى. كما أننا نلاحظ فى أعمال بوروز على الدوام شخصيات لا تكف عن محاولة التغلب عما تعانيه من انفصام فى الشخصية. ولا غرو فهناك حرب ضروس تشب بين عناصر شخصيته المتناقضة والمتضاربة.

والجدير بالذكر أن وليم بوروز توفر على دراسة العلاقة بين إدمان المورفين وانفصام الشخصية على المستوى الإكلينيكى. ولفت نظره أن نسبة تعرض مدمنى الهيروين والمصابين بانفصام الشخصية لمرضى السرطان ضئيلة. ويعتبر الصراع المحتدم فى دخيلة مؤلفنا بين الجانبين السوى وغير السوى فى ممارساته الجنسية محاولة من جانبه للتخلص من عقدة الذنب الغائرة فى نفسه بسبب ممارسته للشذوذ الجنسى.

استغرق بوروز استغراقا محموما فى تأليف روايته "الغداء العارى" يضارع استغراقه فى إدمان الهيروين. ونحن نلاحظ فى هذه الرواية كثرة انتقال وترحال الشخصيات بين الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وطنجة فى المغرب والبلاد الاسكندنافية. وكما وصف المؤلف لنا نفسه بأنه يجمع بين الشخصيات العديدة نجد أن شخصية "الغداء العارى" الرئيسة متعددة الأسماء، فهى تعرف أحيانا باسم بينواى، وأحيانا أخرى باسم كارل وأحيانا ثالثة باسم لى. وهى جميعا تمثل جوانب متعددة لشخصية واحدة.

وفى خريف عام ١٩٥٧ صرح بوروز بأن روايته تعتبر مسلسلا حول الخطيئة وضياع البراءة؛ ولكنها لا تخلو من السعى إلى الخلاص من الخطيئة عن طريق فهم حركة الحياة. وهكذا يبدو أن موضوع روايته يقترب من المعالجة العلمية حيث إن الرواية تبرز قدرة العلم على تحقيق خلاص الإنسان وتطهيره من الذنوب. وهى نظرة نفسية تقترب من علم النفس الفرويدى المؤمن بقدرة العلم على شفاء النفس. ولا عجب، فقد كان خلاص النفس الشغل الشاغل لمؤلفنا. يقول بوروز فى هذا الشأن: "إن الطريقة الوحيدة التى أستطيع بها كتابة

الروايات هى أن أنسلخ عن جسدى وأبقى داخله فى الوقت نفسه. وقد يكون هذا منهكا بل خطرا فى بعض الأحيان. ولا يمكن للمرء التأكد من حصوله على الخلاص". ومعنى هذا أن بوروز عندما يقدم على الكتابة يمر بحالة انفصام شخصية تمكنه من تأليف رواياته. وهى حالة تمثل أخطارا نفسية بطبيعة الحال، ومن الجائز أنها تضر بصاحبها الذى أكد أن هذه الحالة لا تؤدى بالضرورة إلى تطهير النفس وخلاصها. فضلا عما تحتويه الرواية من أجزاء بذيئة تثير ضدها ردود فعل اجتماعية مناهضة كما أنها تدفع الرقيب إلى اتخاذ الإجراءات ضدها.

وإلى جانب عدم ضمان المؤلف الحصول على خلاصه عن طريق انكبابه المحموم على الكتابة فقد كان لهذا الانكباب المحموم مخاطره العاطفية. وتملك بوروز نوع من جنون عقدة الاضطهاد تمثلت فى خوفه وانزعاجه من أن الطائرة التى تحمل المراسلات التى يبعث بها من المغرب إلى مدريد قد تسقط فتضيع بذلك أجزاء الرواية التى انتهى من كتابتها. وبلغ به الانزعاج والقلق على ضياع أوراقه مبلغا جعله يكتب إلى صديقه جنسبرج أن يطمئنه على سلامة وصول مخطوطاته بمجرد تسلمها.

وعندما تلقى جنسبرج مخطوطة "الغداء العارى" من مؤلفها فكر فى عرضها على دار نشر أولمبيا فى باريس التى يملكها جيروديأس. حدث هذا فى الفترة الواقعة من ١٠ حتى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٧. ولكن هذا الناشر فى البداية أعرض عن نشرها؛ بحجة أن القارئ العادى لن يستسيغها. غير أن بوروز لم يأبه بهذا الرفض معتبرا أن سبب الرفض يرجع إلى شكل الرواية ولا يرجع إلى مضمونها. ورفع من روح مؤلفنا المعنوية أن مجلة "بلاك ماونتن ريفيو" قامت بنشر جزء من الرواية على صفحاتها. فضلا عن أن ناشرى مجلة شيكاغو ريفيو أظهروا اهتماما بكتابة جيل البيتس، الأمر الذى أحيا الأمل فى صدر مؤلفنا فقرر أن يرسل إليهم جزءا من روايته "الغداء العارى".

وفى تلك الفترة أسر بوروز إلى صديقه جنسبرج بأنه واجه نفسه الممزقة؛ بسبب إصابته بالشذوذ الجنسى. ولم تكن هذه المواجهة سهلة أو هينة حيث إن الرعب ركبه وخشى على قلبه من التوقف من جراء تعرية نفسه أمام الملأ. وفى وصف حالته المرضية أفاد أنه كان يعانى ألمًا ممضا نتيجة إصابته بمرض عرق النساء فى منطقة الردفين بوجه خاص وفى جميع أجزاء جسمه بوجه عام. ثم أضاف أنه ضاق ذرعا بشذوذه الجنسى، وأنه صار يرغب فى مضاجعة النساء لأنه مل مضاجعة الذكور. فضلا عن شعوره أنه لم يخلق كى يكون أحد شواذ الجنس فى المقام الأول.

وكذلك عبر مؤلفنا عن ضيقه بالعيش فى طنجة التى تعج بشواذ الجنس، كما عبر عن اشمئزازه من زميل له يدعى بارنى بليس الذى درج على مضاجعة الأطفال العرب الذين لا يتجاوزون سن الثامنة. وبرر هذا الرجل ممارساته الشاذة للجنس مع الأطفال فى مثل هذا العمر المبكر بشعوره بالعجز الجنسى مع الغلمان الأكبر منهم سنا. عبر بوروز عن سخطه الشديد على ممارسة اللواط مع أطفال فى مثل هذه السن الباكرة واصفا إياها بأنها قطعة من الجحيم. وقد جاء حكمه المستنكر لمسلك بليس الجنسى الشاذ مواكبا للتغيرات التى طرأت عليه فيما يتعلق بموقفه من مغزى روايته "الغداء العارى" فقد كان يعتبرها فيما قبل مسلسلا للبراءة الضائعة، فى حين أنه الآن أصبح يعتبرها قطعة من الجحيم الحديث.

فلا عجب إذا رأيناه يتحدث عن شذوذه الجنسى إلى صديقه جنسبرج معبرا له عن اشمئزازه من تصرفات بارنى بليس اللواطية، علما بأن بوروز أراد لأحداث روايته "الغداء العارى" أن تدور حول فكرة الخلاص، وتنطوى على ندمه على مسلكه الجنسى الشاذ.

وفى ٤ ديسمبر ١٩٥٧ ذكر بوروز لكيرواك أن مخطوطة "الغداء العارى" لم تكتمل، وأنه أحيانا واصل العمل فيها عشر ساعات فى اليوم الواحد. ويجدر بالذكر أن مؤلفنا لم يشر فيها إلى مدينة طنجة بالمغرب باسمها الحقيقى ولكنه أطلق عليها اسم إنترزون.

أرسل مؤلفنا جزءين من هذه الرواية إلى صديقه آلن جنسبرج، طالبا منه تسليمهما إلى بول كارول محرر مجلة شيكاغو ريفيو. واستغرقت كتابة رواية "الغداء العارى" على الآلة الكاتبة كل وقته فلم يبارحها إلا لمدة عشر دقائق.

وفى يوم ٨ ديسمبر ١٩٥٧ وصل آلن أنسن إلى طنجة حيث عاش تحت سقف واحد مع بوروز الذى كان قد انتهى من كتابة مائة صفحة من روايته. وأخيرا تلقى بوروز نسخة من بعض أجزاء هذه الرواية نشرتها مجلة بلاك ماونتن ريفيو فى فبراير ١٩٥٨. وقد اعترف لصديقه جنسبرج آنذاك أنه لا يزال يدمن المخدرات.

ثم قرر مؤلفنا السفر إلى باريس حيث أقام فى الحجرة نفسها التى كان آلن جنسبرج يسكنها وعنوانها ٩ شارع جيت لى كوبر. والجدير بالذكر أن جيل الأدباء الأمريكان المعروف باسم جيل البيتس اتخذ من هذا الفندق مقرا له لدرجة أن الكتاب أطلقوا عليه اسم "فندق البيتس".

وفى باكورة عام ١٩٥٨ حدثت مشادة بين أم جاك كيرواك وجنسبرج حين وقع فى يدها أحد الخطابات الذى بعث به إلى ابنها، الأمر الذى أثار ثائرتها، وجعلها فى غضبها

تكتب إلى كل من بوروز وجنسبرج خطابات مهينة، وتطلب منهما التوقف عن رؤية ابنها جاك بسبب انحلالهما الجنسى وإدمانهما للمخدرات. وقد اقتطف بوروز لصديقه جنسبرج جزءا من الخطاب الذى أرسلته إليه أم جاك كيروك وهى العبارة التى تقول فيها الأم: "إنكم لا تستحقون أن أتحدث إليكم كبشر... أنتم وكتبكم الوسخة وعقولكم ومخدراتكم القذرة".

منعت أم جاك كيروك ابنها من رؤية جنسبرج لأنه يهودى، الأمر الذى ضايق بوروز كثيرا نظرا لإيمانه بالقيم الإنسانية المتحررة، وعارض جاك كيروك أمه، واتخذ منها موقفا عدائيا، وتحداها بقوله إنه يسعى إلى توثيق العلاقة التى تربطه بكل من بوروز وجنسبرج.

وفى محاولة بوروز الإقلاع عن تعاطى المخدرات تأهب للسفر إلى لندن ليجرب تناول عقار الأبومورفين الذى استحدثه الدكتور يوربرى دنت، وهو عقار يسبب القئ الشديد، ويعالج مدمنى الهيروين والكحوليات. علما بأن مؤلفنا سبق أن تلقى علاجا على يد هذا الطبيب، ولكنه أصيب بانتكاسة، فأصبح لزاما عليه أن يأخذ علاجا إضافيا. لقد كان مؤلفنا مستعدا على الدوام لاستكمال علاجه على يد الطبيب دنت ولكن كثرة نزول أصدقاء جنسبرج فى الفندق الباريسى نفسه جعله يتقاعس عن السفر إلى لندن لاستكمال علاجه من الإدمان.

وقبل أن يغادر بوروز باريس تلقى خطابا مفاده أن مجلة شيكاغو ريفيو وافقت على نشر بعض أجزاء رواية "الغداء العارى"، الأمر الذى جعله يعبر عن سعادته لبول باولز المحرر فى هذه المجلة.

وبحلول شهر الإجازات أغسطس ١٩٥٨ عاد بوروز إلى طنجة؛ حيث إن الأمور أخذت فى التغير وأن البوليس هناك بدأ يطارد شواذ الجنس لاستئصال شأفتهم فأحس بالاختناق فى هذا الجو الجديد، فقد أخذ البوليس فى طنجة يضرب الأولاد العرب ليعرف منهم أسماء شواذ الجنس ويزج بهم فى السجون. ورغم أن مؤلفنا لم يمكث فى طنجة هذه المرة غير أسبوعين، فإنه استطاع استثمارها فى كتابة روايته. وليس أدل على عدم ارتياحه إلى جو طنجة الجديد من أنه نصح صديقه باولز ألا يعود إلى طنجة إذا كان هذا فى استطاعته.

وعند عودته من طنجة إلى باريس اكتشف مؤلفنا أن الرسام بريون جيست يسكن فى البيت المجاور له.

وبعدئذ سافر بوروز إلى لندن للعلاج من إدمان المخدرات على يد الدكتور دنت. ولكنه كان فى هذه المرة يشارك السكن مع صديقه جاك ستيرن الذى تخرج فى جامعة هارفارد وهى نفس الجامعة التى تخرج فيها مؤلفنا. وأثلج صدره أن تقوم مجلة شيكاغو ريفيو بنشر جزء آخر من روايته دون صرف مكافأة مالية تذكر له. الأمر الذى جعل فرحته تخبو. وبعد أن أكمل مؤلفنا مخطوطة رواية "الغداء العارى" راودت باولز فكرة قيام دار نشر الاتجاهات الجديدة بنشرها فقد توسم فى هذه الدار الجرأة والجسارة على نشر الأعمال الجريئة مثل رواية "الغداء العارى".

وفى كريسماس (عيد ميلاد) عام ١٩٥٨ أمضى بوروز أسابيع قليلة فى لندن حيث تلقى علاج الأبومورفين الذى استحدثه الدكتور دنت. وبالفعل استطاع التخلص من إدمانه الهيروين. وأبلغته مجلة الشيكاغو ريفيو بنيتها فى نشر عدد أكبر من أجزاء رواية "الغداء العارى"، وأرسل بوروز إلى باولز خطابا عبر فيه عن رغبته فى مقابلته فى إنجلترا. ولاحظ بعض معارفه التغيرات التى طرأت عليه نتيجة إقلاعه عن تعاطى المخدرات. ولكن فرحته سرعان ما تلاشت عندما قرر مجلس الأوصياء بجامعة شيكاغو فرض الحظر على عدد هذه المجلة المزمع إصداره فى شتاء عام ١٩٥٩. والجدير بالذكر أن مجلس أوصياء الجامعة كان قد أصدر قرارا بحظر المجلة فى أوائل شهر نوفمبر ١٩٥٨. ولكن بوروز لم يعلم بهذا الحظر إلا فى يناير ١٩٥٩.

ومن المعروف أن الإقلاع عن تعاطى المخدرات يصيب المدمن بالكآبة؛ ومن ثم فإن مؤلفنا لابد أن كابدها وخاصة عندما بلغه نبأ مصادرة العدد المشار إليه آنفا من مجلة شيكاغو ريفيو. ويجدر بالذكر أنه كان يشعر أن الكاتب إرفنج روزنتال هو المحرر الوحيد الذى يفهم عمله ويقدر قيمته. ونحن نراه يعبر عن حزنه وخيبة أمله لصديقه بول باولز حيث كتب إليه يقول:

"لقد خذلتنى مجلة الشيكاغو ريفيو وسحبت البساط من تحت قدمى. وكذلك أعلنت مجلة الناشن (الأمة) أنى لواطى عالمى وشيطان جنسى رجيم من قمة رأسى حتى أخمص قدمى". ثم أضاف إلى ذلك قوله "يبدو أن الرواية التى ألفتها بعنوان (الغداء العارى) لفظت أنفاسها. وأنا فى الوقت الراهن ليس لدى أي فكرة إذا كنت سأنجح فى نشر روايتى فى صورتها الكاملة أم لا. فأنا أواجه المشكلات والتعقيدات وأرى مخطوطة روايتى وقد تناثرت فى جميع أنحاء أوروبا".

وفى أوائل يناير ١٩٥٩ استعدت مجلة "المائدة الكبيرة" لنشر أجزاء من رواية "الغداء العارى" التى صادرتها جامعة شيكاغو التى لم يكن باستطاعة أى ناشر فى إنجلترا أو أمريكا الإقدام على نشرها خوفا من الرقابة. ولهذا بدا احتمال نشر هذه الرواية كاملة دون حذف سرابًا. ولكن آلن جنسبرج وجريجورى كورسو لعبا دورا فى إقناع بعض دور النشر بنشر الرواية بعد استبعاد البذاءات منها، الأمر الذى اضطر مؤلفنا إلى حذف بعض فقراتها. وفيما بعد عاد بوروز فى الربيع لزيارة طنجة. ولكنه تورط فى الطريق إليها فى فضيحة اتجار بالأفيون. فقد ألقى البوليس فى طنجة القبض على قبطان يخت دعى ستيفنسن تعطل به اليخت الذى يقوده فى مضيق جبل طارق أثناء محاولته بيع نصف كيلو من الأفيون كان قد حصل عليه من تاجر مخدرات اسمه بلاك جو العجوز. وعند استجواب الشرطة له ورد اسم بول لويد وهو أحد أصدقاء بوروز فى التحقيقات. وهو رجل عصابات بريطانى استوحاه بوروز فى رسم بعض شخصيات "الغداء العارى". ويبدو أن هذا الرجل راودته فكرة بيع كمية من مخدر المارجوانا فى باريس فطلب من لوند أن يرسل إليه فى المغرب كمية منه. ولكن يبدو أن هذا الرجل ما لبث أن نبذ مشروع اتجاره بالمخدرات قبل وصولها إليه. إلا أن البوليس عثر على خطابه المرسل إلى بوند فى حوزة ستيفنسن قبطان اليخت عند القبض عليه فى طنجة. واستنتج البوليس أن بوروز هو الوسيط فى إتمام صفقة الأفيون.

وشعر مؤلفنا بالخطر المحيق به، وأنه على رأس المشتبه فيهم لدى مصلحة الجمارك الفرنسية. وبحلول يوم ٢١ إبريل ١٩٥٩ فى طنجة بات بوروز يخشى مداهمة البوليس لمسكنه وإلقاء القبض عليه ووضعه فى الحجز. والجدير بالذكر أن البوليس المراكشى لم يلق القبض على بوروز أثناء وجوده فى طنجة. ومن المفارقة أن نعلم أن مؤلفنا قابل بول لوند، وأمضى معه بعض الوقت أثناء قيام البوليس بتفتيش شقة لوند. ومن مكانه الآمن فى باريس أرسل بوروز إلى صديقه جنسبرج خطابا تحدث فيه عن تحريات البوليس. قال "كانت معجزة عندما لم يطلب منى البوليس جواز سفرى للتأكد من سلامته. ناهيك عن أنى آنذاك كنت أحتفظ فى جيبى بخمسة جرامات من الأفيون".

ولو أن البوليس اكتشف وجود بوروز مع لوند فى الشقة الكائنة بباريس لكان وجوده هناك وبحوزته الأفيون دليلا قويا من شأنه إثارة الشكوك القوية حول مؤلفنا... ذلك الأمريكى الذى يلبس نظارات. وحقيقة الأمر أن بوروز كان محظوظا للغاية، غير أنه لم ينج تماما من المشاكل فقد ظل البوليس يتحرى عنه لمعرفة مدى تورطه. وتشبه حادثة لوند/ ستيفنز بعض الأحداث الواردة فى رواية "الغداء العارى" التى سبق أن سطرها منذ ما يقرب من خمسة أعوام.

كانت نسخة من مجلة "المائدة الكبيرة" الصادرة فى الولايات المتحدة قد وصلت إلى يدى بوروز عند عودته من طنجة إلى باريس. وكان لاستلامه هذه النسخة أعظم الأثر فى نفسه لأنه لم يكن يدرى شيئا عن إجراءات الحظر التى فرضها مكتب البريد على المجلة، فضلا عن عدم علمه بتحديد جلسة استماع لمعرفة إذا كانت هذه المجلة بذيئة أم لا. ولم يدر بوروز أن الرقابة المفروضة على مجلة شيكاغو ريفيو امتدت لتشمل مجلة "المائدة الكبيرة". وبدأ بوروز يعد العدة للسفر إلى مدينة نيويورك لمقابلة روسيت مسئول النشر فى دار جروف للنشر لمعرفة مدى استعداده لنشر رواية "الغداء العارى". وقد رتب آلن جنسبرج لقاء مؤلفنا بروسيت. وأيضا أخبر بوروز صديقه جنسبرج أنه يريد من إرفنج روزنتال الاشتراك معه فى إعداد مخطوطة الرواية للطبع. وكذلك تعهد مؤلفنا لروسيت بتقديم نسخة من الرواية صالحة للنشر. ولكن عندما علم بوروز فى أواخر مايو ١٩٥٩ أن مصلحة البريد فرضت الحظر على مجلة المائدة الكبيرة قام بتغيير خططه الخاصة بنشر روايته تغييرا كبيرا. وبحلول يوم ١٨ مايو ١٩٥٩ زاد اقتناعه بأنه لم يعد ممكنا لأى ناشر أن ينشر "الغداء العارى" دون إدخال عدد من التعديلات عليها. وبطبيعة الحال لم يفت على الناشر الباريسى –الذى تابع الضجة الكبيرة التى أثيرت حول رواية بوروز– أن يغتنم هذه الفرصة السانحة وخاصة لأن الحظر الذى فرضته كل من مصلحة البريد الأمريكية وجامعة شيكاغو على الرواية أثار حب استطلاع الناس، وزاد من لهفة القراء على مطالعتها؛ الأمر الذى أسال لعاب الناشر الفرنسى جيروديأس وجعله يتراجع عن رفضه نشر هذه الرواية التى كان مؤلفها قد أرسل إليه نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة منذ ما يقرب من عامين. ويقال إن هذا الناشر الفرنسى كلف سينكلير ياينس بزيارة بوروز فى شقته الكائنة بالعقار رقم ٩ شارع جى دى لاكويه. وشرح مؤلفنا لصديقه بول باولز الظروف التى باع فيها روايته إلى الناشر جورديأس.

"قمت ببيع رواية (الغداء العارى) إلى دار نشر أولمبيا. وقام جورديأس صاحبها بقراءة المخطوطة فى يوم ما، وعرض على توقيع عقد النشر فى الصباح التالى. إن شروط هذا العقد ليست سيئة. وقد قمت فى الشهر الماضى بتحرير مخطوطة الرواية بأكملها وتصحيح كل بروفاتها. واليوم تقوم آلات الطباعة بطباعتها. وبقدر ما أرى فإنى أعتبر أن الصفقة جيدة".

اجتاحت بوروز فرحة عارمة لأن المستحيل تحقق، فالكتاب الذى كاد يفقد الأمل فى نشره قد رأى طريقه إلى النور سريعا وفى زمن قياسى. وسطر مؤلفنا إلى صديقه آلن

جنسبرج ليخبره بهذا النبأ السعيد، مضيفا بعض التفاصيل القليلة عن احتمال صدور طبعة أمريكية من روايته "الغداء العارى"، يقول بوروز فى هذا الصدد:

"إنى على يقين من أن الشروط التى قدمتها دار أولمبيا للنشر كانت الأفضل على الإطلاق. ولا غرو فقد رأيت جاك كيرواك يلف على الناشرين الأمريكان نحو خمسة أعوام ليعرض عليهم نشر روايتى... وليس هناك كتاب يتم نشره قبل مرور عام من قبوله للنشر. هناك بطبيعة الحال جزءان بذيئان فى روايتى هما "ضجيج غرفة حسن" و"الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج" هذان الجزآن يشكلان جانبا مهمًا للغاية من بناء الرواية. وقد أمهلتنى دار أولمبيا للنشر عشرة أيام على وجه التحديد لإعداد مخطوطتى للطباعة. هذا الضغط علىَّ مكننى من ربط أجزاء الرواية بإحكام، كما مكننى من استمرارية تماسكها العضوى. وهو تماسك كانت الرواية تفتقر إليه من قبل. إن الكتاب سوف يصدر هذا الأسبوع... لم أعد أرتكب الأخطاء الآن. والفرصة التى سنحت لى فريدة، وأعتقد أن بيع روايتى إلى ناشر أمريكى سوف يصبح الآن سهلا أمامى. فكل ما يتعين على فعله لنشرها هو استبعاد فصلين منها... باختصار يمكننى فى غضون خمس دقائق إعداد نسخة من الرواية تصلح للأسواق الأمريكية والإنجليزية. وقد رأيت أن إعداد نسخة نظيفة هو أفضل سبيل إلى نشر روايتى خارج فرنسا".

ويبرر مؤلفنا قراره بنشر الكتاب فى فرنسا بأن جورديا‌س سوف ينشر الرواية بحذافيرها وهو شىء لا يجرؤ عليه غيره. وليس هناك من يجسر على ذلك سواه. ولكن يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن نشر رواية بوروز بحذافيرها كانت له عواقبه وتعقيداته. فقد وضع هذا بعض أصدقائه الساعين إلى البحث عن ناشرين لها فى موقف محرج؛ الأمر الذى جعله يعتذر لجنسبرج بقوله:

"يعلم الله أنى أقدر الجهود التى بذلتها أنت وإرفنج روزنتال (من أجل نشر روايتى). وإنى مسئول عن التسبب فى خلق هذا الموقف الحرج الذى أجد نفسى فيه حاليا. فقد تلقيت برقيات وخطابات من ناشرين لم أسمع عنهم. ناهيك عن الشكاوى المريرة من أن روزنتال وعدهم بإعطائهم الرواية لينشروها فى حين أن الناشر جيرودياس هو الذى فاز بالغنيمة، وهم الأحق بها منه. وإنى أتحمل المسئولية كاملة عن هذا الوضع. وأعتقد أنه يمكن للناشر جيرودياس إبرام اتفاق مع بارنى روسيت بشأن إصدار طبعة أمريكية للرواية".

ومن ناحيته استطاع جيرودياس إقناع مؤلفنا بأنه يمكنه بالمناورة والتحايل تخفيف الضرائب التى يدفعها بوروز من ٩٠% إلى ١٠% عن طريق تحويل مستحقاته المالية إلى

مكتب دار النشر الفرعى فى سويسرا، وترك مؤلفنا لجيروديـاس أمر التفاوض وإبرام عقد بارنى روسيت (ممثل دار بريس جروف للنشر) لإصدار طبعة أمريكية من "الغداء العارى" ولكن العقد الذى أبرمه جيروديـاس مع دار نشر جروف احتوى على شرط تعسفى، يتمثل فى حصول دار أولمبيا الباريسية للنشر على ثلث حصيلة مبيعات الطبعة باللغة الإنجليزية. وكان هذا الشرط المجحف بحقوق الناشر الأمريكى فريدا من نوعه واستغلالا واضحا لسذاجة مؤلفنا الذى رأى استحالة قيام ناشر آخر غير جيروديـاس بنشر الأصل الكامل للرواية دون حذف. وعلى أي حال يتعين علينا أن نذكر أن بوروز كان يمر بضائقة مالية، وأشد ما يكون احتياجا للمال. ولكن التفريط فى حقوقه لصالح ناشره الفرنسى كبده فى نهاية الأمر خسائر مالية كبيرة، لا يعوضها سوى سرعة إنجاز هذا الناشر نشر الرواية.

وأثناء وجود بوروز فى باريس لوضع اللمسات الأخيرة لروايته استدعاه البوليس الفرنسى الذى أصدر أمرا بالقبض عليه. ولكن القبض عليه تأخر كثيرا. ومكث مؤلفنا اثنتى عشرة ساعة فى السجن، كما أمضى يوما تحت رحمة ما أسماه بالبيروقراطية الفرنسية التى شبهها بكوابيس كافكا. وقام البوليس الفرنسى بتفتيشه بحثا عن مخدر المورجوانا المفترض وجوده فى حوزته، وليس عن مخدر الأفيون الذى كان بالفعل يحتفظ به. ويرجع السبب فى القبض عليه إلى ورود اسمه فى قضية الإتجار بالمخدرات فى طنجة التى تورط فيها كل من بول لوند والقبطان ستيفنسن. وهى قضية كانت لا تزال عالقة. وعلى أي حال حضر البوليس الفرنسى فى الثامنة صباحا ليطرق بابه ويلقى القبض عليه بسبب ورود اسمه فى التحقيقات التى أجراها البوليس المراكشى فى طنجة. ويرجع السبب فى القبض على بوروز فى باريس وتوقيع غرامة مالية عليه إلى حيازته للمخدرات. علما بأنه لم ينقذه من السجن فى طنجة بالمغرب سوى إهمال المسئولين هناك.

وبعد القبض عليه فى باريس بوقت قصير تلقى برقية من الإنتربول بشأن القضية التى تورط فيها كل من لوند وستيفنسن. وفى يأسه كتب بوروز إلى جنسبرج معبرا عن تشاؤمه ولام نفسه لارتباطه بشخص سيئ السمعة مثل لوند، وأرسل إلى صديقه جنسبرج خطابا جاء فيه أنه بصدد كتابة مبحث عن رواية "الغداء العارى" بهدف تبرئة نفسه. وأضاف إن روايته تهدف إلى الكشف عما أسماه فيروس إدمان المخدرات، وكيف أن هذا الفيروس يفتك بضحيته. إلى جانب كيفية التمكن من السيطرة عليه. ثم أضاف أن الفصلين البذيئين اللذين تتضمنها الرواية عبارة عن نبذة تعارض الحكم بالإعدام على المنوال نفسه الذى انتهجه سويفت فى كتابه "اقتراح متواضع". ثم أضاف بوروز أنه لو نجح فى جعل جيل البيتس يقلع عن إدمان المخدرات فسوف يكون هذا بشيرا بالخير. وليس هناك شك فى أن بوروز كان

يحاول بذلك مهادنة الرقيب واسترضاء القاضى المنوط به النظر فى قضية حيازة المخدرات فى طنجة التى تورط فيها بول لوند والقبطان ستيفنسن.

ويرجع سبب نشر بوروز لمبحثه المعارض للهيروين جزئيا إلى خشيته من الزج به فى سجون طنجة؛ بسبب الشك فى ضلوعه فى عملية دولية لتهريب المخدرات. وقد نشر مؤلفنا هذا المبحث فى مجلة تحمل عنوان "إفرجرين ريفيو". علما بأنه ألحق هذا المبحث بالطبعة الأمريكية لرواية "الغداء العارى". وفى حالتى النشر المشار إليهما حمل المبحث نفس العنوان التالى: "مبحث الإدلاء بشهادة بخصوص مرض".

كان بوروز آنذاك يرزح تحت وطأة الاتهامات الموجهة إلى المشتبه فى تورطهم فى قضية الاتجار بالمخدرات فى طنجة، الأمر الذى هدد بتلطيخ سمعته وخاصة لأن اسمه أخذ يسطع فى سماء الأدب مع بداية صيف ١٩٥٩.

وبناء على اقتراح جيسين اعترف بوروز أمام القاضى الذى ينظر قضية لوند وستيفنسن بأنه كتب بالفعل الخطاب الموجه إلى لوند والذى عثر عليه البوليس فى حوزة ستيفن حين جاء للقبض عليه. وقال القاضى المتعاطف مع بوروز إنه لا يريد التركيز على مسألة صلة بوروز بالرجلين الآخرين؛ تجنبا لإحراجه وتلطيخ اسمه. ولكنه لا يريد فى الوقت نفسه أن يظهر بمظهر المتقاعس أو الغافل عن مهام وظيفته. وأصر مؤلفنا أمام القاضى بأنه ليست له أي علاقة بالاتجار بالمخدرات، كما أنه لا ينوى الاتجار بها. وأضاف بوروز أنه يشغل وقته فى التأليف والكتابة وليس لديه أى وقت يضيعه مع السفهاء والأشرار. وأمر القاضى بالإفراج عنه بعد تغريمه والحكم عليه فى قضية مخدرات طنجة بالحبس مع إيقاف التنفيذ. وخيره القاضى بين دفع غرامة قدرها خمسمائة دولار، والزج به فى السجن فاختار أهون الضررين وهو دفع الغرامة.

وبانتهاء قضية طنجة عاد بوروز إلى التأليف والكتابة. وكان قد اكتشف لتوه تكنيكا جديدا فى الكتابة يعرف بتمزيق الصفحة المكتوبة بخط يده أو المنسوخة على الآلة الكاتبة إلى أربع قطع. ثم يقوم بإعادة ترتيبها وقراءتها من جديد. وفى العادة تؤدى إعادة ترتيب القطع الأربع الممزقة إلى لغو وكلام أجوف يخلو من أى معنى. ولكن بوروز استطاع أن ينتقى من القطع الأربع الممزقة أكثر العبارات إثارة للخيال ثم يقوم بضمها إلى بعضها البعض فى سياق واحد جديد. غير أن بوروز فى إحدى مقالاته نبذ الدعوة إلى استخدام هذا التكنيك الغريب فى التأليف الذى استحدثه هوبارد، والجدير بالذكر أن برنون جيسين حثه

على نبذه. صحيح أن التوفيق كان إلى حد ما حليف مؤلفنا فى اتباع هذه الطريقة، ولكن الآخرين فشلوا فشلا ذريعا فى تطبيقها.

وبعد قيام دار نشر أولمبيا بنشر "الغداء العارى" بدأ اسم مؤلفها بوروز يشيع وينتشر. وفى أوائل أكتوبر ١٩٥٩ أقام المحرران ستيل ولوميس بزيارة بوروز فى محل إقامته فى باريس، وأجريا معه حوارا نشراه فى مجلة لايف الأمريكية. غير أن بول أونيل نشر فى أواخر نوفمبر ١٩٥٩ مقالا مناهضا له، وفيه شن هجوما على كل الجيل الذى ينتمى إليه بوروز والمعروف فى تاريخ الأدب الأمريكى الحديث باسم جيل البيتس.

وقد شنت مجلة لايف هجوما بالغا على حركة البيتس، ورد فيه ما يلى: "إن معظم كتاب جيل البيتس هواة وكسالى لا يخضعون لأى نظام، ويخدعون أنفسهم عندما يظنون أن هراءهم وسخافاتهم ترقى إلى مستوى الفن، لأنهم نبذوا الشكل والأسلوب والمواقف التى اعتبرتها الأجيال السابقة ورأوا فى البذاءة تعبيرا عن الشخصية المتكاملة".

وفى خريف عام ١٩٥٩ حضر بارنى روسيت الذى يمثل دار جروف للنشر معرض الكتاب المقام فى فرانكفورت. يقول بوروز إن روسيت حضر المعرض كى يتفاوض مع موريس جيروديلس حول تفاصيل عقد خاص بإصدار طبعة أمريكية من رواية "الغداء العارى"، وكانت دار نشر جروف بريس لا تزال متخوفة من نشر نسخة هذه الرواية الأصلية، الأمر الذى حدا بها أثناء تفاوضها مع جيروديلس صاحب دار أولمبيا الباريسية للنشر إلى انتزاع اعتراف منه بحقها فى استبعاد الصفحات البذيئة من الكتاب. وقد نجم عن ذلك تلكؤ جيروديلس فى إبرام عقد الاتفاق مع دار جروف بريس للنشر.

وفى شتاء ١٩٥٩ تقدم ناشر ألمانى بطلب لإصدار نسخة باللغة الألمانية من رواية "الغداء العارى" وهكذا عرف بوروز الطريق إلى النجومية وهو فى الخامسة والأربعين من عمره.

وبقيام دار أولمبيا للنشر بنشر رواية "الغداء العارى" فى باريس بدأت آثار هذا النشر القانونية والأدبية تظهر فى الولايات المتحدة.

دار نشر جروف بريس
تقدم على نشر رواية "الغداء العارى"

انتهجت دار نشر جروف بريس نهجا غير تقليدى فى نشر الكتب. كما أنها درجت على نشر كتابات الطليعة الأدبية مثل رواية بوروز "الغداء العارى". وقد كتب محامى مجلة "المائدة الكبيرة" جويل سبراى ريجن خطابا إلى محامى دار نشر جروف بريس شارلس ريمبار يخبره فيه بتفاصيل إجراءات الحظر التى اتخذتها مصلحة البريد الأمريكية ضد مجلة "المائدة المستديرة". والذى دفع المحامى سبراى ريجن إلى الكتابة إلى دار جروف للنشر علمه بعزم هذه الدار على نشر رواية بوروز، ورأى أن إبلاغها بظروف الحظر من شأنه أن يحفزها على نشر هذه الرواية.

وكما سبق أن رأينا انخرط بارنى روسيت ممثل دار جروف للنشر فى مفاوضات مع موريس جيروديأس الذى نشر "الغداء العارى" فى باريس دون حذف لأى من بذاءاتها لإبرام اتفاق معه لإصدار نسخة أمريكية من هذه الرواية. ففى ١١ نوفمبر ١٩٥٩ أرسل روسيت اقتراحا إلى جيروديأس الذى فوضه المؤلف لإبرام عقد لنشر روايته فى الولايات المتحدة. واقترح روسيت على جيروديأس صاحب دار أولمبيا الباريسية للنشر أن يدفع لها مقدما قدره ألفان وخمسمائة دولار كحقوق نشر بنسبة ١٠% من طبع الخمسة آلاف نسخة الأولى المغلفة بالجلد وكذلك إعطاؤه ١٢،٥% من سعر العشرة آلاف نسخة التالية، و١٥% فى حالة زيادة النسخ المطبوعة على ذلك. وفى المقابل طلب روسيت أن يكون له الحق فى إصدار نسخ رخيصة ذات أغلفة ورقية.

ولم يظهر روسيت أدنى قلق بشأن شروط التعاقد المالية ولكن الذى أثار قلقه هو الصدام القانونى الذى واجهته الرواية مع مصلحة البريد التى فرضت الحظر على بعض أجزاء الرواية المنشورة فى المجلات. ونظرا لشك روسيت فى أن مصلحة الجمارك الأمريكية لن تسكت على قيام دار أولمبيا الباريسية بنشر الرواية فإنه طلب من جيروديا‌س إغفال الإشارة فى العقد إلى شرط الضمان ضد الحظر. وهو ضمان يحمل المؤلف مسئولية خلو كتابه من أي مواد فاضحة أو بذيئة من شأنها تعريضه للمساءلة القانونية والآثار المترتبة على هذه المساءلة. ودرجت العادة أن يوقع المؤلف على موافقته على هذا الشرط الجزائى، وأن يقوم الناشر بدفع أي غرامات قد يوقعها القضاء على المؤلف من حصيلة مستحقاته عن حقوق النشر. فإذا كانت مستحقاته من حقوق النشر غير كافية يصبح المؤلف ملزما بسدادها.

وبالنظر إلى أن جروف للنشر كانت تعرف سلفا أن رواية "الغداء العارى" لن تمر بسلام، وأن أمرها سوف يحال إلى القضاء فقد حرص روسيت على استبعاد شرط الضمان من العقد حتى يغرى المؤلف بالموافقة على إعطاء دار جروف للنشر تصريحا بنشر روايته فى الولايات المتحدة.

ولم يفت جيروديا‌س أن يغتنم هذه الفرصة السانحة واستغلال تصاعد شهرة المؤلف بعد أن نشرت مجلة لايف الحوار الذى أجرته مع بوروز. وحتى يزيد من لهفة روسيت على نشر بوروز "الغداء العارى" أبلغه أنه باع حقوق النشر لبعض الناشرين الفرنسيين والألمان. وحتى يوافق على قيام دار نشر جروف بنشر هذه الرواية فى أمريكا طالبها بإبرام عقد مجز رافضا مقترحات روسيت بحقوق النشر التدريجية التى عرضها عليه. وطالب جيروديا‌س بالحصول على ١٧،٥% مقابل حقوق النشر كما طالب بمقدم قدره ثلاثة آلاف دولار. وبرر جيروديا‌س رغبته فى الحصول على مكاسب مالية كبيرة بأن ظهور طبعة أمريكية سوف يقضى على فرصة توزيعه للطبعة الإنجليزية للرواية المنشورة فى فرنسا.

ولم يقتصر الخلاف بين روسيت وجيروديا‌س على الجوانب المادية. فقد ثار خلاف آخر بينهما حول محتويات طبعة الرواية الأمريكية. فقد سأل جيروديا‌س روسيت إذا كانت دار جروف تنوى تنظيف الرواية باستبعاد فصليها البذيئين، وهما "غرفة حسن المليئة بالضجيج" و"الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج"، أم أنها ستحتفظ ببذاءتها. وبطبيعة الحال لم يستطع روسيت أن يكون محددا بخصوص هذه النقطة بسبب علمه باحتمال تعرض الرواية

للحظر. ورغم أن جيروديا‌س كان يدرك الأخطار المحدقة بالرواية فقد طلب من روسيت الإسراع بنشرها فى أمريكا، واقترح ربيع ١٩٦٠ موعدا للنشر وليس خريف هذا العام كما اقترح روسيت. وأخيرا أبلغ جيروديا‌س روسيت أن وكيلته السويسرية أوديت هوميل هى التى ستتولى إعداد عقد الاتفاق مع دار جروف للنشر.

وقام روسيت بتعديل بنود الاتفاق على نشر "الغداء العارى" بناء على المقترحات والمطالب التى تقدم بها جيروديا‌س. وبدا لروسيت أن جيروديا‌س نفسه هو العقبة التى تعترض نشر رواية بوروز فى أمريكا لأن دار أولمبيا للنشر كانت قد طبعت كمية من النسخ تقترب من ألفين وخمسمائة نسخة وتحتاج بعض الوقت لتوزيعها.

وعلى أي حال وافق روسيت على أن يدفع لجيروديا‌س مقدما قدره ثلاثة آلاف دولار و١٧،٥% كحقوق نشر على النسخ الزائدة عن ٢٥ ألفا. كما أنه أعطى لجيروديا‌س ١٠% نظير الخمسة عشر ألف نسخة الأولى و١٢،٥% مقابل مبيعات النسخ الرخيصة ذات الأغلفة الورقية. وكما أسلفنا لم يكن المال العقبة الحقيقية التى اصطدمت بها دار بريس جروف للنشر، بل تمثلت فى نشر الفصلين البذيئين "حجرة حسن المليئة بالضجيج". و"الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج" أو حذفهما. وأبلغ روسيت جيروديا‌س بأنه ينوى حذفهما، وطلب منه أن يمتنع فى دعايته عن ذكر أن النسخة الصادرة عن دار أولمبيا للنشر هى الوحيدة الكاملة، ولم يجر عليها أى تعديل أو حذف لإعطاء دار جروف بريس للنشر فرصة لتوزيع نسخها. وتعمد جيروديا‌س أن يتأخر فى الرد على روسيت ثم طلب منه بيع النسخة بخمسة دولارات يأخذ منها المؤلف بوروز ١٥% مقابل حقوق الملكية الأدبية والفكرية عن الخمسة عشر ألف نسخة الأولى، و١٧،٥% عن النسخ التى تزيد على ذلك. وقال جيروديا‌س معلقا على طلب روسيت منه عدم ذكر أن النسخة المنشورة فى باريس هى النسخة الكاملة التى سطرها المؤلف دون حذف أو تعديل:

"لا أستطيع أن أعدك بعدم ذكر أن نسختى هى الكاملة وأن نسختك تعرضت للحذف لأن هذا الأمر لا يمكن الاحتفاظ به سرا حتى لو أنى امتنعت عن الإعلان عن ذلك... لأن الناس يكتشفون مثل هذه الأمور، كما أن الصحفيين يرغبون فى الظهور دائما بمظهر العارفين ببواطن الأمور سواء كانت معرفتهم صحيحة أم لا.. وأضاف جيروديا‌س أن حذف الفصلين البذيئين من الطبعة الأمريكية من شأنه حماية الرواية من الرقابة واتخاذ الإجراءات

القانونية ضدها. وكذلك رحب جيروديـاس باستبعاد بند الضمان الذى يستلزم من المؤلف الإقرار بنظافة روايته".

وفى كريسماس عام ١٩٥٩ وافق روسيت ممثل دار بريس جروف للنشر على معظم الشروط الواردة فى عقد الاتفاق على نشر الرواية، وأرسل مسودة عقد إلى جورديـاس طالبا منه ترجمة هذا العقد إلى اللغة الفرنسية حتى تتمكن مدام هوميل من قراءته. وقامت هذه السيدة بدورها بصياغة عقد جديد بعد إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليه الخاصة بحقوق الملكية الأدبية والفكرية باللغتين الإنجليزية والفرنسية كى يوافق روسيت على التوقيع عليه.

ولكن روسيت رفض التوقيع وطلب إجراء عدد من التغييرات فى العقد يدور أهمها حول حقوق الملكية الفكرية والأدبية. فضلا عن وجود خلافات أخرى حول موعد صدور الطبعة الأمريكية فقد أرادت السيدة هوميل أن يصدر الكتاب فى غضون سنة من توقيع العقد فى حين أراد روسيت مد المدة إلى ثمانية عشر شهرا من تاريخ توقيع العقد. وكذلك أراد روسيت أن يحتفظ بحق الاختيار بين نشر الرواية دون حذف أو نشرها بعد حذف الفصلين البذيئين منها.

ورضخت السيدة هوميل لمعظم طلبات دار جروف للنشر، وفى مقدمتها حق هذه الدار فى نشر أو عدم نشر الرواية كاملة ودون حذف.

وأخيرا وصل الطرفان إلى اتفاق على جميع بنود العقد ثم أرسلت هوميل العقد النهائى بعد قيامها بالتوقيع عليه فى ٢٠ فبراير ١٩٦٠. ولاحظ روسيت أن العقد المرسل أضاف بندا يشترط على الناشر الأمريكى أن يتكفل بدفع أي غرامات مالية أو نفقات تقاضى محتملة. صحيح أن دار جروف للنشر لم تكن تريد من المؤلف أن يتحمل أي غرامات ونفقات التقاضى؛ ولكنها فى الوقت نفسه لم ترغب فى الالتزام بالوفاء بهذه الغرامات بهذا الوضوح وهذه الصراحة. ولهذا قام روسيت بشطب البند الذى ينص على إعطاء دار جروف للنشر الحق فى اتخاذ أو عدم اتخاذ الإجراءات القانونية للدفاع عن الرواية أمام المحاكم.

وغمرت مؤلفتنا فرحة عارمة لأن روايته "الغداء العارى" سوف ترى أخيرا طريقها إلى القارئ الأمريكى. وهو الأمر الذى كان يستبعد حدوثه لأمد طويل. والواقع أن بوروز لم يتوقع من دار جروف للنشر نشر كتابه دون حذف.

أخذت دار نشر جروف بريس تتأهب لإصدار رواية "الغداء العارى" رغم الشكوك التى راودتها حول قيام مصلحة الجمارك الأمريكية بحظر نشرها. ورأى روسيت أن أسلوب الرواية الشديد الغموض والتعقيد يقتضى كتابة مقدمة تشرح غموضها للقارئ العادى، فطلب من الكاتب جون كياردى تزويده بهذه المقدمة. ولم تقترح دار جروف للنشر على أى شخص آخر كتابة هذه المقدمة لأن بوروز نفسه عبر عن رغبته فى أن يتولى كياردى كتابتها.

وتمثلت المشكلة المباشرة التى واجهت دار جروف بريس فى تصحيح بروفات الرواية بأسلوبها وهجائها وتركيبها اللغوى الفريد من نوعه رغم كل ما بذله مصححو هذه الدار من جهد. ووقع الاختيار للقيام بهذه المهمة على ارفنج روزنتال المحرر السابق بمجلة شيكاغو ريفيو. فضلا عن مساهمة آلن جنسبرج فى هذه المهمة. وفى يوم ١٨ يوليه أمضى روزنتال ستين ساعة فى تحرير وتصحيح بروفات الرواية. وفى أواخر هذا الشهر اتصل بوروز به ليوضح له بعض الأمور الخاصة بكيفية هجاء كلمات الرواية والكلمات الأجنبية الواردة فيها. إلى جانب بعض الإضافات إلى النص. وطلب المؤلف من الناشر الأمريكى إصدار الرواية بالشكل نفسه الذى ظهرت به نسخة دار أولمبيا للنشر، كما أنه طلب من روزنتال الاحتفاظ بالنص وعدم المساس به وعدم إجراء أي تعديلات فيه، غير أنه رحب باقتراحه بضم المقال الذى سطره المؤلف بعنوان "شهادة خاصة بمرض" كملحق للرواية. فضلا عن أن المؤلف عبر عن رغبته فى أن تضم الطبعة الأمريكية بعض الصور التى استوحاها من رسوم بريون جيسن ووضعها بين النص الروائى والملحق الذى يذيله. وحث آلن جنسبرج صديقه بوروز كى يقبل إضافة بعض علامات الوقف وعناوين للفصول. واعترض جنسبرج على إضافة المقال المشار إليه آنفا قائلا إن مثل هذه الإضافة من شأنها أن تدمر الأثر الدرامى الذى تتركه نهاية الرواية فى النفوس. فضلا عن أن القارئ سوف يجد هذا المقال منشورا على صفحات مجلة الافرجرين ريفيو وفى مجموعة من المقالات الوشيكة الصدور حول جيل البيتس. وقد استجاب بوروز لمطالب جنسبرج، ولكن أصر على شيء واحد هو ضم المقال المشار إليه كملحق للرواية. وفى أواخر أغسطس ١٩٦٠ اصطدمت دار جروف للنشر بمشكلة نشر الرواية بكل بذاءاتها نظرا لأن مصلحة الجمارك الأمريكية قامت بمصادرة النسخة الباريسية من الرواية التى أرسلتها دار أولمبيا للنشر إلى الولايات المتحدة.

ومما زاد من موقف رواية "الغداء العارى" تعقيدا أن هنرى ميلر الذى تعرضت كتاباته للحظر فى أمريكا قرر فجأة توقيع عقد مع دار جروف للنشر لإصدار طبعة أمريكية من

روايته الفاضحة "مدار السرطان"؛ الأمر الذى أثار لغطا شديدا وضجة بالغة فى الأوساط الأدبية الأمريكية. ورغم كل التعقيدات الناجمة عن قرار هنرى ميلر إصدار طبعة أمريكية من رواية "مدار السرطان" فقد كان بوروز يتحرق شوقا لرؤية بروفات روايته حتى يرى بنفسه التغييرات التى أجراها كل من روزنتال وجنسبرج، وقد وصلت هذه البروفات إليه فى أوائل عام ١٩٦١. ومن ناحية أسهم هنرى ميلر بهجومه على بوروز فى الدعاية لروايته "الغداء العارى" فقد أرسل هنرى ميلر خطابا بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٦٠ يصف فيها هذه الرواية بأنها تبعث على الملل. ولكنه اعترف بموهبة بوروز الأدبية.

وعلى أي حال لم يكن هجوم هنرى ميلر على رواية بوروز السبب فى تأجيل نشرها. بل إن روسيت نفسه هو الذى أرجأ نشر هذه الرواية فى أمريكا لحين انتهائه من نشر رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر. ورغم أن جيروديأس ألح عليه خلال فصل الربيع حتى صيف عام ١٩٦١ للتعجيل بنشر رواية بوروز فإن روسيت لم يتخذ أي إجراءات لنشر هذه الرواية إلا فى خريف عام ١٩٦١.

وأخيرا أصدرت دار نشر جروف بريس نشرة للدعاية فى ٣١ أكتوبر ١٩٦١ أعلنت فيها أن رواية "الغداء العارى" سوف تطرح فى الأسواق وتباع بستة دولارات. وتضمنت هذه النشرة ثناء نورمان مالر وجاك كيرواك وروبرت لويل وجون كياردى على رواية بوروز إلى جانب اشتمال النشرة على فقرات من الاسكتش الذى نشره آلن أنسن فى كتابه عن جيل البيتس.

ولكن شبح رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر ظل يطارد رواية بوروز "الغداء العارى" فقد كان نجاح الرواية الأولى كاسحا، كما أنها تربعت على رأس قائمة الكتب الأمريكية الأكثر مبيعا. ولكن رواية "مدار السرطان" سرعان ما اصطدمت بالرقابة التى فرضت عليها الحظر.

وكان أحد أسباب تعطيل نشر رواية "الغداء العارى" أن بوروز كتب أيام التحاقه بجامعة هارفارد فى الثلاثينيات من القرن العشرين هجاء برازيا ساخرا ضد تعيينات الإدارة الأمريكية فى عهد روزفلت. ولم يتورع بوروز عن ذكر أسماء الموظفين المعينين موضع السخرية فى عهد روزفلت تحت العناوين التالية: "ليرى الذكر المخنث أمين مكتبة الكونجرس و"لونى القواد - السفير الطليق الحر". وقد نشر مؤلفنا هذا الهجاء المقزع فى أكتوبر ١٩٦١ تحت عنوان الروتين: روزفلت بعد إلقاء خطابه الافتتاحى فى مجلة (الذى

يطفو) التى حررها لى روا جونز وريان دى بريما. وقام مفتشو مصلحة البريد ورجال مكتب المخابرات الأمريكية بإلقاء القبض على جونز بتهمة إرسال مادة بذيئة عن طريق البريد فى ١٨ أكتوبر ١٩٦١. وظهر هذا الرجل أمام لجنة من المحلفين حيث أدلى بشهادته على مدار يومين كاملين أخذ يقرأ فيهما صفحات تلو الصفحات من رواية جيمس جويس المشهورة "يوليسيس" التى اتهمت بالبذاءة فى يوم من الأيام ثم برئت منها. ولكن هيئة المحلفين ما لبثت أن صرفت النظر عن القضية.

وبحلول نهاية أكتوبر عام ١٨٦١ اضطرت دار جروف للنشر مرة أخرى إلى إرجاء نشر "الغداء العارى" بسبب ما نشره مؤلفها بوروز فى مجلة "الذى يطفو". وزاد من حرج موقف دار جروف للنشر ما تعرضت له من محاكمة بسبب نشرها رواية هنرى ميلر "مدار السرطان". والجدير بالذكر أن النائب العام الأمريكى شارلس ريمبار وجد نفسه غارقا فى مقاضاة أكثر من خمسين حالة بذاءة.

وأمام هذا العدد الهائل من قضايا الرقابة والحظر المرفوعة ضد مجلة "الذى يطفو" شعرت دار جروف للنشر بأن المخاطر تحيق بها أكثر من ذى قبل. وعندما قبلت هذه الدار نشر رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر قررت التضامن أمام المحاكم مع كل موزع يقبض عليه وهو يبيع روايته "مدار السرطان". وكاد اتباع هذه السياسة أن يهدد دار نشر جروف بالإفلاس، الأمر الذى جعل المسئولين فيها هذه المرة يتعظون من دروس الماضى، ويعملون ألف حساب للعواقب القانونية والخسائر المالية الناجمة عن نشر رواية "الغداء العارى".

ومن ناحيته لم يفهم جيروديا‌س الأسباب التى حدت بروسيت أن يتحمل كل التضحيات للدفاع عن "مدار السرطان" وخاصة لأنه أراد منه نشر "الغداء العارى" على وجه السرعة. وحاول روسيت أن يشرح الأسباب التى تدعو إلى طمأنة أصحاب المكتبات الذين يتعرضون للقبض عليهم؛ بسبب قيامهم ببيع "مدار السرطان" حيث إنه بدون هذه المؤازرة من جانب دار جروف للنشر لهم سوف يمتنع جميع الموزعين عن بيع رواية ميلر خوفاً من الزج بهم فى السجون. ولم ينس روسيت رفض كل من دارى نشر دابلداى وبرتتانوس مؤخرا توزيع رواية "مدار السرطان"، مما يشير إلى رفضهما توزيع رواية "الغداء العارى" عند صدورها.

وفى حين ألح جيروديا‌س على روسيت للتعجيل بنشر رواية "الغداء العارى" كان بوروز مؤلف هذه الرواية أكثر تفهما للأسباب التى حدت بدار جروف للنشر إلى التمهل

والتأنى فى نشرها. وتعبيرا عن تفهمه للأسباب التى دعت روسيت إلى تأجيل موعد نشر روايته "الغداء العارى" كتب مؤلفها إلى روسيت الخطاب التالى:

"يؤسفنى أن أرى أن الخلاف الناشب بينك وبين جيروديأس يصل إلى حد المقت والكراهية. إن موقفى واضح وثابت. فأنا أتفق معك أنه ليس من الحمق نشر روايتى "الغداء العارى" فى أمريكا فى هذا الوقت... وإنى أشعر أنك الناشر الوحيد المعقول الذى يصلح لنشر رواية (الغداء العارى) فى أمريكا، وبطبيعة الحال فإن لنفاد صبر جيروديأس أسبابه المفهومة".

وانصرف اهتمام مؤلفنا عن استعجال نشر "الغداء العارى" إلى الانتهاء من تأليفه روايته الجديدة "نوفا اكسبريس".

وللمرة الثانية كتب روسيت خطابا إلى جيروديأس بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦٢ لإقناعه بضرورة إرجاء دار جروف بريس نشر رواية "الغداء العارى" فى أمريكا.

وبحلول صيف عام ١٩٦٢ حضر بوروز إلى باريس يحمل معه نحو أربعين صفحة من روايته الجديدة التى وصفها بأنها تحتوى على مناظر ومفاهيم أكثر بذاءة فى "الغداء العارى" وكتب بوروز إلى روسيت ليخبره عن تقدمه فى تأليف روايته الجديدة "نوفا اكسبريس" فرد عليه روسيت باستعداده لنشر هذه الرواية الجديدة فى أواخر عام ١٩٦٢ أو فى شهر يناير ١٩٦٣ وأن أحكام القضاء الأمريكى التى تشد من أزر روائع هنرى ميلر "مدار السرطان" تشجعه على ذلك.

وفى أغسطس عام ١٩٦٢ تلقى بوروز دعوة للاشتراك فى مؤتمر الكتاب المنعقد فى أدنبره باسكتلندا فرأى فى اشتراكه فى هذا المؤتمر فرصة للدعاية لكتاباته. وشجعه على حضور هذا المؤتمر أنه لم يتحمل أي نفقات سفر وأنها فرصة ذهبية للالتقاء بخمسة وعشرين كاتبا من كوبا. وكذلك رأى مؤلفنا أن الدعاية التى يحصل عليها من حضور هذا المؤتمر سوف تجعل روسيت ينشر رواية "الغداء العارى" فى أسرع وقت ممكن.

مؤتمر الأدباء المنعقد فى أدنبره باسكتلندا

فى العشرين من أغسطس عام ١٩٦٢ عقد مؤتمر أدبى نظمه الناشر البريطانى جون كولدر، واستمرت أعمال هذا المؤتمر لمدة خمسة أيام. وحضر هذا المؤتمر ما يقرب من ألفى شخص. بدأ هذا المؤتمر أعماله بمناقشة الرواية. وأثناء المناقشة سعت الكاتبة مارى مكارثى إلى تقييم وضع الرواية الأمريكية، وأكدت أنها لا تزال بخير. وأضافت قائلة إن المشهد الروائى الأمريكى لا يخلو من حراك كبير وشرحت هذا بقولها: إن الروائيين الأمريكان أمثال بيلو ومالامود وأبدايك أمثلة تدل على ميل الروائيين الأمريكان إلى كتابة سيرهم الذاتية وفحص مكنونات ذواتهم وارتدادهم إلى مرحلة الطفولة.

وأيضا ناقشت مارى مكارثى فيما ناقشت من موضوعات أعمالا روائية، مثل رواية "لوليتا" التى ألفها نابوكوف، ورواية "الغداء العارى" التى ألفها وليم بوروز. وأوضحت هذه الكاتبة وجود خلافات جوهرية بين هاتين الروايتين. ولكن الشعور بالمنفى والغربة يجمع بينهما. وهو موضوع ليس جديدا على الرواية ومن شأنه أن يشكل مستقبل الإنسانية. وكان هذا أول اعتراف على الصعيد الدولى والمجتمع الأدبى بأهمية وليم بوروز كأديب، ولا غرو فقد كان معظم الحاضرين فى المؤتمر لا يعلمون عن روايته "الغداء العارى" شيئا. ولكن الناقد البريطانى المعروف دافيد داتشس كان له رأى مغاير فى قيمة بوروز الأدبية.

وفى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٦٢ ترأست مارى مكارثى جلسة المؤتمر المخصصة لمناقشة الرقابة على الفنون والآداب وما ينجم عنها من عواقب وخيمة. وبعد أن تحدث بعض الناشرين عن عواقب الرقابة الوخيمة جاء دور وليم س.بوروز للتعبير عن رأيه فى هذا الصدد فقال فى الكلمة التى ألقاها إن الكنيسة فى القرون الوسطى فرضت الحظر على الهرطقة والمهرطقين، وإن الحكومات فى البلاد الشيوعية حظرت الحديث عن السياسة. ولكنه رأى أن أسوأ أشكال الحظر تلك التى تحدث فى البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية حيث نجد أن هذه البلاد تركز حظرها على الألفاظ والصور الجنسية.

عبر بوروز عن شكوكه فى حق أي حكومة أن تقرر طبيعة المعتقدات التى يدين بها شعبها حتى لو تذرعت بأن هذا من شأنه حماية الأطفال والناشئة. وأضاف أن الزعم بهذه الحماية كذب وادعاء؛ بسبب ما يتعرض له الناشئة من طوفان الرسوم والصور المثيرة للغرائز من خلال الإذاعة والتليفزيون والسينما والأشرطة الفكاهية المضحكة. وذهب بوروز إلى أن من شأن إلغاء الرقابة والحظر توفير مناخ يشجع على البحث العلمى الجاد المتعلق بالجانب الجنسى من الحياة. وذكر بوروز أن الكاتب ويلهلم رانج حاول دراسة هذا الموضوع بطريقة علمية فكان مصيره الزج به فى أحد السجون الفيدرالية بالولايات المتحدة بتهمة النصب والاحتيال.

وبعد إدلاء العديد من الكتاب أمثال نورمان مالر بتعليقاتهم فى هذا الصدد، سألت مارى مكارثى مؤلفنا أن يوضح وجود مصلحة للرقيب فى فرض الرقابة كما يوضح مصلحة النظام الرأسمالى فى حظر الكتب الجنسية بالذات دون سواها من الكتب. وذكرت مارى مكارثى أن نظام الزواج بواحد أو واحدة فى نظر العقل الحديث يمثل القوة التى تحافظ على تماسك المجتمع تماما مثلما كان الدين يحافظ على تماسكه فى القرون الوسطى. ووافقها بوروز على هذا الرأى.

وتحدث ناشر الأدب الجنسى المعروف جيروديأس صاحب دار نشر أولمبيا الباريسية والمتخصص فى نشر الكتابات الفاضحة، فوصف الرقابة بأنها تشبه جبل الثلج العائم الذى لا ترى العين سوى الجزء الظاهر منه. وذهب جيروديأس إلى أن الخطر الحقيقى من الرقابة هو الإضرار بالتعددية وتكريس مذهب السلوك النمطى للمجتمعات.

وخصص المؤتمر يوم الجمعة الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٦٢ - وهو آخر أيام انعقاده - لمناقشة الرواية وترأس جلسات هذا اليوم كتاب عديدون أمثال نورمان مالر ومارى مكارثى.

ووجه أول المتحدثين فى ذلك اليوم النقد إلى رواية الجنس الفاضح وإدمان المخدرات كما نشاهد فى رواية "الغداء العارى"، غير أن مارى مكارثى تصدت للهجوم على هذه الرواية وأعلت من شأنها. وعبر الناقد دافيد داتشيس عن استبشاره خيرا بما تستطيع الرواية أن تقدمه إلى المجتمع الحديث، فهى تستطيع تصوير آلام الفرد وعذاباته. ثم تلاه نورمان مالر وقال إن الرواية تصلح لمعالجة الجنس والمخدرات. وعقب وليم بوروز على ذلك بقوله إنه سلك فى كتاباته مسلك راسم الخرائط ومسلك المكتشف للأمراض النفسية. ولم يفته تشبيه الكاتب الحديث برائد الفضاء حيث إنه يتبع تكنيكات روائية جديدة ومحددة شبيهة بالتكنيكات التى يتبعها رواد الفضاء. وشرح هذا بقوله إن هذا ما يفعله شخصيا فى كتاباته. وكذلك يشبه بوروز التكنيك الروائى الذى يتبعه بأسلوب صديقه الرسام المعاصر بريون جيسين مؤكدا أنه يحذو حذوه ويتبع طريقته، وهى طريقة أشد ما تكون غرابة فهو يطوى الصفحة المكتوبة من الوسط ويمزقها جزءين، ثم يضع نصف الصفحة المطوية على نصف الصفحة الأخرى. فيصبح الناتج نصا جديدا يتكون جزء منه من الصفحة المطوية والجزء الآخر من صفحة أخرى. ثم يتولى الكاتب تحرير الناتج الجديد. وطبقا لما يذهب إليه بوروز فإنه استطاع بهذه الطريقة الحصول على أفضل النتائج إذا كانت الصفحتان المقسمتان تعالجان موضوعات مماثلة. وأضاف أن اتباع هذا التكنيك الجديد مفيد لبعض الكتاب ولكنه ليس مفيدا لكل الكتاب.

وفزع أحد الحاضرين –وهو كاتب هندى– من تعليقات بوروز فسأله "هل أنت جاد فيما تقول" فأجاب مؤلفنا "نعم بطبيعة الحال". واختتم بوروز ملاحظاته بقوله إنه مشغول ببقاء الجنس البشرى على قيد الحياة وبفضح ممارسى الإجرام الاجتماعى. ثم تحدث كولين ماكنيس فقال إن قوة الرواية تنبع من التعدد الهائل فى أشكالها كما نصحهم بقراءة أعمال كل من هنرى ميلر ونورمان مالر ووليم بوروز. وأوضح بوروز أن أسلوبه فى الكتابة هو نفس أسلوب الفلاش باك فى السينما، وأضاف أن أسلوبه ليس جديدا على عالم الفن، حيث إن السينما والموسيقى درجت على استخدامه منذ عدة أعوام. ووجد بوروز بين الحاضرين من اعترض على استخدام هذا التكنيك لأنه فى نظرهم يفضى إلى نتائج تعسفية وعشوائية، فرد مؤلفنا عليهم بقوله إنه ليس تكنيكا متعسفا إلى الحد الذى يتصورونه. ولكنه أضاف أنه لا يستطيع إثبات جدوى هذا التكنيك نظرا لأنه –ككل التكنيكات– شىء يخضع للتجربة وليس شيئا يمكن إثباته أو التدليل على صحته. وتدخل أحد الحاضرين ليقول لبوروز إنه تم بالفعل إجراء تجربة من هذا القبيل على سونتيات شكسبير مسجلة على شريط تسجيل تم تقطيعه

إلى أجزاء تم وصلها ببعضها البعض على نحو عشوائى. وتمت طباعة نتيجة هذه التجربة فلم تسفر عن شىء مثمر. ثم سأل الكاتب الهندى مؤلفنا إذا كانت تجربته فى التأليف الروائى مثمرة فى ضوء النتيجة الناجمة عن وصل شريط سونيتات شكسبير المقطوعة أوصالها، الأمر الذى أفضى إلى سماع لغط وشوشرة لا معنى لها، فأجابه بوروز بحذر: "أنا أميل إلى اعتبارها تجربة مثيرة للاهتمام، إن الأمر برمته يعتمد على ما تسفر عنه من نتائج".

ونشر ريموند والترز مقالا ناقش فيه بوروز بوصفه نجم المؤتمر رغم أن أحد الحاضرين لم يكن سمع به قبيل نشر روايته "الغداء العارى" فى الولايات المتحدة. يقول الكاتب ريموند والترز فى هذا الشأن:

"عندما أعلن نورمان مالر ومارى مكارثى أن وليم بوروز نجم هذا القرن الذى سوف يترك أثره العميق فى المشتغلين بالأدب التزم الحاضرون الصمت من فرط ذهولهم لأن أحدا من الحاضرين لم يكن قد سمع به".

غير أن الأمر لم يكن كذلك تماما فى الولايات المتحدة، فقد عاش بوروز أمدا طويلا فى باريس والمكسيك، وهو الآن يحتل مكانة تكاد تقترب من مكانة هنرى ميلر قبل نشوب الحرب العالمية الثانية. فبنو جلدته يعرفونه كمؤلف رواية "الغداء العارى" وبعض الأعمال الأخرى الحريفة المتبلة المنشورة فى باريس والتى تسبب الصداع لموظفى مصلحة الجمارك، وخاصة لأنها ترفض القمع وفرض الحظر على حرية التعبير".

ولا شك أن الثناء الذى لقيه بوروز فى مؤتمر أدنبره من كل من نورمان مالر ومارى مكارثى شجع بارنى روسيت على المضى قدما فى نشر روايته (الغداء العارى) فى الولايات المتحدة سواء كان ذلك فى طبعة نظيفة أو غير نظيفة. ولا غرو فقد حظى مؤلفنا بدعم وتقريظ المجتمع الأدبى الذى عبر عن تقديره لموضوع رواية "الغداء العارى" وأسلوبها. وهو ما فشل آلن جنسبرج فى تحقيقه من أجل بوروز عبر السنين.

بعد مؤتمر أدنبره المشار إليه برز اسم مؤلفنا ككاتب يسجل ما أصاب الجنس البشرى من فوضى وتغير دائم عقب معسكرات الاعتقال واستخدام القنبلة الذرية فى الحرب العالمية الثانية. وبدا بوروز فى نظر مؤيديه والمتحمسين له ككاتب جاد وعليم ببواطن الأمور... كاتب متزن عاد لتوه من الجحيم ليروى لنا كل ما شاهده هناك من لظى وشواظ.

وهكذا استثمر روسيت ممثل دار جروف برس للنشر مؤتمر أدنبره للدعاية لرواية "الغداء العارى". وأرسل يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ –أثناء حضوره معرض الكتاب فى فرانكفورت– برقية إلى المكتب الفرعى لدار جروف للنشر فى مدينة نيويورك وطالبه بسرعة نشر رواية بوروز وتحديد موعد صدورها، فتلقى ردا من هذا المكتب تحدد فيه صدور رواية بوروز يوم ١٥ نوفمبر ١٩٦٢. ودفعت دار جروف بالرواية إلى شركة طباعة موثوق بها هى مطبعة نيو إنجلاند التى سبق لها أن طبعت رواية د.هـ.لورانس "عشيق الليدى تشاترلى". ولكن حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان فقد تلقى روسيت من صاحب المطبعة مراسل هوليداى الخطاب التالى المؤرخ فى ١١ أكتوبر ١٩٦٢:

"استلمنا طلبكم بطباعة "الغداء العارى"... ولكن لن أستطيع تلبية طلبكم حيث إننى لن أسمح لاسمى أن يرتبط بطباعة هذا النوع من الأدب فى المطبعة التى أمتلكها".

وأمام رفض هوليداى طبع "الغداء العارى" تعاقد روسيت لطبعها فى مطبعة الكتاب (بوك برس) فى براتلبور فى فيرمونت. فقد سبق لهذه المطبعة أن طبعت له رواية (مدار السرطان). ونص روسيت فى العقد المبرم على دفع تعويض لشركة الطباعة فى حالة اتخاذ أي إجراءات قانونية ضدها.

واستطاعت دار جروف بريس للنشر إقناع أحد نوادى الكتاب أن يختار رواية بوروز كواحد من أحسن الكتب، كما استطاعت كسب تأييد ومؤازرة الناقد الكبير ليونيل تريلنج الذى كتب يقول إنه شخصيا ليس أحد المعجبين برواية بوروز، ولكنه أقر بأن الكثيرين اعتبروها عملا عبقريا، وأضاف إنه على يقين من أن الرواية سوف تناقش على أوسع نطاق.

وأصدر روسيت نشرة للدعاية للرواية يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٦٢ أبلغ فيها بائعى الكتب بأن موعد نشر رواية "الغداء العارى" تحدد فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢. واحتوت نشرة الدعاية على تقريظ الأدباء لها. فضلا عن أن روسيت ألحق بنشرة الدعاية هذه كتيبا يقع فى ١٦ صفحة يضم ثناء الأدباء على بوروز وروايته. والجدير بالذكر أن دار جروف للنشر ألحقت بنشرة الدعاية لرواية بوروز كلمة سطرها روسيت مفادها أنه يتوقع تقديم كتاب بوروز أمام المحاكم تماما مثلما حدث لرواية هنرى ميلر "مدار السرطان" فى فصل الخريف السابق. يقول روسيت منبها منافذ بيع الكتب: "أود أن أضيف كلمة أخرى عن الرقابة. فكل موزع يعرف جيدا الموقف فى منطقته. ونحن ننصح كل موزع استخدام حصافته وحسن تقديره

للأمور. وفى حالة تعرض أى منكم للمشاكل الناجمة عن حظر الرواية فسوف نتولى تزويده بالمعلومات والنصيحة. ولكننا لن نستطيع دفع نفقات التقاضى نيابة عنكم".

وفى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢ صدرت الطبعة الأمريكية من رواية "الغداء العارى" وذلك بعد مرور أكثر من ثلاثة أعوام على توقع صدورها. وأقبل القراء إقبالا شديدا على شرائها فقد بيع منها ١٤٢٣٦ نسخة حتى يوم ١٤ مارس ١٩٦٣. أما استقبال النقاد لها فكان كبيرا ومتنوعا.

كيف استقبل النقاد رواية "الغداء العارى"؟

تأرجح موقف بعض النقاد الأمريكان من استقبالهم لرواية "الغداء العارى" بين الإفراط فى المدح والإفراط فى القدح. منهم من رأى فيها نهاية الإنسان المتحضر، ومنهم من رأى فيها بشيرا للتقدم وتجاوزا للروائى البريطانى الكبير جيمس جويس. وتلهف كثير من القراء الأمريكان لنشر رواية بوروز، وخاصة بعد أن قام صديقه آلن جنسبرج بإهدائه كتابه "هاول"، محذرا من أن رواية "الغداء العارى" لا نهاية لها تصيب كل إنسان بلوثة من الجنون.

وذهب الكثيرون إلى أن جامعة شيكاغو ومصلحة البريد الأمريكية عاملتا الرواية بوحشية بالغة؛ بسبب صراحتها فى الكلام عن الجنس. وحارب الناشر بارنى روسيت صاحب دار جروف بريس للنشر ببسالة كى يمحو الأثر الاجتماعى السيئ الذى أحاط بنشر هذه الرواية. وأظهر روسيت شجاعة منقطعة النظير فى الهجوم على أدعياء الحشمة فى مجال الأدب الذين يرفضون أي مناقشة صريحة فى شئون الجنس.

ومما زاد من لهفة القارئ الأمريكى لرواية بوروز أن دار أولمبيا للنشر سبق أن أصدرتها فى باريس. وفى أوائل ١٩٦١ بادرت مجلة أدبية أصدرتها كلية فى ستاتين أيلاند بمدينة نيويورك بتقريظ الرواية تقريظا عظيما. ومهد هذا التقريظ العظيم لحدوث الضجة الكبيرة التى خلقتها رواية بوروز فى الحياة الأمريكية. ونورد فيما يلى جانبا مما تضمنته هذه المجلة من تقريظ:

"لقد تم حتى الآن نشر ما يقل عن مائة صفحة من كتابات وليم بوروز... ورغم ذلك فإن شهرته كفنان أصبحت لا تبارى فى نظر المتابعين لها. وهو رأى يمثل وجهة نظر قطاع كبير من المجتمع الأدبى ابتداء من آلن جنسبرج حتى جون كياردى وألفريد كارين وأترابهم من الأدباء الكبار. والآن يمكننا القول إنه من المؤكد أن صاحب رواية (الغداء العارى) واحد من أعظم كتاب النثر الأمريكان الذين ظهروا منذ الحرب العالمية الثانية... وحتى نكون منصفين لبوروز يجدر بنا أن نقول إن روايته تحتل مكانة قريبة من رواية هكليرى فين وغيرها من الروائع الأدبية.

وبعد عقد جلسة استماع فى شيكاغو لمحاكمة مجلة "المائدة الكبيرة" لنشرها بعض مقتطفات من رواية بوروز تصدى جون كياردى للإشادة بها فى مجلة "الساترداى ريفيو" الواسعة الانتشار، فضلا عن أن نورمان مالر عبر فى كتابه "إعلانات عن نفسى" عن تحمسه للأصل الكامل للرواية. يقول نورمان مالر فى هذا الشأن:

"إن أجزاء الرواية التى نشرتها مجلة "المائدة الكبيرة" أكثر إثارة للاهتمام من أى شىء آخر قرأته لكاتب أمريكى منذ سنوات. وإذا كانت البقية التالية من كتاب بوروز ترقى إلى الأجزاء نفسها، التى نشرتها هذه المجلة... ولو أثبتت الرواية أنها عمل روائى وليس تجميعا لشذرات غير متسقة فسوف يستحق مؤلفها بوروز مكانة تضعه فى مصاف أهم الكتاب الأمريكان الذين أنجبتهم الولايات المتحدة. وقد يصل تأثيره إلى ما وصل إليه جان جينيه".

ولم يفتر حماس نورمان مالر للرواية قط رغم كل ما شابها مما كان يخشاه من تشرذم وتفكك... ويجدر بالذكر أن نقول إن كتيب الدعاية الذى أصدرته دار جروف للنشر بهدف الترويج للرواية تضمن وصف مالر لبوروز بأنه الكاتب الأمريكى الوحيد الذى تتملك العبقرية حواسه وتستبد بها، فضلا عن احتواء هذا الكتيب الدعائى على شهادة تقريظ لبوروز سطرها كل من تيرى سوزرن وإ.س. سيلان وروبرت بويل وجاك كيروك وجون كياردى. وأعلن سيلان أن نشر رواية "الغداء العارى" فى الولايات المتحدة يبشر بمقدم أهم البدايات الأدبية خلال القرن العشرين. وذهب سوزرن إلى القول: "نستطيع –ونحن فى مأمن– أن نضيف أن كتابات وليم بوروز –بالمقارنة بكتابات الجيل الأمريكى الجديد– هى حتى يومنا الراهن أكبر الكتابات نفوذا وتأثيرا بشكل جاد". ووصف كياردى مؤلفنا بأنه كاتب عظيم الأثر يتمتع بالأمانة الفنية فى بحثه العميق الهادف عن القيم الحقيقية.

وأيضا وصف جاك كيروك كاتبنا بأنه "أعظم كاتب هجائى منذ جوناثان سويفت. وقال روبرت لويل إن رواية (الغداء العارى) "من أعظم الكتب الحية التى قُدِّر لكاتب أمريكى أن يسطرها منذ أعوام".

وبعد قيام دار نشر جروف بريس بإصدار طبعة أمريكية من رواية "الغداء العارى" فى أواخر نوفمبر ١٩٦٢ تولت كبريات الصحف والمجلات الأمريكية مراجعتها. ففى ٢٠ نوفمبر من العام المشار إليه ذكرت صحيفة النيويورك تايمز أنه سبق إصدار هذه الرواية فى باريس وأن سمعتها السيئة لاحقتها. فقد أشاح ناقد هذه الصحيفة بوجهه عن هذه الرواية ونصح القراء بتجنب قراءتها.

وهكذا نرى أن الرواية شطرت المجتمع الأدبى شطرين: شطرًا يثنى عليها عاطر الثناء، وشطرًا آخر يذمها قاذع الذم. ولعلنا نذكر أن الناقد الأمريكى الكبير ليونيل تريلنج علق على جلسة الاستماع التى عقدتها مصلحة البريد لمعرفة مدى بذاءة الرواية بقوله إن "الغداء العارى" لا ترقى إلى مستوى الأدب الحقيقى، ولكنه اعترف بضرورة الذود عنها والدفاع عن حقها القانونى فى أن ترى طريقها إلى النشر. أما صحيفة التايمز فقد وصفت صدور الرواية بأنه حدث أدبى مهم حتى إذا لم يكن أدبا من الطراز الرفيع.

وأيضا كتب هربرت جولد مقالا أثنى فيه على هذه الرواية فى عدد الأحد من صحيفة نيويورك تايمز بوك ريفيو على عكس ما ذهب إليه محررو هذه الصحيفة اليومية. وعبر جولد عن إعجابه بما سمَّاه فكاهة الإدمان السوداء، وهو الأمر الذى تخلو منه الروايات التقليدية.

وكتب ريتشارد كلوجر محرر الكتب فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون عن خلو رواية "الغداء العارى" من العناصر الروائية التقليدية مثل الحبكة ورسم الشخصيات وزمان الأحداث ومكانها. وذهب إلى أن خلو رواية "الغداء العارى" من هذه العناصر مسألة لا أهمية لها وقال معلقا: "المهم -كما هى الحال فى الفن التجريدى– هو ما تتركه الرواية من تأثير. ولابد من الاعتراف بأن الأثر الذى خلفه بوروز كان مذهلا، فهو كاتب يمتلك قوة نادرة.

وذهب الكاتب كيرت جنترى إلى أن اللغط الكثير الذى أثير حول الرواية قبل صدورها أضر بها. وأضاف إنه قرأ أجزاء الرواية المنشورة فى "المائدة الكبيرة" فوجدها مثيرة للاشمئزاز.

واتخذت مجلة نيوزويك موقفا من الرواية يتأرجح بين المدح والقدح، فقالت إنها رواية سيئة السمعة وضرب من الأدب الفاضح أو المكشوف. ولكن هذه المجلة دافعت عن بعض أجزائها وقارنتها بموهبة سويفت الفذة فى الهجاء. قال: "هى فى الواقع تحفة أدبية؛ ولكنها مصابة بلوثة كاملة وفوضى عارمة... والشىء الوحيد الذى ينتقص من قدرها هو غياب أى نوع من الهدف الاجتماعى أو القيم الاجتماعية".

أما مجلة التايم فلم تجد فى رواية بوروز أى شىء يستحق الثناء. وربط محرر هذه المجلة بين بوروز وحركة البيتس الفاشلة والمثيرة للضحك. وأيضا قام محرر هذه المجلة بالتعريض بحياة بوروز الشخصية، مشيرًا إلى أنه قتل زوجته على طريقة وليم تل وهو يعبث بمسدسه، وإلى أنه تهرب من الخدمة العسكرية بأن قطع مفصل إصبعه، وأضاف محرر المجلة أن مؤلفنا ليس قاتلاً فحسب بل داعرًا وشاذًا من الناحية الجنسية.

كان مؤلفنا آنذاك يعيش فى إنجلترا فاستشار محاميا لرفع قضية قذف وتشهير ضد مجلة التايم. وبالفعل رفع مؤلفنا قضية ضدها فى مارس ١٩٦٣ أمام إحدى محاكم لندن. ورغم أن الحكم جاء لصالحه فإنه كان مخيبا لآماله؛ فقد حكمت المحكمة الملكية اللندنية بتغريم المجلة خمسة جنيهات وخمسة شلنات (أى نحو ثلاثين دولارا بأسعار العملات فى تلك الفترة تسلمها مؤلفنا من المحكمة فى يناير ١٩٦٤. وحاول بوروز إلقاء بيان فى المحكمة ولكن القاضى رفض السماح له بذلك واكتفى –كما رأينا– بتعويضه عن الأذى الذى لحق به بمبلغ هزيل.

والجدير بالذكر أن الكاتب الإنجليزى جون وين تناول رواية "الغداء العارى" فى مقال طويل، نشرته صحيفة النيوريبليك جاء فيه: أن أهمية رواية بوروز لا ترجع إلى نصها الروائى بل إلى الضجة التى استقبلها النقاد بها. وصف جون وين رواية "الغداء العارى" بأنها مجرد لغو وكلام فارغ ليس له قيمة، ولا يستحق إلقاء نظرة ثانية عليه، ليس لأنه كتاب بذئ بل لأنه كتاب تافه يدعو إلى الموت ويدافع عنه، فى حين أن الأدب المكشوف نفسه ينطوى على دعوة للحياة.

وأثار هذا الهجوم ثائرة الناقد ريتشارد كوستلانتز المتخصص فى الأدب الأمريكى المعاصر فتصدى له وشن هجوما عاتيا على جون وين، منكرًا أن وين يقتل الأدب الطليعى فى بريطانيا. وأكد كوستلانتز أن رواية "الغداء العارى" أقرب فى روحها إلى كافكا، وأشاد بقدرتها على إثارة الرعب والفكاهة فى آن واحد. فضلا عن أنها شىء جديد وأصيل فى عالم الأدب.

وكذلك لم يرق هجوم جون وين على "الغداء العارى" فى عينى جورج سبيجيل الذى انبرى للدفاع عن بوروز وروايته، غير أن الكاتبة كاى بويل أيدت هجوم جون وين على مؤلفنا قائلة "إن كافكا نفسه لو كان حيا يرزق فلن يستطيع أن يتجاوز فى قراءته الصفحة الأولى من رواية بوروز".

وأيضا امتدحت فلورنس هاو الرواية، ورأت فى الشذوذ الجنسى الذى تتناوله وصفا للخراب والفناء الأخلاقى والسياسى والفكرى. وعلى أي حال يتعين علينا أن نذكر أن معالجة الإدمان والموت والشذوذ الجنسى ليس بالأمر الجديد على الكتابات الأدبية فى الغرب ولكن الجديد فى رواية "الغداء العارى" أنها عالجتها جميعا فى إطار الفكاهة السوداء. ونشر ألفريد تشستر مقالا فى مجلة كومنتارى (تعليق) أكد فيه أن رواية "الغداء العارى" قدمت لطبقة المثقفين مشكلة محيرة للألباب، تتمثل فى محاولة تحديد ماهية الخير فى كون تتساوى فيه جميع الأشياء باعتبارها جميعا عبثا باطلا. وضرب تشستر أمثلة على ذلك مستشهدا على صحة رأيه بالروائيين الفرنسيين الذين قارن بينهم وبين بوروز. قال "إن بوروز فى واقع الأمر صنو للروائى الفرنسى ألان روب جرييه". ولكن مدح تشستر لبوروز لم يخل من النقد اللاذع له. فهو لا يعتبر "الغداء العارى" عملا عبقريا كما يرى أن الجزء الأول منها صالح للقراءة دون تقليب لصفحاتها فى حين أن الجزء الأخير منها يصلح لتقليب صفحاته دون قراءته.

أما محرر مجلة نيوستيسمان فقد اعترف بعجزه عن فهم الثناء العاطر الذى أمطره نورمان مالر وماري مكارثى على الرواية. فضلا عن اعترافه بعجزه عن فهم الرواية لأن أحدا لم يعطه المفتاح اللازم لفهمها. والرأى عنده أنها تخلو تماما من المزايا الإيجابية أو حتى من الأخطاء المثيرة للاهتمام، كما أنه ليس فيها أى جديد، فهى بلا مذاق أو طعم بل هى تلال من الكلمات النيئة والسيئة السبك التى تنزف دما. واختتم محرر النيوستيسمان نقده مستغربا وعاجزا عن فهم النزوة التى حدت بمارى مكارثى أن تشيد برواية "الغداء العارى".

وأيضا نشر دافيد مالكولم فى صحيفة النيويوركر مقالا جاء فيه أن رواية "الغداء العارى" لا تستحق الثناء على التجديد الذى يتميز به بناؤها الروائى. واستهزأ مالكولم بهذا الثناء قائلا: "إن الرواية تحتوى على بناء روائى غاية فى الضآلة والفجاجة فهى مجرد تجميع لحكايات وخيالات تعيث فيها الفوضى... إن أهمية هذا الكتاب وما يثيره من اهتمام يرجع إلى كونه وثيقة خام لسيرة حياة مؤلفها الشخصية. وعبر مالكولم عن حيرته واستغرابه من الزعم بأن الأجزاء الفاضحة فى الرواية تهدف إلى تقديم مبحث يهاجم عقوبة

الإعدام. ويقارن هذا الكاتب بين هجاء سويفت وهجاء بوروز فيقول إن هجاء الأول ينجح فى إصابة الهدف فى حين أن هجاء الثانى يطيش ويفشل فى إصابة الهدف.

وظلت الكاتبة مارى مكارثى تستمسك بموقفها المقرظ للرواية مؤكدة أن بوروز يشبه سويفت فى عدة نواحٍ، من بينها الانشغال إلى حد الهوس بالبراز والرعب من فروج النساء والاشمئزاز من السياسة. وكذلك امتدحت مارى مكارثى واقعية بوروز وخلوه من أي عواطف مائعة تنهمر انهمار السيل.

وفى نوفمبر ١٩٦٣، أى بعد مرور ما يقرب من عام على نشر رواية "الغداء العارى" فى أمريكا، نشر الملحق الأدبى لصحيفة التايمز، مراجعة لثلاثة كتب أخرى نشرها بوروز –وهى "الآلة الناعمة"– "التذكرة التى انفجرت" الصادرتان عن دار أولمبيا الباريسية للنشر وكتاب "الأصابع الميتة تتكلم" التى نشرتها دار كولار. ولا يحمل المقال المنشور فى هذا الملحق الأدبى أى توقيع. ولكن كاتبه هاجم بوروز بالضراوة نفسها التى هاجمه بها جون وين واصفا رواية بوروز بأنها أدب فاضح ومكشوف يتستر تحت قناع الأدب. يقول كاتب المقال المنشور فى الملحق الأدبى لصحيفة التايمز: "...إن مذاق الرواية يدعو إلى الاشمئزاز حتى إذا تجاهلنا مناظر الشذوذ الجنسى التفصيلية – الخالية تماما من كل أثر للرقة والرحمة والخيالات الجنسية الشاذة التى تعجز الكلمات عن التعبير عنها. فهى مجرد ممارسة شفوية خالصة للعادة السرية. وهى صور درجت دار أولمبيا للنشر على إصدارها على نطاق واسع فى شكل مجلدات".

والجدير بالذكر أن هذا الهجوم المقذع على رواية بوروز دعا إلى أن أنهار سيل عارم من التعليقات استمر لمدة عشرة أسابيع.

استاء الناشر جون كولدر من هذا السيل العارم من الانتقادات الموجهة إلى مؤلفنا؛ لأنها تضمنت تلميحا يسئ إلى سمعته كناشر، وهو الناشر للأعمال المحترمة التى ألفها كثير من الأدباء الكبار أمثال روب جرييه وصامويل بيكيت ويونسكو وبياجيه. ولا غرو فقد تضمن الهجوم على بوروز تلميحا بأنه كاتب مبتذل لا يقدم إلى قرائه سوى الأعمال الفاضحة. ودافع الناشر البريطانى كولدر عن كتابات بوروز بقوله إن الهدف من ورائها هو فضح خبايا ذلك العقل الشرير الذى أفضى إلى إقامة معسكرات الاعتقال والذى ينذر باندلاع هولوكست نووى، أى إبادة نووية.

ولكن هذا الدفاع لم يفت فى عضد كاتب المقال المنشور فى الملحق الأدبى لصحيفة التايمز بل ما فتئ يهاجم بوروز قائلا إن كتاباته تفتقر إلى العقل، وتبعث على الملل بسبب

كثرة ما فيها من تكرار، فضلا عن احتقارها إلى النظام. وهو كاتب من الدرجة الثانية لم يكن ليجذب سوى قدر ضئيل من اهتمام النقاد لولا قدرته الفائقة على صدم مشاعر القراء واستغلاقه المفتعل على الأفهام. وأيدت الكاتبة إديث سيتويل والناشر فيكتور جولانز وجهة نظر كاتب الملحق الأدبى لصحيفة التايمز المناهضة لبوروز، ولكن إريك موترام بكلية كنجز كوليدج تصدى لهذا الهجوم باعتباره غير علمى وغير أكاديمى. وبعد مضى أسبوع واحد شن س.كينيدى -الذى كان كولدر ينشر كتبه- هجوما على كاتب الملحق الأدبى للتايمز واستنكر فكرة الإساءة التى تلحق بجميع المؤلفين الذين ينشر لهم كولدر أعمالهم بسبب إقدام هذا الناشر على نشر بعض أعمال بوروز.

ومرة أخرى كتب الناشر جون كولدر ليعبر عن خيبة أمله من أن كاتبة فى حجم إديث سيتويل وناشرا مثل جولانز يرفضان رواية "الغداء العارى" دون قراءتها. واعترف جولانز بأنه لم يقرأ الرواية المشار إليها، وأضاف إن ملاحظات الناشر كولدر ليست لها أهمية؛ حيث إنه كناشر لا يستطيع التمييز بين الشعر والتراجيديا والرواية.

وأيضا أيدت كاتبة أخرى اسمها مارجريت كيندى الهجوم على رواية "الغداء العارى". وظلت هذه الانتقادات الموجهة إلى الرواية تنهمر حتى حلول عام ١٩٥٩، وهو العام الذى شاهد تغييرا فى قوانين البذاءة المعمول بها فى بريطانيا. ولكن كاتب الملحق الأدبى لصحيفة التايمز استمر فى هجومه على رواية "الغداء العارى" وقال:

"إن الحظر المفروض على المستر بوروز تحول إلى تحدٍ يواجه القارئ الليبرالى المتفتح الذهن. ولو كان لدينا موقف من البذاءة أكثر تعقلا لأصبحت أعمال هذا الكاتب رتيبة على غرار التكنيك الروائى المتكرر والممل الذى يستخدمه".

استمر هذا السجال محتدما بين المتحمسين لكتابات بوروز، والرافضين لها حتى حلول أعياد ميلاد ١٩٦٦. واعترف هارولد هوبسون أنه قابل بوروز ثم طالع روايته "الغداء العارى" فوجدها تبعث على الرتابة والملل. ورغم ذلك فإنه استنكر الهجوم الذى شنه أعداء بوروز على الناشر كولدر والذى كان يعرفه منذ عدة سنوات ويثق فى أمانته ونزاهته المطلقة.

استمرت الملاحاة متأججة حتى أوائل عام ١٩٦٤. وكتب الناشر جون كولدر مرة أخرى ليفند الاتهام بأن رواية بوروز تدعو إلى الشذوذ الجنسى، وتشجع على إدمان المخدرات. وأكد أن الرواية تخلو من أي إشارة من شأنها تشجيع القارئ على تقليد شخصياتها فى ممارسة الرذيلة.

وذهب الكاتب أنتونى بيرجس إلى أن مؤلفنا حاول جاهدًا توسيع حدود الرواية، وإلى أن كتاباته تبين استخدامات المؤلف الجديدة للغة والفكر منذ التجديد الذى أدخله جيمس جويس على فن الرواية.

وبعد ذلك رأت تعليقات هازئة ومستخفة طريقها إلى النشر، ومنها قول أحد الكتاب إن رواية "الغداء العارى" سوف توسع فى شكل الرواية حتى تشمل المراحيض ودورات المياه.

وأخيرا ظهر بوروز بلحمه وشحمه فى مكتب دار كولدر للنشر فى لندن ليرد على منتقديه الذين هاجموه فى الملحق الأدبى لصحيفة التايمز. وشرح بوروز موقفه من المخدرات فقال إنه شخصيا يعتبر إدمانها مرضا مدمرا وإن رأيه السيئ فيها معروف للجميع. فرد عليه مهاجم بقوله إن نواياه وآراءه كمؤلف تقتصر على دائرة صغيرة من المتعاطفين معه. وقال مهاجم آخر إن رواية "الغداء العارى" تدعو إلى القىء، وينبغى السماح بتداولها فى الأراضى البريطانية لا لشىء غير ألا تبدو إنجلترا أكثر تخلفا عن أمريكا فى السماح بوجود هذا القىء فى الأدب".

وأضاف كاتب المقال المنشور دون توقيع فى الملحق الأدبى لصحيفة التايمز إن رواية بوروز لا تثير الاشمئزاز فحسب بل تثير الملل أيضا وإنها تفتقر إلى رسالة أخلاقية قوية كما تفتقر إلى التجديد فى الأشكال الأدبية واللغوية.

ورغم شدة وطيس الملاحاة التى احتدمت بين مؤيد لبوروز ومعارض له على صفحات الملحق الأدبى لصحيفة التايمز فإن هذه الملاحاة لم تسفر عن شىء محدد. كل ما فعلته هو أنها زادت من شهرة مؤلفنا. ولكن هذه المعركة ساعدت بشكل ما على استجلاء وبلورة المعايير والأحكام الأدبية، كما أنها تركت الإحساس بظهور ونمو جنس أدبى جديد مستقل فى معاييره عما سبق... جنس يبتعد كل البعد عن اتباع الآراء الأدبية التقليدية. كما ينأى بنفسه عن المعايير النقدية المتعارف عليها.

وهكذا بدت الفجوة بين الأجيال وكأنها هوة سحيقة. وهى هوة لم تقتصر على الأدب، بل امتدت إلى الموسيقى والفن والسياسة. وأيضا بدت رواية "الغداء العارى" جزءا من احتجاج الشباب الاجتماعى والفكرى الذى ساد العالم الغربى فى أواخر عقد الستينيات من القرن العشرين، وتجلى فى مظاهرات الطلبة الصاخبة التى اجتاحت جميع أرجاء أوروبا وأمريكا.

حظر رواية "الغداء العارى"
فى مدينة بوسطن وتقديمها إلى المحاكمة

يرجع سجل مدينة بوسطن الأمريكية فى الرقابة والحظر إلى أيام التزمت الدينى وضيق الأفق الفكرى، وذلك عندما اكتشف حاكمها وليم برادفورد عام ١٦٢٨ أن المرتد توماس مورتون المعروف بسوء السمعة والسلوك نظم أشعارا مختلفة، يميل بعضها إلى الانحلال فرأى أن الحل الوحيد لاستئصال شأفة الفساد هو إرسال حملة عسكرية لمداهمة المستعمرة الراقية فى بلدة ميرماونت التى يعيش فيها مورتون".

وبحلول عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر اكتسبت مدينة بوسطن سمعة بأنها عاصمة الرقابة الأمريكية، الأمر الذى جعلها مادة للتفكه والتسلية مثل قولهم "محظور فى بوسطن"، حيث نشأت جمعية تعرف باسم جمعية الحراسة والوصاية، وهى جمعية مناظرة لجمعية أخرى ظهرت فى نيويورك باسم جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة، تلك الجمعية التى أنشأها أنتونى كومستوك شيخ الرقباء الأمريكان وإمامهم. وتدل الرقابة التى مارستها جمعية الحراسة والوصاية على ضيق سكان بوسطن ذرعا بالمطبوعات الحديثة المخلة بالأعراف والآداب العامة.

والجدير بالذكر أن مركز الثقل فى مجال الفنون والنشر انتقل فى أوائل القرن العشرين إلى مانهاتن، جاذبا إليه عددا من الفنانين والكتاب، وخاصة بعد أن جفت ينابيع الخلق الأدبى

والإبداع الفنى فى بوسطن، الأمر الذى جعل هذه المدينة تقف فى وجه أى نزوع نحو التجديد فى مجال الفنون والآداب. ولهذا اشتهرت بوسطن بمناوأة الحداثة والتجديد، ووقفت فى أوائل عقد الستينيات بالمرصاد لعدد من الأعمال الأدبية وفرضت الحظر على الروايات التالية: "مدار السرطان"، و"فدان الله الصغير"، و"فانى هيل"؛ إلى جانب رواية وليم بوروز "الغداء العارى" فلا غرو إذا رأينا قوانين البذاءة فى ولاية ماساشوستس تطبق بطريقة تعسفية، مما جعل صحفيا مهتما بالشئون القانونية يكتب فى مجلة جامعة بوسطن للقانون عام ١٩٦٢ ما يلى:

"إن ماساشوستس التى تمثل الحشمة واللياقة لها تاريخ طويل فى فرض الحظر على الأدب".

ولم يطالب هذا الصحفى بسنَّ تشريعات جديدة خاصة بالبذاءة؛ ولكنه نادى بتحديد أدق للقوانين الموجودة بالفعل. وقد اضطلع بهذه المهمة نائب عام ينتمى إلى الحزب الجمهورى وبعض معاونيه من المحامين الشبان. ولكن قدامى العاملين والمحامين ظلوا على جمودهم، واستمروا فى إلقاء القبض على بائعى الكتب الذين يتاجرون فيما يعتبره قدامى العاملين والموظفين مادة غير مشروعة. ولعل أوضح دليل على هذا التشدد، والتزمت ما حدث لصاحب مكتبة فى بوسطن من أصل يونانى اسمه ثيودور مافريكوس يتاجر فى الكتب غير المحتشمة حيث قام بوليس بوسطن بالقبض عليه قبل عام ١٩٦٣ ما لا يقل عن تسع مرات بتهمة الاتجار بالكتب الساقطة.

وفى شهر يناير من العام الآنف الذكر التحق الجاويش إدموند جريفين بالعمل كمرشد فى بوليس الآداب الذى تلقى من عدد من الآباء والأمهات شكاوى مفادها أن مافريكوس يبيع للناس رواية فاضحة بعنوان "الغداء العارى". وكان هذا الرجل معروفا لدى بوليس الآداب بسبب كثرة عدد مرات القبض عليه. فتم تكليف الجاويش جريفين بمداهمة المكتبة الكائنة بشارع واشنطن ببوسطن التى تبيع هذه الرواية الخليعة، وبرفقته اثنان من المخبرين يلبسان الملابس المدنية.

أمر جريفين رفيقيه بدخول المكتبة بينما ظل هو خارجها. وطلب أحد المخبرين من البائع شراء نسخة من رواية "الغداء العارى" فأعطاه البائع خلسة، ومن تحت المنضدة نسخة من هذه الرواية وهو يقول للمشترى: "هذه نسخة من الكتاب الذى طلبته". وفور أن أمسك المخبر بالكتاب سأل البائع مافريكوس إذا كان يعلم أن الكتاب بذئ؛ نظرا لأن القانون يلزم

البائع بمعرفة طبيعة أى كتاب يعرضه للبيع. وما إن أومأ مافريكوس برأسه بالإيجاب حتى قام الجاويش جريفين بمداهمة المكتبة وألقى القبض على صاحبها.

وحسب رواية فرانك داردينو محامى مافريكوس احتد موكله فى كلامه وارتفع صوته. وكان بوليس الآداب قد عقد العزم على تطهير المنطقة من كل أثر للبذاءة، الأمر الذى حدا برجاله إلى مداهمة المكتبات للتفتيش عما تحتويه من كتابات بذيئة والانقضاض عليها فور الاشتباه فيها. وهو تصرف يجافى القانون. وقرع مافريكوس بوليس الآداب على انتهاكه للقوانين، كما وجه انتقاداته إلى الهيئات السياسية والدينية والفكرية والقانونية فى بوسطن. والجدير بالذكر أن تكرار إلقاء القبض على مافريكوس أدى إلى انخفاض دخله اليومى من المكتبة من ألف دولار إلى خمسين دولارًا.

لم يكن مافريكوس يرى أى ضرر فى إتجاره فى الكتب البذيئة. فضلا عن أنه رأى أن كل إنسان له الحرية فى أن يقرأ ما يشاء.

علم بارنى روسيت المسئول عن دار جروف بريس للنشر بأمر القبض على مافريكوس صاحب المكتبة فى بوسطن. وكان القبض عليه واردا فى الحسبان، فكتب فى ٧ فبراير ١٩٦٣ إلى موريس جورديناس الذى لامه على تأخره فى نشر الرواية يقول:

"كان بائع كتب فى بوسطن أول ضحية ضبط رواية (الغداء العارى)". وبالنظر إلى ما سبق أن تكبده بارنى روسيت من نفقات بسبب دفاعه فى ساحة القضاء عن رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر فقد أصبح وضعه المالى لا يسمح له بالدفاع عن كل موزع كتب يقبض عليه أثناء بيعه رواية بوروز. فضلا عن أن العقد الذى وقعه صاحب دار جروف للنشر أعطاه حق الدفاع أو الامتناع عن الدفاع فى ساحة القضاء عن الرواية. ورغم أن هذا الناشر لم يكن من الناحية القانونية ملزما بالدفاع عن رواية بوروز فإنه بادر بالاتصال بالمحامى إدوارد دى جرازيا كى يتولى الدفاع عن مافريكوس أمام محاكم بوسطن. وهو محام متخصص فى الدفاع عن حرية التعبير والتعديل الأول للدستور. فضلا عن أنه نشر العديد من الأبحاث فى المجلات القانونية التى تعالج مشكلات الكتابة البذيئة. وكان اختيار المحامى دى جرازيا المنحدر من عائلة مهاجرة من جزيرة صقلية إلى الولايات المتحدة اختيارا موفقا فهو يدعو إلى الثقة به رغم مظهره الخجول وتلعثمه فى الكلام.

وفى يوم ١١ مارس ١٩٦٣ قام لويس شرايبر عضو لجنة المكتبات بولاية ماساشوستس، وهى لجنة كرست نفسها للدفاع عن الحرية الفكرية، بإرسال خطاب إلى النائب العام إدوارد بروك، احتج فيه على القبض على مافريكوس لبيع نسخة من رواية "الغداء العارى". وأيضا فى اليوم التالى سطر ألبرت بيسيل رئيس اتحاد الحريات المدنية فى ماساشوستيس خطاب احتجاج موجها أيضا إلى إدوارد بروك.

وفى يوم ٦ مايو ١٩٦٣ أعلن النائب العام أنه سوف يتبع سياسة من شأنها تجنب اتخاذ أي إجراءات جنائية وطمأنة بائعى الكتب بأن القانون سوف يأخذ مجراه الطبيعى. وتتلخص هذه السياسة الجديدة فى محاكمة الكتاب[*] in rem، بمعنى أن تتولى النيابة فحص الكتاب للتأكد من بذاءته قبل إلقاء القبض على البائع أو الموزع أو توجيه الاتهامات الجنائية ضدهما.

ويوضح إلقاء القبض على ثيودور مافريكوس بتهمة الاتجار فى مادة بذيئة الجوانب الفقهية المختلفة لدى المشتغلين بالقانون. وناقش فرانك دارينو محامى المتهم الأمر مع كل من النيابة المحلية والنيابة العامة طالبا منهما تقديم ما يثبت بذاءة الكتاب قبل اتخاذ أي إجراءات ضد مافريكوس. وفى الجو المناهض للأدب المكشوف الذى ساد بوسطن شعر داردينو محامى المتهم بأن الدافع وراء اتخاذ النيابة الإجراءات القانونية ضد مافريكوس كان سياسيا بالدرجة الأولى. فرئيس النيابة أو وكيلها موظف عام ويضره كثيرا لو شعر الناس أنه يتعاطف مع الأدب المكشوف. يقول وليام آى كوين مساعد النائب العام إن بروك على المستوى السياسى كان يخشى أن يظهر بمظهر المتعاطف مع الأدب الفاضح، ولا يتخذ ضده أي إجراءات حازمة أو صارمة، أو يظهر بمظهر المتهاون مع مافريكوس ويتغاضى عن مسلكه الشائن.

ولم تفعل النيابة المحلية أو النائب العام شيئا لحل هذه المشكلة حتى نهاية العام. وبحلول آخر العام كانت دار نشر جروف بريس قد قررت ليس مجرد مساندة مافريكوس فحسب بل أيضا مطالبة النيابة العامة بالمضى قدما لإثبات بذاءة رواية "الغداء العارى" قبل تقديمها إلى المحاكمة. ولهذا السبب قام المحامى دى جرازيا المتخصص فى القوانين الخاصة بحرية التعبير يوم ١١ سبتمبر ١٩٦٣ بالكتابة إلى جوزيف نولان مساعد النائب الإقليمى للبدء فى

---

[*] دعوى قائمة على حق انتفاع لا يتناول شخصًا بعينه بل تقام فى مواجهة الكافة.

اتخاذ الإجراءات المتبعة فى مثل هذه الحالات، كما طلب تأجيل البت فى قضية البائع مافريكوس لحين إثبات بذاءة الكتاب بالفعل. وبالفعل نجح هذا المحامى فى تأجيل القضية.

انتهز المحامى دى جرازيا الفرصة لحث الآخرين على كتابة المزيد من خطابات الاحتجاج والمطالبة بإثبات بذاءة بوروز قبل اتخاذ أي إجراءات ضد بائعها. وفى نهاية يناير ١٩٦٤ كتب شرير العامل بجمعية ماساشوستس للمكتبات خطاب احتجاج وجهه إلى رئيس النيابة المحلية. وكذلك كتب مارفن جبلر عضو المؤتمر اليهودى الأمريكى خطاب احتجاج إلى كل من برين رئيس النيابة المحلية وبروك رئيس النيابة العامة.

وبحلول شهر مارس بدا أن مكتب النيابة المحلى على استعداد لتأجيل اتخاذ الإجراءات القانونية ضد مافريكوس لحين البت فى بذاءة رواية "الغداء العارى". وتحدد موعد كى يناقش محامى المتهم المشكلة مع رئيس النيابة المحلية والنيابة العامة، وتقرر التقاؤه بمساعد المحامى العام ليوكوزول ومساعد النائب المحلى جوزيف نولان يوم ٩ أبريل ١٩٦٤ فى مدينة بوسطن، واستبشر خيرا بقيام النيابة العامة بفحص الكتاب لإثبات بذاءته قبل اتخاذ أي إجراءات قانونية ضد موزعه. فضلا عن شعوره بأن مكتب النائب العام بروك اعتبر أن الرواية تتمتع بحماية الدستور لها، الأمر الذى جعله يحجم عن البدء فى رفع القضية ضد الكتاب. وعلى أي حال رأى المحامى جرازيا أن بروك سوف يمضى قدما فى رفع القضية لينقذ ماء وجه برايت الذى اتخذ الإجراءات الأولية لبدئها. غير أن الأمر بدا مختلفا بالنسبة لبروك الذى لم يكن يعنيه حفظ ماء وجه رئيس النيابة الإقليمى؛ ولكنه كان مشغولا بإيجاد حل لمشكلة قانونية يحتدم حولها الجدل بسبب حرصه على ترسيخ تقاليد الحريات المدنية.

اتفق المجتمعون فى بوسطن على ضرورة المضى قدما فى رفع قضية ضد رواية "الغداء العارى". وفى أول مايو ١٩٦٤ طلب دى جرازيا -نيابة عن دار جروف بريس للنشر- من النائب العام أن يبدأ فى اتخاذ الإجراءات القانونية ضد رواية "الغداء العارى".

وفى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ قام مكتب النائب العام برفع قضية أمام المحكمة العليا حيث رأى أن هناك أسبابا تدعو إلى الاعتقاد فى بذاءة "الغداء العارى".

وفى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٤ قام فرانسيس جود القاضى بالمحكمة العليا بالنظر فى القضية، وقرر أن هناك بالفعل أسبابا وجيهة تدعو إلى الاعتقاد ببذاءة رواية بوروز. وبناء

عليه طلب من النائب العام إصدار بيان مناهض لرواية "الغداء العارى" ومضاد لمؤلفه وناشره معا.

وبادر النائب العام بإصدار هذا البيان فى اليوم نفسه، وفى يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٤ بدأت المحكمة فى اتخاذ الإجراءات اللازمة. وتحدد موعد لبدء إجراءات المحاكمة فى شهر يناير ١٩٦٥.

ومن ناحيته بدأ المحامى دى جرازيا فى تجميع الشهود للإدلاء بشهاداتهم أمام المحكمة. واقترح المحامى على روسيت صاحب دار جروف بريس للنشر أن يدلى المؤلف بوروز بشهادته أمام المحكمة، رغم أنه لم يكن موقنا من حضوره فى ساحة القضاء. ومن ثم رأى أن شهادة آلن جنسبرج سوف تكون أكثر جدوى وفائدة من شهادة المؤلف نفسه. وطلب المحامى جرازيا أن تتكفل دار جروف بريس للنشر بدفع نفقات سفر الشهود وإقامتهم فى الفنادق، فضلا عن دفعها مبالغ رمزية للمحللين النفسيين الذين يحضرون للإدلاء بشهاداتهم.

وقبل موعد المحاكمة بوقت قصير أرسل المحامى دى جرازيا إلى كل شاهد قائمة بالأسئلة التى يزمع توجيهها إليه فى المحكمة. وكذلك طلب من الشهود إعداد بيان مكتوب، يتضمن رأيهم فى قيمة الرواية من النواحى الاجتماعية والنفسية والأدبية والطبية.

وفى الليلة التى سبقت المحاكمة أقام المحامى دى جرازيا حفلة فى الفندق الذى ينزل فيه، دعا إليها الشهود الذين استدعاهم للشهادة.

اليوم الأول من المحاكمة

وقع اختيار النائب العام بروك على مرءوسه وليام كووين لبحث مسألة رفع القضية ضد رواية "الغداء العارى". وكان لكووين خبرة بقضايا البذاءة المرفوعة أمام المحاكم، فقد سبق له أن بحث قضية ماساشوسيتس ضد رواية "مذكرات امرأة ساقطة"، وبات من الواضح أن إثبات بذاءة الكتب قبل تقديم بائعيها إلى المحاكمة إجراء يأخذ فى الاعتبار عدم إلحاق أي أضرار جنائية بالبائعين والموزعين إذا لم يكن هناك ما يدعو إلى ذلك، وخاصة لأنه حدث فى الماضى فى حالة إلقاء القبض فى بوسطن على بائع كتب أن أصاب الهلع زملاءه فى المهنة، وامتنعوا عن بيع الكتب موضع الجدل فى مكتباتهم خوفا من الزج بهم فى السجون. ولم يكن هذا الإجراء القاضى بإثبات بذاءة الكتاب ككتاب مريحا ومدعاة لاطمئنان بائعى الكتب فحسب، بل كان أيضا مناسبا من الناحية السياسية، فهو يعطى الرقباء فرصة الظهور أمام الجمهور بالمظهر الليبرالى وبالسماحة الفكرية دون التهاون فى حالات البذاءة. والجدير بالذكر أن جمعية المكتبات الأمريكية بولاية ماساشوستيس برئاسة إرفين جيتس استقبلت السياسة الجديدة التى اتبعتها النيابة العامة بترحاب شديد.

وفى ١٢ يناير ١٩٦٥ فى تمام الساعة العاشرة صباحا أعلن المحامى دى جرازيا فى القاعة رقم ٣١٤ بمحكمة محافظة سفولك أنه يتخلى عن حقه فى أخذ رأى المحلفين فى موضوع بذاءة الكتب، مفضلا أن يتولى القاضى بنفسه الحكم فيه، فقد تعلم المحامون درسا من موقف المحلفين من قضايا البذاءة، فهم يظهرون قدرا هائلا من سماحة الفكر واتساع الأفق على المستوى النظرى فقط. ولكن ما إن تعرض عليهم المجلات والمواد البذيئة بالفعل حتى ينسوا تماما سماحتهم الفكرية، ويتخذوا إجراءات صارمة ومواقف متشددة مع أصحاب الصور والكتابات البذيئة. وهكذا تعلم المحامون من واقع التجربة أن القضاة أكثر موضوعية وسماحة وإعمالا للعقل فى أمور البذاءة من المحلفين.

وقد أنيط بأيوجين أ.هدسون القاضى بمحكمة ماساشوستيس العليا أن يرأس محاكمة رواية "الغداء العارى". بدأ هذا القاضى بدعوة كووين مساعد النائب العام لتقديم قضيته المرفوعة ضد الكتاب. وقدم كووين نسخة من رواية "الغداء العارى" التى أصدرتها دار نشر جروف بريس فى نيويورك. وطلب القاضى من المحامى إلقاء نظرة على الكتاب حتى يتأكد أنه الكتاب نفسه موضع النزاع. فأجاب المحامى دى جرازيا أنه الكتاب نفسه.

بدأ دى جرازيا دفاعه عن الكتاب بأن قدم للمحكمة قائمة من المقالات والمراجعات لرواية "الغداء العارى" باعتبارها دليلا وثائقيا على قيمة الرواية الاجتماعية والأدبية والفنية. وأشار المحامى إلى أن هذه المقالات نشرت فى أكثر الصحف والدوريات احتراما.

وأكد كووين صحة هذه الوثائق، وأنه يمكن استخدامها فى تحديد أو تعريف معايير المجتمع، ولكن القاضى هدسون اعترض على استخدام هذه المقالات كدليل على قيمة الرواية؛ لأن الأحكام التى تضمنتها هذه المقالات لا تخرج عن كونها آراء وشائعات لا ترقى إلى مرتبة اليقين. أما القاضى هوسون فقد احتفظ بحقه فى الحكم على اعتراض الدفاع لحين قيامه بمطالعة هذه المقالات بنفسه.

وأضاف المحامى دى جرازيا بأنه قدم المقالات كدليل على التعرف على الكتاب دون أن يتطرق إلى محتواها؛ علما بأن قائمة المقالات المقدمة ضمت الانتقادات اللاذعة المنشورة فى صحيفة التايم. فضلا عن هجوم الأديب جون وين الشديدة الوطأة على الرواية والمنشور فى صحيفة الجمهورية الجديدة.

ومنذ بدء المحاكمة شعر محامى دار جروف بريس للنشر أن القاضى هدسون غير متعاطف مع رواية بوروز.

على كل حال استمر المحامى دى جرازيا فى تقديم نسخ المقالات المنشورة حول الرواية كدليل على أهميتها الاجتماعية. ولكن القاضى مرة أخرى علق حكمه على هذه المقالات لحين انتهائه من قراءتها.

وقدم الدفاع كتاب كاندى الذى ألفه تيرى سوزرن كنموذج لمعايير المجتمع عن التهذيب. وكذلك قدم الصفحة رقم ٨١ من صحيفة نيويورك تايمز الصادرة بتاريخ ١٠ يناير ١٩٦٥ التى أوضحت أن كتاب كاندى ظل يتربع قائمة الكتب الأكثر مبيعا على مدار ٣٧ أسبوعا. واعترض كووين ممثل الادعاء على تقديم كلا المقالين. ولكن القاضى هدسون احتفظ بحقه فى الحكم على هذه المقالات فى وقت لاحق.

وحتى يثبت محامى دار جروف بريس حسن سمعة هذه الدار قدم إلى المحكمة قائمة كاملة بجميع مطبوعاتها. غير أن ممثل الادعاء كووين اعترض على هذا الإجراء. وأيد القاضى هدسون هذا الاعتراض مستبعدا قائمة المطبوعات كدليل على تبرئة دار جروف

للنشر. وأيضا قدم دى جرازيا قائمة مؤلفات وليم بوروز كدليل! فاعترض الادعاء على هذا أيضا. ولكن القاضى فى هذه المرة وافق على ضم هذه المؤلفات إلى ملف القضية.

ولم تثبط همة المحامى دى جرازيا فسعى ما وسعه السعى إلى إقناع القاضى بالسماح بضم قائمة مطبوعات دار جروف بريس للنشر، كدليل على جدية دار النشر هذه وجدية مطبوعاتها، وخلو هذه المطبوعات من البذاءة. ولكن القاضى أصر على الرفض.

وطلب محامى دار جروف للنشر من المحكمة أن توضح له الأساس الذى قدمت بمقتضاه رواية "الغداء العارى" للمحاكمة. وعبر هذا المحامى عن شكوكه فى سلامة الطلب الذى تقدم به بروك إلى جود قاضى المحكمة العليا بضرورة إثبات بذاءة أى كتاب كشرط قبل تقديم بائعه أو أى شخص آخر للمحاكمة. غير أن القاضى هدسون نبه دى جرازيا إلى أن الحكم الذى أصدره القاضى فى هذا الشأن يشكل فى هذه القضية الغرض أو الهدف المنشود فى الوقت الحالى.

افتتح المحامى دى جرازيا دفاعه بالتأكيد على أن واجب المدعى العام يقتضى منه أولا: تقديم أدلة تثبت بذاءة "الغداء العارى" من الناحية القانونية، وأن هذه الرواية لا تروق فى عين المجتمع الأمريكى. ثانيا: أنها تنتهك معايير التهذيب فى المجتمع الأمريكى المعاصر، وأنها مسيئة وأقرب ما تكون إلى الأدب المكشوف. ثالثا: يتعين على المدعى العام أن يثبت أنه ليس للكتاب أي أهمية اجتماعية. والذى لا شك فيه أن المحامى كان يرمى من وراء هذه المطالب الثلاثة أن يوضح عجز المحكمة عن إثبات أى من هذه النقاط الثلاث.

وأبلغ دى جرازيا المحكمة أنه سوف يبادر بتقديم شهود لتوضيح أهمية الكتاب الاجتماعية؛ لأن هذا التوضيح من شأنه أن يؤدى إلى رفع الحظر المفروض عليه. قال المحامى دى جرازيا للمحكمة:

"سوف يستدعى الشهود الذين أدلوا بآرائهم وتعليقاتهم الأخرى على الرواية التى من شأنها أن تثبت أهميتها الأدبية والفنية علاوة على الذين أوضحوا أهميتها السوسيولوجية والنفسية والأخلاقية. وأنهى الدفاع مرافعته بالتنويه بأهمية الكتاب الاجتماعية حيث إنه يصور أكثر أنواع الجحيم فظاعة".

وهنا ظهرت إمارات الفزع على وجه القاضى فسأل دى جرازيا بقوله: "تقول أكثر أنواع ماذا فظاعة؟" فأجاب دى جرازيا بقوله "الجحيم" وأعنى به "إدمان المخدرات والهيروين. فالكتاب يتصدى بشكل جلى وواضح لهذا الجحيم ويهاجمه بكل صوره وأشكاله".

وكان أول شاهد استدعته المحكمة للحضور الكاتب جون كياردى الذى جاء لمناصرة رواية "الغداء العارى". وطلب القاضى من جميع الشهود الحاضرين أن يتقدموا لحلف اليمين. ولكن كياردى رفض واكتفى بالتأكيد على صحة شهادته. وباستثناء الشاهد بول هولاندر قبل جميع الشهود، ومن بينهم نورمان مالر وآلن جنسبرج أن يقسموا على قول الحق.

وقف كياردى على منصة الشهود وأدلى باسمه وعنوانه فى قاعة المحكمة واصفا نفسه بأنه شاعر. وتناول خلفيته الأكاديمية والمهنية قائلا إنه أستاذ بجامعتى هارفارد وروتجر. وأضاف إنه يعمل محررا للشعر فى صحيفة ساترداى ريفيو. وأنه عضو فى المعهد القومى للفنون والآداب. فضلا عن عضويته فى أكاديمية الفنون والعلوم، إلى جانب رئاسته لجمعية اللغة الإنجليزية بالكليات الجامعية، وإلقائه ما يقرب من خمسين محاضرة فى طول البلاد وعرضها أثناء هذا العام.

سأل المحامى دى جرازيا الأديب كياردى إذا كان قد قرأ رواية بوروز، وأن يخبر المحكمة رأيه فى أهميتها. وأقر كياردى بأنه قرأ رواية بوروز كما أشار إلى المقال الذى سبق أن نشره فى مجلة ساترداى ريفيو بعنوان "حارقو الكتب فى سن السادسة عشرة اللذيذة". واعترف أنه سطر هذا المقال عندما نشرت مجلة "المائدة الكبيرة" بعض مقتطفات من الرواية، وأن نوعية هذه المقتطفات أثارت اهتمامه. ولكنه أسرع ليضيف قوله: "غير أن رأيى اللاحق حين طالعت الرواية ككل أن بناءها يتسم بالبطء، وأنها بعض الشىء شبيهة بالأسفنجة المشبعة بالماء. ومن ثم فإنى أقل حماسا للرواية ونوعية سردها من ذى قبل".

وخوفا من أن تترك كلماته أثرا سلبيا فى المحكمة أسرع كياردى إلى تحديد عباراته ومقصده بدقة أكبر قال: "هدفت من وراء كلماتى إلى التعبير عن وجهة نظرى من الناحية الأدبية. والرأى عندى أن رواية (الغداء العارى) عمل جاد، ابتدعته قريحة مؤلف يتمتع بقدر من الموهبة والالتزام، ولكنى لا أعتقد أن رواية (الغداء العارى) عمل فنى عظيم بل هى على أي حال عمل جاد ومهم لا يطويه النسيان".

ثم مضى كياردى يقول: إن الرواية تبعث على الملل بسبب الطريقة العجيبة والشاذة التى كتبت بها. ولكن الصراع الشخصى الذى انخرط فيه المؤلف بين إدمان المخدرات وعذاب الروح يعفى ما تعانيه الرواية من افتقار للحذق والكفاءة؛ لأن الرواية تسجل تجربة مؤلفها مع تعاطى المخدرات المشحونة بالشاعرية والتعاطف الإنسانى. فضلا عن أن الرواية تجاوزت مشكلة إدمان المخدرات إلى تصوير الصراع الدائم بين الخير والشر. ويرى كياردى أن الرواية لا يمكن أن تتصف بالانحلال أو مجافاة الأخلاق؛ لأنها تحاول أن تواجه وتصور أعماق الألم الإنسانى، ولأنها أشبه ما تكون بموعظة يتطاير فيها شرر الجحيم حيث إنها هيجت مشاعرنا، وأيقظت فينا الوعى بالشر. ومن ثم لا يمكننا بأى حال من الأحوال وصف الرواية بالتهتك والانحلال.

ثم تناول كياردى استخدام بوروز للألفاظ البذيئة فى روايته، وقارن بينها وبين اللغة التى استخدمها دانتى فى الكوميديا الإلهية. قال:

"أعتقد أن المسألة تتلخص فى أن دانتى عندما غمس خطاياه وذنوبه فى البراز فإنه لم يطلق عليه اسم البراز. وعندما يعالج الكاتب موضوع الانحلال فإنه يتعين عليه أن يستخدم لغة خشنة وفظة، كما أنه يتعين عليه استخدام اللغة الفظة حتى المنتهى كى يبين فظاظتها. ولست أرى خطيئة فى مسلك الكاتب الذى سار على نفس درب معلمه. وعندما يريد بوروز إيضاح مستوى معين من الانحلال والتهتك، فإنه يحاول إضفاء الفظاعة على لغته حتى ينجح فى تحقيق ما يريد". وبهذا أنهى كياردى دفاعه عن رواية "الغداء العارى".

بدأ وليم آى كووين ممثل الادعاء فى سؤال كياردى إذا كان المؤلف بوروز واعيا بما يفعل حين قام بتجميع ملاحظاته ومذكراته عند كتابة روايته، وإذا كان واعيا بما يفعل أثناء تضمين هذه المذكرات والملاحظات فى روايته. عندئذ بدت أمارات الحيرة على وجه كياردى، وهو يرد على هذا السؤال بقوله إن بوروز كان بكل التأكيد واعيا بما يكتب. وهنا تدخل المحامى دى جرازيا ليوضح للقاضى عدم فهمه للسؤال الذى طرحه الادعاء على الشاهد. ودار بين الدفاع المتمثل فى دى جرازيا والقاضى هدسون الحوار التالى:

دى جرازيا: إذا سمحت لى... هل هذا سؤال عن كيفية بناء المؤلف لمادته الروائية؟

هدسون: أظن أنى سأتمكن من سماعك على نحو أفضل لو أنك نهضت واقفا.

دى جرازيا: هل هذا سؤال موجه إلى المستر كياردى لمعرفة وجهة نظره فى كيفية قيام المؤلف ببناء مادته الروائية؟

كووين (ممثل الادعاء): هل أعتبر هذا اعتراضا على سؤالى؟

دى جرازيا: لست أفهم السؤال؟

هدسون: ولكن الشاهد فهمه وأجاب عنه.

دى جرازيا: ولكنى لم أسمع إجابة الشاهد.

كياردى: يجب أن أعترف بأنى مضطرب بعض الشىء. وهناك افتراضان قائمان. إما أنه كان يدرك ويعى أنه يؤلف كتابا. وإما أنه ألف كتابه وهو فى حالة ذهول وشرود فكر. ولست من ناحيتى أعتقد أنه كتبه بطريقة أوتوماتيكية وهو شارد اللب.

بدا من الواضح أن الادعاء كان يهدف من وراء سؤاله إلى إلزام الشاهد بتوضيح ما ذكره المؤلف فى إشارته (ص٥) من المقدمة التى أعلن فيها ما يلى: "لست أتذكر على وجه التحديد كتابتى للمذكرات والملاحظات التى أصبحت الآن منشورة بعنوان (الغداء العارى). وهى عبارة يستطيع كووين استخدامها للنيل من أمانة الرواية الفنية والانتقاص من قدرها.

قال كياردى ردا على هذا إنه شخصيا كثيرا ما يبدأ فى كتابة شىء ويضعه على المكتب ثم ينساه. ولكنه يستفيد منه فى وقت لاحق دون أن يتذكر شيئا عن تأليفه له بالفعل.

ثم سأل ممثل الادعاء الشاهد كياردى إذا كان يرى أن بعض أجزاء الرواية تبدو مريضة من الناحية الجنسية فأجاب هذا الكاتب إنه لا يمكن لأى شىء مريض أن يستثير النوازع الجنسية؛ لأنهما شيئان متناقضان. عندئذ سأله كووين إذا كان يعتقد أن بعض أجزاء الرواية يتسم بالشذوذ الجنسى، فاعترف كياردى بصحة هذا. ولكنه أضاف إن هذا الشذوذ الجنسى شىء ثانوى بالنسبة لموضوع الرواية. واعترض المحامى دى جرازيا على هذه الأسئلة؛ لأنها لا تمت إلى صلب الموضوع بصلة. ولكن القاضى فى الوقت نفسه رفض قبول اعتراض الادعاء.

استمر الادعاء فى السؤال إذا كانت رواية بوروز تتضمن إشارات كثيرة إلى الشذوذ الجنسى والبراز البشرى. ورغم اعتراف كياردى بكثرة ورود هذه الإشارات فى الرواية فإنه أوضح أنها ليست سائدة أو طاغية.

وطلب كووين ممثل الادعاء من كياردى التعليق على تلك الفقرة من الرواية المعروفة بالجزء الخاص ببنواى، والاكتفاء بالإشارة إليه دون قراءته فى قاعة المحكمة. وهى الفقرة التى يشرح فيها بنواى أن إحدى طرائقه تتلخص فى تنويم القسيس تنويما مغناطيسيا، وإخباره بأنه على وشك إتمام أقنوم الاتحاد مع الحمل، ثم يوجه ماعزا شهوانيا إلى شرج الحمل. وسأل كوين ممثل الادعاء إذا كان الحمل المشار إليه فى الفقرة هو المسيح حمل الله. فوافق كياردى على هذا التفسير. وعندما طلب كووين من كياردى تفسير هذه الفقرة أجاب بقوله: "إنه يشك أن بوروز نفسه قادر على شرح فحوى هذه الفقرة. وكان هدف الادعاء من هذا السؤال المباغت أن ينتزع اعترافا من الشاهد أن بنواى يزدرى الدين، ويسخر من الإيمان بالروح القدس، ويبين انتشار ممارسة اللواط بين القساوسة، الأمر الذى يسىء إلى مشاعر سكان مدينة بوسطن ذات الأغلبية الكاثوليكية. واغتنم كياردى هذه الفرصة ليبين أن الأثر المبدئى الذى تتركه الرواية أثر أدبى، ولو حاول أى قارئ لا يعبأ بالجانب الأدبى من الرواية المضى فى قراءتها لأصابه الملل وتوقف عن القراءة.

ثم طلب كووين ممثل الادعاء من كياردى فحص هذه الجملة التى أوردها المؤلف فى روايته "طلب حيوان آكل للبراز والخثى طبقًا ثم تبرز فوقه والتهم برازه متلذذا، وهو يصرخ مستمتعا قائلا: "هم هم. هذا الشىء ألذ طعام تشتهيه نفسى". كما طلب كووين منه تعريف كلمة coprophage الإنجليزية الواردة فى الرواية فأجابه كياردى بطريقة تكاد تكون إكلينيكية وطبية: "معناها الكائن الذى يأكل البراز". وفى سعى كووين إلى تضييق الخناق على الشاهد سأله الادعاء عن علاقة هذه العبارة بالصراع بين الخير والشر. ولكن كياردى تمكن للمرة الثانية من التهرب من التورط فى إعطاء إجابة قد تضر ببوروز وروايته. قال كياردى إن هذه العبارة المشار إليها مذكورة خارج سياقها، مضيفا أن هذه العبارة إذا أخذت فى سياق الهلوسة التى تصفها الفقرة فإن لها علاقة بالخير والشر.

ولفت الادعاء نظر الشاهد إلى صفحة ٢٣ من الرواية التى تصف بدقة نوعا معينا من الشذوذ الجنسى، فاعترف كياردى بأنها إشارة جلية، ولا لبس فيها إلى ممارسة الشذوذ الجنسى؛ ولكنه يعتبرها نموذجا لفقرة تبعث على الملل الشديد، غير أنها على حد قوله لم تسترع انتباهه. ولكن كووين استمر فى سؤاله إذا كانت رواية "الغداء العارى" تتضمن إشارات كثيرة إلى القردة وخاصة إلى مؤخراتها. فأجاب كياردى قائلا إن مؤخرات القردة الحمراء كثيرا ما ألهبت خيال المؤلف. وأضاف كياردى معلقا إن عالم بوروز الروائى أبعد

ما يكون عن الحقيقة والواقع بل هو عالم تسيطر عليه اللوثة والجنون. وذكر كياردى أن قوة الرواية ترجع إلى محاولة المؤلف الهروب من الواقع. وهنا قاطعه كووين: "إن بوروز يجد ضالته المنشودة فى عالم البذاءة والبعد عن الواقع. هل هذا ما أوردته على لسانك؟" فأجابه كياردى: "إن هذا لا يعدو أن يكون جزءا مما قلته. وأعتقد أن قوة الكتاب تكمن فى محاولته الخروج من عالم الواقع".

والجدير بالذكر أن ممثل الادعاء دس خلسة كلمة البذاءة قبل أن ينهى استجوابه للشاهد. فحاول المحامى دى جرازيا أن يصلح هذا الضرر بسؤال كياردى إذا كان يدرك المفهوم القانونى لكلمة البذاءة أثناء إجابته عن سؤال كووين الأخير. فرد كياردى على هذا بطريقة تدل على تنبهه لمغزى السؤال الذى وجهه دى جرازيا.

وأخيرا فرغ الادعاء من استجواب الشاهد فطلب منه القاضى أن يغادر منصة الشهادة معلنا توقف الجلسة للاستراحة. وكان هذا فى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا.

ثم استدعت المحكمة الشاهد الثانى وهو بول هولاندر فى الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة صباحا للإدلاء بشهادته. ولم يحلف بول هولاندر اليمين، بل اكتفى بالتأكيد على صدق شهادته. أعطى هولاندر للمحكمة اسمه وعنوانه، وذكر أنه حصل على درجات علمية فى علم الاجتماع من جامعتى لندن وإلينوى، كما حصل على الدكتوراة من جامعة برنستون، وأضاف إنه التحق بالعمل تحت الاختبار فى لندن، وألقى دروسا فى سجن ولاية ماساشوسيتس على الملتاثين من المجرمين. فضلا عن اشتغاله بالتدريس فى كلية كوينز وجامعة برنستون. وفى وقت إدلائه بشهادته كان هولاندر يقوم بتدريس منهج فى علم اجتماع الأدب فى جامعة هارفارد.

سأل محامى الدفاع دى جرازيا هذا الشاهد إذا كان قد طالع رواية "الغداء العارى" وعن رأيه فى قيمتها. فسأله هولاندر بدوره إذا كان مسموحا له بالرجوع إلى المذكرات التى أعدها، فأومأ القاضى له بالموافقة قال إنه يرى أن الكتاب مهم من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية، وأن أهميته ترجع إلى احتوائه على تفاصيل دقيقة عن مرضى إدمان المخدرات والهلوسة الناجمة عن هذا المرض. يقول هولاندر فى هذا الشأن:

"إذا أراد مؤلف أو كاتب استدعاء وتصور الجروح التى تسود إدمان المخدرات فلا مناص له من أن يؤلف كتابا صادما بل مثيرا للاشمئزاز... وإذا كانت عواقب الإدمان فى

واقع الأمر مقززة ومدعاة للاشمئزاز فإن المرء لا يستطيع أن يتوقع من هذا الكتاب أن يعبر عن أفكار مطهرة وبريئة أو أفكارٍ تتجاوب مع المفاهيم الإنسانية كما هو طبيعى وصحى".

وأضاف هذا الشاهد إنه يرى أن فائدة الكتاب من الناحية السيسيولوجية على وجه التحديد تكمن فى تناولها لموضوع إدمان المخدرات، وهو مشكلة اجتماعية على قدر عظيم من الخطورة. فالكتاب يصدم قارئه بحقيقة إدمان المخدرات وعواقبه دون محاولة التهوين من شأنها أو الاستخفاف بها.

وقال هولاندر إن إدمان المخدرات هو نوع من الانحراف الذى لا يهدأ له بال؛ حتى يحكم السيطرة الكاملة على الضحية ثم الفتك بها والقضاء المبرم عليها. والرواية فى نظره لا تقتصر فى نجاحها على تصوير العلاقة الاجتماعية المبتورة بين المدمن والمجتمع بل فى توضيح العلاقة التى تنشأ بين المدمن وما ينخرط فيه من انحرافات.

وهنا قاطع محامى الدفاع دى جرازيا الشاهد هولاندر ليسأله إذا كان يؤمن أن لتصرفات الإنسان الداعر والفاسق من الناحية الجنسية أي علاقة يسعى المدمن إلى تدمير نفسه وتحطيمها كما ذكر المؤلف فى روايته. فأجاب هولاندر أن الممارسات الجنسية لها علاقة مباشرة بفقدان المرء للمعايير الأخلاقية كما صورها بوروز فى كتابه. ثم أضاف إنه بوصفه متخصصا فى علم الاجتماع يجد رواية بوروز مفيدة؛ لأنها جسدت بطريقة ملموسة ومحسوسة بعض الأفكار العلمية المجردة التى يحدثنا عنها علم الاجتماع، كما أن ما أورده المؤلف من ملاحظات ومعلومات عن إدمان المخدرات يتفق مع المعلومات العلمية التى توصل إليها الخبراء والمتخصصون فى هذا العلم. ويذهب هولاندر إلى أن الكتاب سرد روائى جلى وواضح قام بتقديمه إلينا إنسان خاض بالفعل تجربة الإدمان، مؤكدا أنه يعتبر الكتاب هجوما رائعا على إدمان المخدرات دون أي محاولة لتمجيدها أو تصويرها فى إطار رومانسى، حيث إنه يصور بأمانة عالم الإدمان على نحو بشع ومفزع وفظيع من شأنه تنفير الناس من تعاطى المخدرات ولا يغريهم بتناولها. ومعنى هذا أن هولاندر رأى أن الرواية تسعى إلى فهم المجتمع ومن ثم أهميتها البالغة من الناحيتين الاجتماعية والثقافية.

وتحدث الشاهد عن مغزى استخدام الرواية للألفاظ البذيئة فقال إن استخدام مثل هذه الألفاظ شائع فى عالم الإدمان والمدمنين. وهو يرى فى استخدام هذه البذاءات تعبيرا عن التمرد على المجتمع. ثم استطرد قائلا إن الرواية تحتاج من قارئها لتقديرها إلى بعض

الخلفية الثقافية، فدون هذه الخلفية يصبح معرضا للملل والحيرة. ويقول إن بعض قراء هذه الرواية يجدونها مملة رغم لغتها وأسلوبها الفريدين.

ولاحظ القاضى هدسون وجود أوجه شبه بين الشاهدين كياردى وهولاندر؛ فسألهما إذا كان سبق لهما الإدلاء بأي شهادات أمام المحاكم فى قضايا بذاءة مماثلة فأجابا بأنهما لم يفعلا هذا على الإطلاق. ويرجع السبب الذى حدا بالقاضى إلى طرح هذا السؤال إلى أن اسم الشاهد بول هولاندر اختلط فى ذهنه باسم شاهد آخر اسمه جون هولاندر كان قد أدلى بشهادته فى قضية اتهام رواية "فانى هيل" بالبذاءة التى نظرتها محاكم نيويورك عام ١٩٦٣.

بدأ الادعاء فى استجواب الشاهد بول هولاندر محاولا التشكيك فى خبرته، وطلب إليه تحديد معنى علم اجتماع الأدب، فرد بقوله إن علم اجتماع الأدب يعنى باستجلاء العلاقة التى تربط بين المؤلف والعمل الأدبى ورد فعل القارئ إزاء هذا العمل، كما يهتم باستقصاء المعلومات الخاصة بالمجتمع من خلال عمله. وأراد الادعاء أن يعرف إذا كان الرد بحاجة إلى تخصص تقنى ومعرفة أدبية للحكم على العمل الفنى فرد عليه هولاندر مصححا بقوله إن عالم الاجتماع لا يهتم بالجوانب الأدبية فى العمل الفنى، ولكن يهتم بما يتضمنه هذا العمل من موضوعات ومعلومات عن المجتمع الذى يصوره.

وظل الادعاء يحاول التشكيك فى خبرة هولاندر وقدرته على الحكم على الأشياء مذكرا هولاندر بقوله إن القارئ يحتاج إلى مجهود عقلى كى يستطيع تحديد الموضوع الذى تدور حوله الرواية. فسعى الادعاء إلى استفزاز هولاندر بسؤاله: "وهل أنت على هذا المستوى المطلوب يا أستاذ؟" ورد عليه هولاندر ببرود: "أعتقد هذا".

عندئذ حاول الادعاء إحراج الشاهد من ناحية أخرى فسأله إذا كانت رواية "الغداء العارى" يمكنها أن تحول بين أى شخص وإدمان المخدرات. فأجابه هولاندر أنه يمكن للرواية أن تفعل هذا، ولكنه أمر من العسير للغاية إثباته من الناحية العملية أو التجريبية.

وكما سبق للمدعى كوين أن سأل الشاهد كياردى عن بذاءة جزء معين من الرواية نراه الآن يسأل هولاندر عن رأيه فى بذاءة جزء آخر منها بعنوان "الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج." فسأل الادعاء هولاندر:

"إذا كانت الألعاب الرياضية الجنسية التى انخرط فى ممارستها كل من مارى وجون ومارك التى ظهرت على شاشة سينما زرقاء اللون أثناء الحفل نوعا من الاحتجاج على شيء ما فى المجتمع"، فرد عليه هولاندر بقوله إنه لا يعتقد ذلك.

وبعدئذ سأله الادعاء إذا كان الجزء المفعم بالانحرافات الجنسية والأسماء الواردة فيه مثل جونى ومارى ومارك لها دلالات دينية مسيحية. فاعترف هولاندر بحدوث الانحرافات الجنسية فى هذا الجزء من الرواية. وكان الادعاء يسعى بذلك إلى اصطياده مثلما اصطاد كياردى حين سأله عن مغزى إشارة المؤلف إلى الحمل وما تتضمنه هذه الإشارة من مناهضة للدين المسيحى.

وقدمت الشاهدة الثالثة نفسها فقالت إنها تدعى جابرييل برنهارد جاكسون الأستاذ المساعد فى اللغة الإنجليزية بكلية ولسلى وحاصلة على شهادة الليسانس من كلية برنارد. فضلا عن أنها سافرت على منحة فولبريت لقضاء عام فى أكسفورد، وحاصلة على درجتى الماجستير والدكتوراة من جامعة ييل، كما أنها ألفت كتابين عن الأديب الإنجليزى بن جونسون.

قالت هذه الشاهدة إنها طالعت الكتاب، ووجدت فيه ميزتين؛ أولاهما تصوير حياة مدمن مخدرات، وثانيتهما أن أخلاق المجتمع ودوافعه فى هذه الرواية هى المعادل الموضوعى للاستعارة المتمثلة فى عملية الإدمان. وشرحت الشاهدة أن بوروز استخدم تكنيك الواقعية وتكنيك السوريالية فى الجزءين الأولين للرواية لخلق عالم مصغر أو ميكروكوزم للمجتمعات الغربية فى إطار الاستعارة التى يمثلها الإدمان. وطبقا لهذه الشاهدة نجد أن واقعية الجزء الأول من الرواية تزودنا بوصف حقيقى لتجربة مدمن مخدرات. فى حين أن الجانب السوريالى من الرواية يزودنا بوصف استعارى لسلوكنا الاجتماعى. وكلما تقدمت أحداث الرواية اندمج الأمران بحيث بدت فيها الأوصاف السوريالية وكأنها أحداث واقعية، مثل وصف خيالات المدمن وهلوساته، بينما تمدنا فى الوقت نفسه... بصور استعارية للسلوك العام. وذهبت هذه الشاهدة إلى أن شخصية بنواى فى رواية "الغداء العارى" تمثل الطريقة التى ينظر بها المدمن إلى الطبيب أو المحلل النفسى الذى يعالجه. فضلا على أنها تنطوى على هجاء للعلاج الطبى فى المؤسسات العامة. واستفاضت الشاهدة فى شرح هذه النقطة فقدمت إلينا أمثلة واقعية أخرى من الرواية تتحول إلى مشاهد سوريالية مثل "مقهى المقاتلات".

ومضت جاكسون تقول إن بوروز يوجه حكم القارئ عن طريق تصوير الشر على نحو مخيف ومرعب بطريقة تثير اشمئزازه أو ضحكه. ولو أن بوروز اكتفى باحتقار الشر لما نجح مثلما نجح فى تنفير الناس منه ومن مناظر العنف والانحراف التى صورها فى روايته، وتقول جاكسون إن الرواية تدفع الناس إلى النفور من الشر المتمثل فى أحداثها الاستعارية. وتعلق هذه الشاهدة على المنظر الجنسى الذى يصور مارى الشبقية، وهى تنهش وجه مضاجعها دونى بأنه يمثل المرأة الأمريكية الكاسرة. وتنكر السيدة جاكسون أن بوروز رجل داعر ومنحل، وتؤكد أنه فى حقيقة الأمر كاتب أخلاقى ينفر الناس من الشر، ولا يسعى إلى إغرائهم بالسقوط فيه.

وأيضا قالت جاكسون إن رواية بوروز "الغداء العارى" تضرب بجذورها فى التقاليد الأدبية الراسخة. فالرواية مفعمة بالإشارات المستقاة من الأساطير القديمة. فضلا عن تأثرها بشعر الملاحم الأنجلوساكسونية وشكسبير والشعر الإنجليزى الغنائى فى القرن السابع عشر، وبأسلوب الكتابة الإنجليزية الساخرة السائدة فى القرن الثامن عشر، وبقصيدة كولديرج الشهيرة "البحار العجوز"، وكذلك بلغة الشعر فى القرن العشرين. ويهدف بوروز من وراء هذا كله إلى تشويه هذه الإشارات الأدبية وتعمد تغييرها واستخدامها على نحو غير متوقع. والأثر الإجمالى الذى يتركه بوروز فى قرائه هو الأثر نفسه الذى تتركه التقاليد الأدبية التى فقدت قوتها وحيويتها وهى تقاليد تقدم إلينا وجهها الذى يدعو إلى التفكه. وذكرت هذه الشاهدة أن بوروز تأثر فى روايته بالتكنيكات التى استخدمها ت.س. إليوت وجيمس جويس وألدوس هكسلى وفرانز كافكا. غير أن جاكسون رأت أن بوروز يحاول المزج بين الأساليب المختلفة فى نسيج واحد يوحد بينها ويتجاوز أجزاءها الفردية. واختتمت جاكسون شهادتها بقولها "إنه من الواضح أن بوروز يدين المجتمع المعاصر فى سلوكه الخاص والعام عن طريق الأساليب والتكنيكات التى يستخدمها".

ولم يكن فى جعبة المحامى دى جرازيا أي أسئلة يطرحها على الشاهدة، ولهذا أخذ ممثل الادعاء كووين يستجوبها. سألها إذا كانت رواية بوروز تحتوى على شخصيات يمكن التعرف على ملامحها. فردت جاكسون بالإيجاب.

وكعادته مع الشاهدين السابقين لفت كووين ممثل الادعاء نظر الشاهدة إلى فقرة معينة وردت فى "الغداء العارى"، طالبا منها أن تشرح كلمة Latah التى وردت فى صفحة ٣٧ فأجابت أن بوروز يعنى بها أى شخص يقلد تقليدا تاما مسلك أى شخص آخر. وأضافت أن

مثل هذا التقليد التام شيء غير مقبول أو مستساغ. وعلى أي حال استمر المدعى كووين فى سؤالها عن طريقة المؤلف فى رسم شخصياته وهل قصد المؤلف من شخصية بنواى رسم شخصية كريهة فى مسلكها أم أنه صورها لذاتها. وردت الشاهدة على ذلك بقولها إن أى وصف خيالى يقدمه أى روائى لابد أن يكون –على أحد مستوياته– لذاته. غير أنها استدركت وبادرت بالقول إنه لابد، وأن يكون جزءا لا يتجزأ من موضوع الرواية. وبهذا الرد الاستباقى دحضت الشاهدة النقطة التى كان ممثل الادعاء يثيرها وفحواها أن بعض أجزاء الرواية لا يمت بصلة لموضوعها الرئيس بل حشرت حشرا فى الرواية حتى تتمكن من الاستفادة من القاعدة القانونية التى تنص على ضرورة النظر إلى أى كتاب ككل قبل إصدار حكم عليه. ويمكننا أن نقول باختصار إن جاكسون تصدت لمحاولة ممثل الادعاء القول إن بوروز يصور القذارة من أجل القذارة. واستمر كووين فى سؤال الشاهدة عن رأيها فى المشاهد الروائية التى تصور الممارسات الجنسية الطبيعية ومدى علاقة هذه الممارسات بموضوع الرواية، فردت عليه السيدة جاكسون بوجود علاقة تربط بينها وبين صلب الرواية.

ثم سأل الادعاء جاكسون إذا كانت تعتبر وصف المؤلف للانحرافات واستخدامه للابتذال وإشاراته المستمرة إلى التبرز إسهاما فيما تتضمنه الرواية من أحكام أخلاقية، كما سبق لها أن ذكرت. فأجابت أنها تعتبرها إضافة وإسهاما. وعندما همت بالرجوع إلى المذكرات التى أعدتها لشرح وجهة نظرها فى هذا الشأن طلب منها القاضى هدسون شرح رأيها دون الرجوع إلى مذكراتها إذا كان ذلك فى مقدورها فقالت باختصار إن وصف بوروز للممارسات المقززة يرجع إلى سعيه إلى إدانة المسلك غير المقبول عن طريق تعمده وصف الانحرافات.

وفرغت جعبة كووين من الأسئلة. غير أن القاضى سألها عن التدريب المهنى الذى تلقته فى جامعتى ييل وأكسفورد وعن تجاربها فى مجال التعليم فردت على جميع الأسئلة المطروحة عليها. ولعل القاضى أراد بأسئلته أن يطمئن قلبه أنه يمكنه التعويل على شهادتها. ثم انسحبت هيئة المحكمة لتناول الغداء.

وجاء دور الشاهد التالى نورمان هولاند الذى سبق له الالتقاء بممثل الادعاء وليم أى كووين فى محكمة مقاطعة سوفولك. وتذكر هولاند أن كووين أسر إليه أن السبب الذى حدا به إلى رفع الدعوى ضد بوروز خوفه من لوم السيدات العجائز للنائب العام على تقاعسه فى

التصدى للكتابات البذيئة وإصرارهن على ضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة بشأنها، فى حين كان ممثل الادعاء كووين والمدعى العام يرغبان فى قرارة نفسيهما تكريس كل وقتهما لعمل شىء أجدى وأنفع وأكثر أهمية من محاكمة رواية بوروز "الغداء العارى" ولكنهما وجدا نفسيهما مضطرين إلى مقاضاة هذه الرواية خوفا من سخط الرأى العام عليهما.

قال نورمان ن.هولاند فى شهادته إنه يعمل أستاذا للغة الإنجليزية فى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ومؤلف كتابين فى النقد الأدبى وكاتب لما يربو على أربعين مقالا، وأضاف إنه تلقى تدريبا للعمل كناقد نفسى لمدة ثلاثة أعوام فى معهد بوسطن للتحليل النفسى. فضلا عن حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد. قال هولاند إن بوروز كتب رواية "الغداء العارى" بطريقة سوريالية.

والرأى عنده أن هذه الرواية مهمة على المستويين الأخلاقى والنفسى. وأضاف إن بوروز أراد تقديم بشاعة الحقيقة عن طريق تصوير الانحراف والشذوذ وتعاطى المخدرات، وهى جميعا وجوه لعملة واحدة ولحقيقة واحدة لا تطاق لفرط بشاعتها.

عندئذ اعترض ممثل الادعاء كووين على شهادة هولاند فى المسائل النفسية، حيث إن خبرته تقتصر على الأدب ولا تمتد إلى علم النفس. ولكن القاضى هدسون سمح لهولاند بالاستمرار فى الإدلاء بشهادته نظرا لأنه تلقى تدريبا لعدة أعوام فى معهد بوسطن للتحليل النفسى. واستغرب الشاهد من قول ممثل الادعاء بعدم أهليته فى الحديث فى مجال علم النفس، حيث إن الحديث العابر الذى دار بينهما أثناء لقائهما القصير اتسم بروح الود والصداقة. ويبدو أن كووين ممثل الادعاء استدرج هذا الشاهد لكسب ثقته ثم باغته بالشك فى أهليته كناقد فى المجال النفسى. وعلى أي حال ذهب هولاند إلى القول إن رواية "الغداء العارى" تعبر عن رؤية نصف ملتاثة للمنحرفين ومدمنى المخدرات. وأضاف إن المؤلف صور هذه الرؤية ببصيرة فنية وصدق نفسى. ولا غرو فصور التمزق الذى يعانيه الشواذ والمدمنون تبدو لنا كمعادل فنى لخراب النفس ودمارها. فضلا عن أن تمزق الذات الداخلى هو المعادل للتمزق والفوضى السياسية التى تعيث فى المجتمع والعالم الخارجى.

ثم انتقل هولاند إلى مناقشة قيمة الرواية الأخلاقية التى سبق للشاهد كياردى أن تحدث عنها ذاهبا إلى أن رواية "الغداء العارى" رواية دينية تدور حول موضوع الخطيئة الأولى أى سقوط آدم وحواء. قال: "لقد لفت كياردى نظرى بقوة إلى إشارة الرواية إلى اسم القديس

أوغسطين. ولو كان هذا القديس يعيش بين ظهرانينا ويكتب فى أيامنا الراهنة فمن الجائز أنه كان سيكتب شيئا شبيهًا برواية "الغداء العارى".

ومن الواضح أن هذا التعليق أثار فزع القاضى هدسون؛ لأنه طلب من الشاهد هولاند أن يعيد على مسامعه ما تفوه به. فردد هولاند قوله السابق مضيفا أن بوروز رأى أن الخطيئة الأولى تكاد تتمثل فى كل نشاط أو فعل إنسانى.

وأمام فزع القاضى من تشبيه وليم بوروز بالقديس أوغسطين انتهز هولاند هذه الفرصة لتلخيص رأيه فى قيمة الرواية الأخلاقية والنفسية كمقدمة للتعبير عن رأيه فى قيمة الكتاب الأدبية التى تكمن -فى نظره- فيما ينطوى من رؤية أخلاقية ونفسية؛ ولكنه رأى أن الضعف الأدبى الرئيس فى رواية بوروز يتمثل فى فشله فى تشكيل وبناء مادته الروائية. وطبقا لما رآه هولاند فإن الرواية ليست لها بداية أو وسط أو نهاية. وهى لا ترقى إلى مستوى كتابات فوكنر أو بروست. ولكنها أقرب ما تكون إلى روايات سول بيلو ومارى مكارثى وجون أبدايك.

ولم يكن لدى دى جرازيا أي أسئلة أخرى يطرحها على الشاهد الذى بدأ ممثل الادعاء فى استجوابه محاولا أن يثبت أنه شاهد متمرس وخبير بقضايا الرقابة. سأله كووين إذا كان قد سبق له أن أدلى بأي شهادات فى أي قضايا بذاءة. كان كووين يعرف رد هولاند سلفا حيث إنه كان قد رفع منذ أيام قليلة قضية ضد رواية "مذكرات امرأة ساقطة" أمام المحكمة القضائية العليا بولاية ماساشوستيس، وهى محاكمة حضرها هولاند كشاهد. وكان ممثل الادعاء كووين يدرك أن ظهور الشاهد نفسه فى أكثر من قضية يقلل من مصداقية شهادته.

ومن هذا المنطلق سأل كووين هولاند عن الإشارات العديدة إلى المثلية التى تضمنتها الرواية. سأل الادعاء الشاهد إذا كان الشذوذ الجنسى يرجع إلى إدمان المخدرات. فأجاب هولاند أن عددا قليلا من مدمنى المخدرات تحول إلى ممارسة اللواط للحصول على المال اللازم لاستمرارهم فى الإدمان. وأضاف هولاند أن إشارات بوروز الأخرى إلى الشذوذ الجنسى هى محاولة من جانب المؤلف لأن يجعل القارئ يشعر بمزيج غريب من الحب والاشمئزاز، مثلما انطوى وصف الإدمان على مزيج من اللذة والألم. وأشار ممثل الادعاء إلى فقرة من الرواية تتناول قضايا إثبات الأبوة التى رفعها شخص يدعى أ.ج اعتاد أن يحشو مسدس الماء بحيوانات منوية يطلقها داخل فروج بنات الهوى أثناء حضوره الاحتفالات المعربدة. فترفع إحدى هذه الفتيات قضية عليه بأنها حامل منه. ويترافع المحامى

مدافعا عن أ.ج قائلا إن هذه المرأة تريد أن تتشبه بالسيدة مريم العذراء. واغتنم الادعاء هذه الفرصة ليسأل الشاهد إذا كان المؤلف تعمد محاكاة حمل السيدة مريم العذراء على هذا النحو البشع والشاذ. فاعترف الشاهد هولاند بأن المؤلف تعمد بالفعل استخدام هذه الأوصاف الشاذة.

هنا تدخل القاضى لسؤال الشاهد عن قوله إن القديس أوغسطين لو كان حيا يرزق فى أيامنا الراهنة لجاءت اعترافاته على غرار رواية "الغداء العارى"، سأله القاضى إذا كان القديس أوغسطين كان سيشير –كما فعل بوروز– إلى حمل العذراء مريم الطاهرة البتول فأجاب هولاند بقوله "لست أعتقد ذلك".

ظل كووين يسأل هولاند حول مغزى مضاجعة جونى الطبيعية لمارى (ص١٠) بعد مائة صفحة تدور حول الشذوذ والانحلال. فقال هولاند إنه لا يعتبر مشهد هذه المضاجعة طبيعيا؛ بسبب تصويره للألم المقترن بالاشمئزاز. ودلل على ذلك بأن المؤلف يصف تحلل الأجساد فى الفقرة التى تلت مباشرة مشهد مضاجعة جونى لمارى.

ثم سأل كووين الشاهد هولاند عن مغزى الجزء الذى يحمل عنوان "الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج" ومحتوى هذا الجزء. فأجاب هولاند بقوله إنه يشعر أن العنوان قد يشير إلى احتفال فى أحد المكاتب أو إلى علاقة غرامية فى الأرياف. ثم أضاف قوله إنه من الصعب على المرء أن يفهم محتوى الرواية بشكل محدد أو دقيق. وكان ممثل الادعاء كووين يهدف من وراء أسئلته إلى معرفة إذا كانت هناك أي علاقة بين المشاهد الجنسية التى تصورها الرواية وتعاطى المخدرات. فأجاب هولاند أنه ليس متأكدا من وجود أي علاقة مباشرة. ولكنه كرر قوله إن وصف الممارسات الجنسية ينطوى على اللذة بقدر ما ينطوى فى الوقت نفسه على الاشمئزاز.

وحاول القاضى هدسون أن يعرف مدى ما فى هذه الرواية من بذاءة تسىء إلى القارئ فسأل الشاهد عن رأيه فى بذاءتها فى حالة نشرها فى حلقات فى صحيفة يومية دون فرض أى نوع من الرقابة عليها، حيث إنه (أى القاضى) يرى أن القارئ لن يجد متعة فيها بسبب خلوها من الحبكة وصعوبة أسلوبها السردى ودعوتها إلى السآمة والملل. سأل القاضى هولاند إذا كانت الرواية ستبدو على القدر نفسه من البذاءة فى حالة نشرها فى إحدى الصحف، فأجاب هولاند إن قارئ الصحيفة عبد وأسير لها؛ لأنه يجد فيها كل ما تشتهيه نفسه من أنباء ورياضة وحواديث مضحكة. وأضاف هولاند أن الرواية لا تصلح لقراءة

اليافعة والمراهقين ممن تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة بسبب ما فيها من اشتهاء وإثارة.

وسأل ممثل الادعاء الشاهد هولاند إذا كان استخدام البذاءة شيئا ضروريا لتوضيح الموضوع الذى تعالجه فرد عليه بالإيجاب. واختتم المدعى كووين استجوابه للشاهد بأنه سأله عن (دان ٣) المصنوع من الصلب الواردة فى صفحة ٩١، فأجاب هولاند بقوله إنها fallacy (أى أكذوبة) ويبدو أنه كان يقصد استخدام كلمة phallus أى القضيب ولكن لسان الشاهد لم يطاوعه.

كان هولاند غير موفق فى شهادته لصالح الرواية، فضلا عن أن القاضى بدا متحيزا ضدها. فتدخل المحامى لينقذ الموقف بقوله إن المحك القانونى فى هذه القضية لا يتوقف على ما إذا كانت رواية "الغداء العارى" تصلح لقارئ الصحف أم لا. وطرح العديد من الأسئلة التى تهدف إلى توضيح أن الشذوذ الجنسى الذى تصفه الرواية يرتبط بإدمان المخدرات. وأعلن هولاند أن الانحرافات التى تصفها رواية بوروز شبيهة بالإدمان.

وبعد مرور بعض الأعوام وصف هولاند شهادته بأنها كانت صعبة ومضنية بعض الشىء. وأضاف إنه لم يكن بمقدوره أن يتقدم إلى المحكمة بحديث جيد فى النقد الأدبى بسبب اتخاذ هذه الشهادة شكل الاستجواب بنعم أو لا.

ثم جاء دور الشاهد التالى نورمان مالر الذى وافق على حلف اليمين، وأن يقول الحق ولا شىء غير الحق. وبدا على القاضى شىء من الاهتمام بشهادته؛ بسبب شهرته التى طبقت الآفاق. ذكر مالر أمام المحكمة قائمة كتبه ومؤلفاته. والجدير بالذكر أن شهادة مالر والأسئلة التى طرحها الدفاع إدوارد دى جرازيا عليه صارت جزءا من مقدمة طبعة رواية "الغداء العارى" الرخيصة ذات الغلاف الورقى. وقد أجاب الشاهد إجابات مباشرة عن كل الأسئلة التى وجهت إليه. فضلا عن بروده وتماسكه أثناء الإدلاء بشهادته.

عبر مالر عن إعجابه برواية "الغداء العارى" واعترف بتأثره الشديد بأجزائها المنشورة فى مجلة "المائدة الكبيرة" وقال إنه قرأ هذه الرواية من الألف إلى الياء عند صدورها بين دفتى كتاب. وأضاف إنه بدأ قراءة الرواية فى المرة الثالثة ببطء وعناية للاستعداد للإدلاء بشهادته أمام المحكمة. وعندما قام القاضى بمقاطعة نورمان مالر طالبا منه توضيح العلاقة

بين مجلة "المائدة الكبيرة" و"الغداء العارى" اشترك هذا الشاهد مع المحامى دى جرازيا فى إحالة القاضى إلى شهادة كياردى التى كان قد أدلى بها فى وقت باكر من هذا اليوم.

وفى المقال التى نشرته صحيفة الساترداى ريفيو بادر المحامى دى جرازيا بالقول إن تقديم مجلة (المائدة الكبيرة) إلى المحكمة بسبب نشرها بعض أجزاء رواية "الغداء العارى" انتهى بها إلى إصدار قرار بعدم بذاءة المادة المنشورة فى هذه المجلة. وكان المحامى دى جرازيا يأمل فى أن تبرئة مجلة "المائدة الكبيرة" من تهمة البذاءة من شأنه التأثير إيجابا فى الحكم على الرواية.

وبعد أن قام نورمان مالر بتقديم نفسه إلى المحكمة أخذ فى إبراز أهمية رواية بوروز، وتحدث مالر عن ردود فعله المتنوعة أثناء قراءته للرواية. يقول مالر فى هذا الشأن إن قراءته الثانية لرواية "الغداء العارى" لم تكن بنفس درجة تحمسه لقراءتها فى المرة الأولى، الأمر الذى دفعه إلى مطالعتها للمرة الثالثة بقلب واجف وفؤاد مرتعش؛ لأنه كان يعرف أنه سيقف على منصة الشهود فى المحكمة ليشهد على أهمية هذه الرواية من الناحية الأدبية.

وسأل القاضى نورمان مالر قائلا: "إذا كنت قرأت الكتاب مرة واحدة فراق فى عينيك ثم قرأته للمرة الثانية دون أن يروق لك، ألست ترى أنه يجدر بك الامتناع عن الزود عنه فى مثل هذه الظروف؟"

وكمبدأ عام عبر مالر عن موافقته على رأى القاضى. ولكنه سرعان ما أكد أن قراءته الثالثة للرواية سرعان ما بددت شكوكه فيها. قال إنه يحترم الكتاب ويقدر قيمته الأدبية، وأضاف إن مؤلفه يملك موهبة غير عادية، وأنه قد يكون أعظم روائى فى كل ربوع أمريكا.

وكذلك عبر نورمان مالر عن إعجابه بقدرة بوروز على تصوير لغة المجرمين والمجندين والرياضيين بما تنطوى عليه من جمال وشر وخسة وإثارة، كما عبر عن إعجابه بقدرته على استخدام الصور والأخيلة الشعرية والقادرة فى الوقت نفسه على إثارة الاشمئزاز فى النفوس.

وذكر مالر فى شهادته أن بوروز لابد وأنه ألف كتابه بعد أن أدمن المخدرات، ذاهبا إلى أن الرواية مقامة على بناء روائى واهٍ ومعيب. وأكد مالر أنه تعاطى بوروز للمخدرات أضعف موهبته ككاتب وألحق الضرر بها. وانتهى مالر من شهادته بقوله إنه لولا تعاطى

بوروز للمخدرات لربما أصبح واحدا من أعظم عباقرة اللغة الإنجليزية. واعترف مالر بأن رواية "الغداء العارى" أغرته بقراءتها أكثر من مرة تماما مثلما فعلت رواية "يوليسيس" لجيمس جويس به وقت التحاقه لطلب العلم بالجامعة رغم ما تتضمنه من طلاسم وألغاز.

واختتم مالر شهادته بقوله إنه يعارض حظر الرواية مقترحا السماح ببيعها فى كل مكتبات الولايات المتحدة. كما قال مالر إنه يتعين على أي جمعية رافضة للكتاب أن تتحلى بالشجاعة والأمانة الأخلاقية فتقدر بوروز كفنان زار الجحيم الفاغر فاه وعاد منه ليصور جوفه وأبعاده.

وهكذا اتسمت شهادة مالر بالروح الدرامية المفعمة بالقوة والحيوية والقدرة على الإقناع، الأمر الذى زاد من احتمالات رجحان كفة الرواية بسبب ما اعترى الشهادات السابقة من ضعف ووهن. وبعث دفاع مالر القوى عن رواية بوروز الرضا والاستحسان فى نفس المحامى دى جرازيا.

ثم سأل المدعى كووين الشاهد عن عدد مرات قراءته للرواية فأجاب أنه قرأها مرتين من أولها إلى آخرها، وأنه عاد إليها ليقرأ أكثر من مائة وثلاثين صفحة استعدادا لاستجوابه. ثم عاد الادعاء ليسأل الشاهد كيف يمكنه التأكد من القيمة الأدبية لمحتوى رواية "الغداء العارى" طالما أنه يعترف بصعوبة متابعتها. عندئذ قام الشاهد بتوبيخ ممثل الادعاء وتأنيبه. والجدير بالذكر أن الشاهد لم يذكر للادعاء أنه كان متابعا دقيقا لكتابات بوروز منذ قيامه بنشر مقتطفات من روايته فى مجلة "المائدة الكبيرة" وأنه ساعد فى تقديمه إلى عالم الأدب أثناء انعقاد مؤتمر أدنبره ١٩٦٢. واكتفى الشاهد بالقول إنه إذا دخل أى جمنازيوم (ملعب رياضى) ورأى طفلا يقاتل فسوف يكتشف فى التو واللحظة إذا كان هذا الطفل سيصبح مقاتلا أم لا. ومعنى هذا أن الموهبة أشبه ما تكون بالسراج المنير الذى لا تخطئه العين ويمكن اكتشافها على الفور. وتحفظ مالر فأضاف أن الذى يحتاج إلى وقت لاكتشافه هو قدر هذه الموهبة ومداها. ثم استطرد قائلا إنه يحتاج إلى قراءة رواية بوروز خمس أو ست مرات حتى يتمكن من تقدير قيمتها الحقيقية. وذكر مالر أن رواية "الغداء العارى" تتسم بمزايا غير عادية، وأن عددًا ضئيلا من الروايات يغريه بإعادة قراءتها وأنه قد يجد نفسه مضطرا إلى إعادة قراءتها.

وسأل المدعى كووين الشاهد إذا كانت رواية بوروز تستند إلى حبكة أو بنية روائية وإذا كانت جميع تفاصيلها مترابطة. وبهذا عاد ممثل الادعاء لسؤال الشاهد عن علاقة

المناظر الجنسية بموضوعها الكلى. وبطبيعة الحال تبين مالر هدف الادعاء من طرح السؤال، فأجابه بحذر أنه من الواضح أن الرواية تستند إلى بناء معقد وأن كل شيء فيها له مغزاه رغم افتقادها إلى التنسيق المثالى.

وسأل القاضى هدسون الشاهد نورمان مالر إذا كانت الرواية بحاجة إلى شرح وتوضيح لفهم بناء الرواية المعقد، فوافق مالر على هذا الرأى. ولكنه قال للقاضى إن القراء لا يقرأون أى كتاب حتى نهايته. وأيضا سأل ممثل الادعاء الشاهد إذا كانت رواية "الغداء العارى" تتسم بالتناسق الفنى فأجابه مالر بقوله إن أسلوب هذه الرواية شبيه بتكرار التيمات الموسيقية. فضلا عن احتوائها على محاكاة متنوعة للإعلانات التجارية التى تذاع فى الراديو وفضلا عن محاكاته لكتاب آخرين. وفى العادة نجد أن ما تتضمنه الرواية من محاكاة يفوق فى دقته ونعومته ما نجده فى رواية يوليسيس من محاكاة. ثم أضاف مالر بشكل قاطع: "على أقل تقدير أشعر أن المؤلف يتمتع بموهبة فذة. وقد يكون أكثر الكتاب الأمريكان موهبة فى يومنا الراهن".

ولم يفلح الادعاء فى حمل نورمان مالر على التقليل من مؤازرته للرواية، الأمر الذى اضطر كووين فى نهاية الأمر إلى الرجوع إلى عبارة وردت فى الرواية فيما يلى منطوقها: "يمكنك تقطيع رواية (الغداء العارى) إلى أوصال عند أي نقطة تشريحية (ص٢٢٤) متحديا الشاهد أن يشرح له هذه العبارة طارحا عليه هذا التساؤل: "هل تشعر بأن هذا قد يكون اعترافا من جانب المؤلف بأن روايته تخلو من الحبكة والبناء الروائى، فاضطر مالر إلى الموافقة على هذا الرأى. ولكنه بادر بالقول إن الرواية تفتقر إلى بناء روائى بالمفهوم الأرسطاطاليسى الذى يقضى بأن تكون للرواية بداية ووسط ونهاية. ثم قارن بناء رواية بوروز ببناء رواية "فينجانز ويك" لجيمس جويس التى أراد مؤلفها بها أن تكون مقروءة عند أى فقرة. غير أن مالر قال إنه شخصيا لا يستخدم هذا النوع من البناء الروائى.

وقبل إعلان هيئة المحكمة انسحابها لاستراحة قصيرة اعتذر القاضى لمالر؛ لأنه لم يقرأ أيا من مؤلفاته ولكن سأله إذا كانت كتبه تتضمن إشارات جنسية عادية أو مكشوفة. فرد مالر بقوله معترفا بأن كل مؤلفاته تحتوى على فقرات جنسية. ولكنه أضاف أنه لم يؤلف أى كتاب شبيه برواية "الغداء العارى"، ثم استطرد فى براءة ساخرة: "إننى أكتب بطريقة أكثر طهارة إلى حد كبير".

وعلق ممثل الادعاء كووين ممتدحا مالر ككاتب متميز ولكن سأله إذا كان إحساسه بالنظام –وليس ما ورد فى رواية (الغداء العارى)- هو الذى يفرض عليه استجاباته لما يقرأ. فاعترف مالر بأن عملية القراءة تقتضى استخلاص النظام من أي مادة يطالعها. وأحس مالر بأن ممثل الادعاء ينصب له الشباك للإيقاع به. وأمام قيام كووين بتضييق الخناق عليه أجاب مالر بقوله: "لدى خبرة فى قراءة الكتب بعناية والتفكير فيها بطريقة نقدية. وأعتقد أنى بعد مرور كل هذا الوقت أن غريزتى هى التى تحدد لى ماهية النظام السليم المتكامل الذى يستحق الثناء. هذه الغريزة أصبحت أكثر تطورا بكثير من غريزة القارئ العادى".

أحس كووين بأنه أحرز نوعا من الانتصار على الشاهد عندما لمح بأنه يمكن لناقد أدبى أن يكيل المديح والثناء على عمل ليس بهذه الدرجة من الأهمية.

وطلب المحامى دى جرازيا من نورمان مالر أن يشرح وجهة نظره، ومفادها أن الناقد الأدبى الخبير والمتمرس والذى له باع طويل فى هذا المجال يمكن أن يكتشف المواهب الأدبية على نحو سريع. ثم أضاف مالر قائلا إن الناقد المتمرس أشبه ما يكون بالقاضى الذى تسعفه خبرته فى التمييز بين الشهادة الصادقة والشهادة الكاذبة طبقا لعدد سنوات خدمته فى المحاكم. غير أن القاضى هدسون علق على كلام مالر بقوله إن القاضى يسعى إلى الإنصاف وتحقيق العدل. ولهذا فهو لا يصل إلى حكم قبل الاستماع إلى جميع الشهادات. عندئذ سأل القاضى مالر إذا كان بمقدوره أن يكتشف من الوهلة الأولى صاحب الموهبة الرياضية أم لا فأجاب أن بمقدوره أن يفعل هذا ولكن ليس بمقدوره التنبؤ إذا كان هذا الشخص سيصبح بطلا رياضيا أم لا.

وانتهى استجواب نورمان مالر الذى كان صادقا وأمينا وبليغا فى كل ما قال عن بوروز، الأمر الذى ترك أعمق الأثر فى نفس القاضى.

ثم نودى على الشاهد التالى ستانلى هوارد ألدريد المحلل النفسى المشارك فى مستشفى بالمالن فى بلمونت بولاية ماساشوستس والأستاذ المساعد فى التحليل النفسى فى مدرسة الطب بجامعة هارفارد. وذكر هذا الرجل أنه تلقى تدريبه فى مدرسة الطب التابعة لجامعة ميتشجان ومعهد واشنطن للتحليل النفسى. فضلا عن حصوله على شهادة لممارسة المهنة من الهيئة الأمريكية للتحليل النفسى والأمراض العصبية، إلى جانب عمله كمستشار فى

مستشفى والتريد العسكرى وعضويته فى هيئة تحرير مجلة "التحليل النفسى" وانتمائه إلى العديد من الجمعيات المهنية.

بدأ المحامى دى جرازيا بسؤاله فرد الشاهد قائلا إنه قرأ رواية بوروز "الغداء العارى" وكون رأيا فى مقدار قيمتها. وأضاف إنه كمشتغل بالتحليل النفسى وجد الكتاب مثيرا من الناحية الإكلينيكية. قال "إن هذه الرواية تصور بطريقة درامية جوانب اللاوعى التى لا تعالج فى العادة فى الآداب الأخرى من الناحية التكنيكية وغيرها من النواحى، فهذه الرواية تدور حول الأفكار والمشاعر التى يسعى معظم الناس إلى استبعادها من عقولهم... فضلا عن استبعادها من عقولهم الواعية أثناء نموهم.

قال ألدريد إنه اعتبر الرواية أشد ما تكون تأثيرا وفعالية فى تقديمها إلى المشتغلين بالتحليل النفسى أجزاء من اللاوعى لا نجده فى غيرها من الكتب الأدبية. فضلا عن أنه يصور "الموت الحى... الناجم عن العلاقات الإنسانية القائمة على الطمع والشهوة والرغبة الخالية من الحب والود والاحترام... ولا يجد المحللون فى علم النفس الرواية مهمة لهذه الأسباب فحسب، بل لأنها تجاوزت الموضوعات القميئة المتعلقة بالمخدرات والشذوذ الجنسى من أجل اكتشاف اللاوعى الإنسانى".

وبسؤال الشاهد إذا كان يرى أي فائدة فى الرواية كأدب فاضح أو مكشوف أجاب بالنفى بطريقة قاطعة. عندئذ سأله القاضى هدسون إذا كان المشتغلون بالتحليل النفسى لا يقيمون وزنا للأدب الفاضح أو المكشوف، أجاب بقوله إن هذا النوع من الأدب لا يثير اهتمام المحللين النفسيين. وبعد هذه الإجابة توقف المحامى دى جرازيا عن توجيه الأسئلة. وجاء دور كووين ممثل الادعاء لاستجوابه فسأله إذا كان قد وجد صعوبة فى قراءة الرواية نظرًا لعدم تخصصه فى الأدب، فأجابه الشاهد ألدريد إنه يجد أحيانا عسرا فى قراءة بعض الكتب. ثم فاجأ كووين الشاهد بسؤاله إذا كانت بعض الأشياء فاتت عليه بسبب تخصصه فى الطب النفسى وعدم تخصصه فى الأدب فرد عليه الشاهد بالإيجاب بكل صدق وأمانة. عندئذ طرح الادعاء عليه هذا السؤال: "هل ترى لهذا السبب أنك قد تجد فيما تقرأ بعض الأشياء التى ليس لها وجود بالفعل".

كان هدف الادعاء من طرح هذا السؤال على الشاهد أن يستخلص منه اعترافا بأنه قد يجد أهمية فى كتاب يتضح فى نهاية الأمر أنه يعبر عن رأى شخصى قائم على الهوى والتحيز.

ولعلنا نذكر أنه سبق للادعاء أن حاول نصب نفس الشباك للإيقاع بنورمان مالر فى الفخ، ولكن مالر استطاع الإفلات منه. وأحس الشاهد ألدريد بالفخ المنصوب له. فقال إنه ليس صحيحا أنه قد يعلق أهمية على عمل يخلو من الأهمية، ورفض الاعتراف بأن حكمه قد يصدر عن التحيز والهوى. ولو أن ألدريد وقع فى الفخ لأصبح رأيه فى أهمية رواية "الغداء العارى" عديم القيمة ولا يعتد به لأن الدفاع عن هذه الرواية يعتمد فى الأساس على ما لها من أهمية.

وفى استجوابه لهذا الشاهد أشار الادعاء إلى جزء من الرواية يروى لنا فيه بنواى قصة شخص قام بتدريب فتحة شرجه على الكلام. وفى نهاية الأمر كما يقول بنواى استطاعت فتحة شرجه السيطرة على جسده حتى تحولت إلى كائن هلامى ليس له أى شكل محدد. علق الشاهد بعد تردد على هذا الجزء بقوله إنه "أى هذا الجزء" يشير إلى ما يصفه المحللون فى علم النفس بالمادة الشرجية ومعناها انشغال المرء بوظائف أمعائه. وسأله الادعاء إذا كان يعتبر هذه الفقرة نوعا من الكتابة الفاضحة. فأنكر الشاهد هذا قائلا إن الأدب المكشوف يهدف إلى تصوير أمور الجنس على نحو مثير للشهوة، وهو ما لا نجده فى هذه الفقرة.

وأخيرا سأل الادعاء الشاهد عن أكثر فقرات الرواية التى ناقشها ألدريد مع زملائه فأجاب هذا المحلل النفسى إنه لم يتناقش فيها مع زملائه إلا فى بعض الحالات النادرة. وبهذه الطريقة الملتوية استطاع الادعاء أن يجعل الشاهد يعترف بأن أهمية "الغداء العارى" ثانوية وليست جوهرية.

ثم نودى على الشاهد التالى جون مارى ستوروك المتخصص فى التحليل النفسى والمدرس بمدرسة الطب بجامعة هارفارد. قال هذا الشاهد إنه تلقى تدريبه فى التحليل النفسى فى مستشفى وودسلى فى لندن حيث كان مكلفا بالإشراف على عنبر يضم عددا من المرضى النفسيين ذوى الحالات الحرجة فى الفترة من ١٩٥٧ حتى ١٩٥٩. فضلا عن قيامه بعلاج حالات الإدمان فى هذا المستشفى. وكان هذا الشاهد عند استدعائه للشهادة يعمل فى مستشفى بوسطن ومستشارا فى عيادة مدمنى الخمور فى برنامج إعادة تأهيل مدمنى الخمور والمخدرات فى مستشفى لونج أيلاند.

قال هذا الشاهد إنه قرأ رواية "الغداء العارى" بطبيعة الحال بحكم مهنته كمحلل نفسى فوجد أنها تصور بواقعية وحيوية شديدة للمادة اللاواعية التى يظهرها المرضى النفسيون.

وأضاف ستوروك إنه أوصى تلاميذه الدارسين للتحليل النفسى فى مستشفى بوسطن بقراءة الكتاب. وأضاف ستوروك إنه ليس هناك مثيل لهذه الرواية فى أهميتها كمرجع لدارسى التحليل النفسى.

وأضاف ستوروك إن هذا الكتاب ساعده أيضا فى معالجة حالات الإدمان. كما أضاف أنه لا يعرف الخيالات الجامحة التى تطوف بعقل مرضاه، نظرا لأن غالبيتهم يحتفظون بها لأنفسهم، ولا يفضون بها لأحد. ولهذا رأى ستوروك أن رواية بوروز تمده بمادة ليس لها نظير لم يكن فى مقدوره الحصول عليها من مرضاه. يقول هذا المحلل النفسى: "أشعر أن قراءة هذا الكتاب ساعدتنى وسوف تظل تساعدنى على فهم مدمنى المخدرات ومن ثم معالجتهم بطريقة أفضل"، وذهب ستوروك إلى أن الرواية تشجع على الامتناع عن تعاطى المخدرات.

وفى استجوابه لهذا الشاهد سأله ممثل الادعاء إذا كان قد وجد عسرا فى فهم رواية "الغداء العارى" فرد ستوروك عليه بقوله: "هناك عدد قليل من التعبيرات الأمريكية التى لم أكن متأكدا من معناها. ولكن توجد بعض التعبيرات البريطانية التى فهمتها بحكم خلفيتى على نحو أفضل".

ومرة أخرى حاول ممثل الادعاء الإيقاع بالشاهد فى شباكه فسأله إذا كانت هناك بعض الأشياء فى الرواية التى عجز عن فهمها، فرد عليه الشاهد بقوله إنه لن يزعم أنه استوعب كل ما جاء فى رواية بوروز. ولكنه يمعن جيدا فى كل الأشياء التى لم يفهمها عند قراءتها لأول مرة.

سأل الادعاء الشاهد عن أهمية الكتاب كمرجع أكاديمى فى مجال الانحرافات والشذوذ الجنسى فأعلى ستوروك من شأن الكتاب، واعتبره مرجعا مهما لأنه لاحظ أن مرضاه كثيرا ما كانوا يعبرون عن خيالات من هذا القبيل أثناء قيامه بعلاجهم.

وهنا سأل القاضى الشاهد إذا كان يعتقد أن رواية "الغداء العارى" مفيدة للمجتمع ككل وليس للمتخصصين فى التحليل النفسى فقط. فرد عليه الشاهد بكل ثقة: "نعم، إلى حد قولى يا سيدى إذا كان الكتاب مفيدا فى مجال التحليل النفسى ومفيدا أيضا لمهنة الطب فلابد وأنه يصبح فى نهاية الأمر مفيدا لكل إنسان".

عندئذ سأله ممثل الادعاء إذا كان ذكر كل الأوصاف والإشارات إلى الانحرافات الجنسية ضروريًا أم أنه يمكنه كطبيب الاكتفاء بالاستشهاد ببعض فقرات الرواية دون الأخرى. عندئذ أكد الشاهد أنه أوصى طلبته فى كلية الطب بقراءة الكتاب من البداية إلى النهاية حتى يحس به ككل. وأضاف أنه كمحلل نفسانى يشعر أن الخيالات والهلوسات الناجمة عن تعاطى المخدرات أعطت القارئ فكرة حقيقية عما يجول فى خاطر المدمن. وكعهده دائما أبرز ممثل الادعاء للشاهد جزءا من النص الروائى يحمل عنوان "حجرة حسن" وهو الجزء الذى يصور قيام شخص باغتصاب طفل أشقر الشعر ثم شنقه، متسائلا إذا كان لهذا المشهد أي قيمة علمية أو أكاديمية فأجابه ستوروك بالإيجاب بشكل حاسم مضيفا أن هذا المشهد مجرد واحد من الأمثلة الدراسية الرائعة التى يقدمها إلينا الكتاب. وعبثا حاول الادعاء أن يثبت أن الشاهد انتقائى يختار الأمثلة التى تروق له لاستخدامها فى أغراض تعليمية. عندئذ قال الشاهد باحتداد إنه لا ينظر إلى الكتاب كأجزاء متناثرة بل ينظر إليه ككل متكامل.

ورغم ذلك فقد استمر ممثل الادعاء فى محاولة إظهار شهادة الدكتور ستوروك على أنها متناقضة مع نفسها، الأمر الذى دفع الشاهد إلى التأكيد على اهتمامه برواية "الغداء العارى" ككل، داحضا زعم كووين بأنه ينتقى من الرواية ما يناسبه من الناحيتين التعليمية والأكاديمية. وسعى ممثل الادعاء إلى استثارة الشاهد بتوجيه السؤال التالى إليه:

بوجه عام يا دكتور... هل هناك أى قدر غير عادى من ممارسة الجنس الطبيعى وغير الطبيعى فى هذه البذاءات والانحرافات والإشارات إلى البراز البشرى! وما أهمية هذه الأشياء من وجهة النظر الأكاديمية؟ فرد عليه الشاهد ستوروك بقوله: "هل لى أن أسألك عما تعنيه بقولك "بشكل غير عادى؟"

وهنا تدخل المحامى دى جرازيا ليتحدى الادعاء والأسلوب الذى يتبعه فى الاستجواب. وألح الادعاء على ستوروك أن يصف له على وجه التحديد استخدامه العلمى والأكاديمى للرواية، فأجاب بقوله إن الرواية ألقت الضوء على عقل الإنسان الواعى واللاواعى فهو "منجم ذهب لم يتوفر لأحد من قبل".

وعندئذ سأل القاضى الشاهد إذا كانت هذه المعلومات متوافرة فى سجلات المستشفيات التى تعالج الأمراض النفسية والعقلية. وهى سجلات من المفترض أن تتوافر لطلبة الطب،

فرد الشاهد إن رواية بوروز لها وقع مباشر ومحسوس على الطالب أكبر من الأثر الذى تتركه السجلات والتقارير الطبية.

وأخيرا تساءل ممثل الادعاء كووين إذا كانت الأوصاف الدالة على الانحرافات الواردة فى رواية "الغداء العارى" هى من ذات النوع الذى تستخدمه المراجع الطبية فرد عليه الشاهد بالإيجاب دون أدنى تردد. عندئذ سمح المحامى دى جرازيا للشاهد على أن يتحدث عن الأهمية السيكولوجية لذلك الجزء من رواية "الغداء العارى" الذى يحمل عنوان "حجرة حسن المفعمة بالضجيج"، ومعلقا على شنق الصبى بعد اغتصابه جنسيا بوضوح وقوة:

"هذا النوع من الفولكلور منتشر فى بريطانيا على أقل تقدير. وأنا أفهم أن الرجل الذى يتم شنقه ينتصب قضيبه ويقذف ما فيه من حيوانات منوية. وهو اعتقاد شائع رغم أن الدليل على صحته ليس مؤكدا. ربما يسمون هذه الحيوانات المنوية تفاح الجن (وهو عبارة عن نبات سام يستخدم فى الصيدلة). يفترض نموه فى التربة نفسها التى تسقط عليها حيوانات المشنوق المنوية. هذا النبات يتحلى بخصائص سحرية. ويرى البعض أن هذا القذف قد لا تكون له أي علاقة بالحيوانات المنوية بل ينجم عن تصفية إفرازات البروستاتا. وإنى أرى فى استخدام المؤلف بوروز لهذه الأسطورة الموغلة فى القدم ما يثير بالغ الاهتمام.

وبهذا انتهت شهادة المحلل النفسى ستوروك وسمحت له المحكمة بالانصراف.

ثم نادى المحامى دى جرازيا على شاهد آخر هو توماس هـ.جاكسون زوج السيدة جابرييل جاكسون التى سبق لها أن أدلت بشهادتها فى باكورة ذلك اليوم. وطُلب منه الوقوف على منصة الشهادة. وقدم هذا الرجل نفسه على أنه أستاذ مساعد اللغة الإنجليزية فى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. وأضاف إنه حاصل على درجة الليسانس من جامعة وين ودرجة الماجستير من جامعة ميتشجان ودرجة الدكتوراة من جامعة ييل. وقبل أن يبدأ الشاهد فى الإدلاء بشهادته قرر القاضى هدسون إرجاء جلسة الاستجواب إلى الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالى. وقد نشرت صحيفة بوسطن جلوب أن هذا الشاهد أظهر تعاطفا مع مؤلفنا وليم بوروز، وانبرى للدفاع عن روايته. ونشر هذه الصحيفة قائمة بأسماء الشهود الذين دافعوا عن رواية "الغداء العارى" كما أنها اقتطفت بعض عبارات ثناء نورمان مالر عليها، وذكر المحرر فى تقريره أن معظم المشاهدين حملوا رواية الغداء العارى تحت إبطهم وتابعوا الفقرات التى اقتطفت من هذه الرواية، وتليت على مسامع الشهود أثناء استجوابهم.

اليوم الثانى للمحاكمة وحظر الرواية فى بوسطن

فى اليوم السابق كان البروفيسور جاكسون قد أبلغ المحكمة أنه لن يتمكن من الحضور إلى قاعة المحكمة للاستمرار فى الإدلاء بشهادته إلا نحو الساعة العاشرة والنصف صباحا. فاقترح دى جرازيا محامى دار جروف بريس للنشر استغلال الوقت للنظر فى صلاحية المقالات والوثائق المنشورة فى الصحف والمجلات كدليل على أهمية الرواية من الناحية الاجتماعية. وأيد المحامى طلبه بما حدث فى ولاية ماساشوستس عند تقديم رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر إلى المحاكمة. وذكر دى جرازيا هيئة المحكمة أن المحكمة الأمريكية العليا رفضت بوضوح السماح بأي قرارات تتخذها الفيدراليات بخصوص الحدود الدستورية لحرية التعبير فى أمريكا أن تتعارض مع الخطوط العامة للدولة. وأضاف إن رفض المحكمة النظر فى المقالات المنشورة فى جميع ربوع الولايات المتحدة يعد فشلا فى أخذ معايير المجتمع المعاصر بعين الاعتبار عند طرح رواية "الغداء العارى" للمناقشة.

ونظرا لأن المحامى دى جرازيا توقع من المحكمة أن ترفض النظر فى هذه المقالات والمراجعات باعتبارها مجرد شائعات وقيل وقال لا تستأهل أن تؤخذ مأخذ الجد فإن المحامى دى جرازيا طالب باعتبارها تعبيرا كاملا عن رأى أصحابها.

وأخيرا اقترح دى جرازيا على المحكمة ضرورة النظر فى قائمة مطبوعات دار جروف بريس للنشر كدليل لأن هذه القائمة من شأنها أن توضح أن الناشر الذى ينشر مؤلفات عدد من أهم الكتاب الطليعيين لا يمكن أن يكون ناشرا للأدب الفاضح. ولكن ممثل الادعاء كووين ذهب إلى أن المقالات والمراجعات المنشورة حول الرواية لا تعدو أن تكون أقاويل ينبغى استبعادها. غير أنه أضاف أنه لا يمانع فى الاستخدام المحدود لهذه المقالات لإلقاء الضوء على المعايير الحالية للمجتمع. ثم ما لبث أن تحفظ قائلا إن مراجعة أى كتاب لابد أن تكون له علاقة بصلب القضية. ولكن محتوى أو مضمون المقال لا يمت إلى صلبها بصلة. وهو كلام أبعد ما يكون عن الموضوع، ويبدو نوعا من اللعب بالكلمات يرجع إلى أن أصحاب هذه المقالات كانوا من المعارضين ضد فرض الرقابة على المصنفات الفنية. وبرر الادعاء عدم اعتداده قانونا بمضمون هذه المقالات بأن كتابها لم يحلفوا اليمين عند الشروع فى كتابتها. فضلا عن انعدام أي فرصة لفحص مضمون هذه المقالات واستجواب أصحابها.

وأمام هذا الاعتراض القانونى القوى على أخذ المحكمة المقالات مأخذ الجد قال المحامى دى جرازيا إن مجرد نشر هذه المقالات فى أنحاء البلاد يبين بجلاء أن الرواية محل النظر تتمتع على حد قول المحكمة العليا على أقل تقدير بقدر ولو بسيط من الأهمية الاجتماعية التى تعوض بذاءتها. وبهذا القول أكد المحامى على أمرين، أولهما أن المقالات تشكل نوعا من الدليل على أهمية الرواية، وثانيهما أن الرواية توضح معايير المجتمع المعاصر.

وبينما الجدل يدور حول قبول أو عدم قبول المحكمة النظر فى المقالات المنشورة كدليل يعتد به وصل البروفيسور جاكسون إلى قاعة المحكمة التى طلبت منه الإدلاء بشهادته. وبسبب السرعة والعجلة التى جاء بها الشاهد بدا الاضطراب واضحا عليه أثناء إدلائه بشهادته فى المحكمة. ولعل أحد أسباب اضطرابه يرجع إلى استشعاره بموقف المحكمة المناوئ للرواية. ولهذا ظهر عليه الارتباك أثناء استمراره فى الإدلاء بشهادته. قال هذا الشاهد إنه يعتبر رواية بوروز محاولة ناجحة نسبيا للتعبير عن المغزى النفسى والأخلاقى والروحى لإدمان المخدرات، كما ذهب إلى أن بوروز استخدم وسائل أدبية تضاهى الوسائل التى استخدمها دانتى فى كتابه المشهور "الكوميديا الإلهية".

وسأل القاضى هدسون الشاهد جاكسون إذا كان دانتى وصف مجتمعه فى "الكوميديا الإلهية" على نحو شهوانى مثير مثلما فعل بوروز فى "الغداء العارى". واحتدم الحوار فى المحكمة حول تعريف كلمة المثير للاشتهاء. وتدخل المحامى لتنبيه القاضى إلى أنه لم يستدع الشاهد لسؤاله عن الإثارة الجنسية فى كل من "جحيم دانتى" ورواية "الغداء العارى". فرد القاضى قائلا إن البروفيسور جاكسون هو الذى عقد هذه المقارنة بقوله بوجود أوجه شبه بين الكتابين، ولكن الشاهد نفى أن يكون هذا الشبه متعلقاً باللغة المستخدمة فيهما.

ومضى الشاهد يقول فى سياق المقارنة بين روايتى دانتى وبوروز إن جانبا من كلتا الروايتين يهدف إلى صدم مشاعر القارئ، وإلى إثارة الاشمئزاز والغثيان فى نفسه. وهذا ما سعى جحيم دانتى وبعض كتابات جوناثان سويفت إلى تحقيقه. وللمرة الثانية قاطع القاضى الشاهد ليتبين منه وجود أوجه شبه بين كتابى بوروز ودانتى. ورغم أن الشاهد جاكسون لم يدر بخلده أن الكتابين ينتميان إلى نفس التصنيف فإنه أراد بهذه المقارنة توضيح أوجه الشبه بينهما. وأضاف الشاهد فى هذا الصدد أن الفقرة التى سطرها دانتى ووصف فيهما اثنين من الخطاة تجمدا فى الثلج حتى رقبتيهما ويأكل كل منهما رأس الآخر تستخدم نفس التكنيك الذى

استخدمته رواية "الغداء العارى" فى الفقرة التى تصور ما جرى بين مارى ومارك وجون وهم ينهشون لحم بعضهم البعض. ولعلنا نذكر أن ممثل الادعاء كووين سبق أن أشار إلى الفقرة نفسها التى تصور مارى فى رواية بوروز وهى تهجم على جون جنسيا ثم تبدأ بعد الجماع فى نهش وجهه وأعضائه التناسلية. ولكن الشاهد ما لبث أن قال إنه من الخطأ كل الخطأ أن نعتقد أن رواية "الغداء العارى" تطابق رواية "الكوميديا الإلهية" لدانتى.

وهنا قاطع القاضى شهادة الشاهد لينحى عليه باللائمة، قال: "يا مستر جاكسون لا داعى لأن نلقى محاضرة على أسماعنا. بل يتعين عليك أن تستمع إلى السؤال ثم تجيب عنه". فليس من المطلوب منك أن تناقش وتجادل فى القضية أو تدافع عنها. استغرب الشاهد جاكسون من توبيخ القاضى له. ومضى يشرح أن رواية "الغداء العارى" تعادل إدمان المخدرات؛ كما تعادل الإبرة المخدرة التى يحقن بها المرضى تحت الجلد بصورها اللواطية المرعبة وسوء استخدام القضيب أى استخدامه فى غير مكانه الطبيعى.

وأخيرا تناول جاكسون لغة رواية "الغداء العارى". وبينما هو يقرأ الفقرة من الرواية التى تعزز وجهة نظره قام المحامى دى جرازيا بمقاطعته وطلب إليه توجيه الحديث إلى القاضى هدسون الذى طلب بدوره من الشاهد توجيه إجاباته إلى كاتبة الاختزال، التى جاهدت لتسجل كلماته المتدفقة ووجدت صعوبة بالغة فى ملاحقة كلماته. واعتذر المحامى دى جرازيا عن السرعة التى قرأ بها الشاهد بعض المقتطفات من الرواية. ومن جانبه حاول الشاهد الإبطاء فى قراءته. ولكن السرعة التى قرأ بها فاقت قدرة كاتبة الاختزال على متابعته، الأمر الذى جعل القاضى يتدخل ليقول إنه يخشى أن تصاب الفتاة بانهيار عصبى بسبب عجزها عن متابعة كلمات الشاهد وأضاف أنه ليس هناك مانع فى أن يمضى جاكسون فى القراءة.

تحدث الشاهد عن استخدام المؤلف لكلمة (يضاجع[1]) البذيئة فقال إنها تدلّه على سخط مؤلفنا الأخلاقى على الممارسات الشاذة التى يصورها فى كتابه. وأضاف الشاهد أنه يشعر أن بوروز حاول أن يرسم لنا صورة لعالم الإدمان لها مصداقيتها على المستوى الرسمى. وهى صورة شديدة السلبية من الناحية الروحية.

---

[1] استخدم مؤلف الرواية مرادف الكلمة بالعامية الأمريكية.

وأصر كووين ممثل الادعاء على زيف الاعتقاد بوجود أوجه شبه بين روايتى دانتى وبوروز، وسأل الشاهد إذا كانت هناك أوصاف لممارسات جنسية انخرط فيها كل من جونى ومارى سبقت تصوير رواية "الغداء العارى" لمشهد أكلة لحوم البشر، فأقر الشاهد بوجودها متفقًا فى ذلك مع وجهة نظر ممثل الادعاء بوجود خلاف جذرى فى تناول كلا هذين المؤلفين لممارسة أكل لحوم البشر فى الروايتين المذكورتين.

وطلب ممثل الادعاء من الشاهد الرجوع إلى المنظر الذى تصوره رواية "الغداء العارى" (ص٥٩). وأن يشرح له طبيعة هذا المنظر فأجاب الشاهد بأنه منظر رجل يضاجع جثة امرأة ميتة. وحتى يتجنب الشاهد تضييق الادعاء الخناق عليه، اضطر إلى الاتفاق مع الادعاء فى أن الفقرة ليست لها علاقة بصلب الرواية. وأردف الشاهد قائلا إن هذه الفقرة وردت فى جزء من الرواية يصف الهلوسات المحمومة التى تجتاح عقل المدمن – الأفكار العفنة والفاسدة التى تداهمه.

وسأل ممثل الادعاء الشاهد جاكسون إذا كانت رواية "الغداء العارى" تحتوى على حبكة وشخصيات روائية. فرد جاكسون بقوله إن الرواية تسير وفق نظام. ولكنه اعترف بأن الرواية تخلو من الحبكة لأنها ليست رواية بالمعنى المتعارف عليه. ثم طلب منه الادعاء أن يصف الجزء الذى يحمل عنوان "حسن أولبرى" فقال الشاهد إننا لا نجد أى وصف حقيقى لشخصية حسن بل مجرد اسم هائم يظهر ويختفى فى صفحات الرواية. وتحدى ممثل الادعاء أن يوضح له الشاهد الهدف من ظهور هذه الشخصية الروائية واختفائه منها على هذا النحو. فاضطر الشاهد إلى الاعتراف بعجزه عن فهمها واستيعابها، ومن ثم عجزه عن شرحها. اعترف جاكسون لممثل الادعاء بهذا العجز قائلا إنه لا يستطيع الزعم بقدرته على شرح جميع التفاصيل الواردة فى الرواية.

ثم طلب الادعاء إلى الشاهد أن يشرح له الجزء الذى يحمل عنوان "ليعاذر يتوجه إلى بيته" (ص٦٨) فرد جاكسون بقوله إنه من المفترض أن العنوان يشير إلى قصة ليعاذر الذى مات فبعثه المسيح من الأموات. وأضاف أن هذا الجزء يبين أن مدمن المخدرات إنسان يعيش فى عالم الأموات. وأن ضياعه أمر مؤكد. ثم سأل الادعاء الشاهد عن الجزء المشار إليه فى الرواية بعنوان "الامتحان" (ص ص١٨٦-١٩٧) وإذا كان من الضرورى أن يكرر بوروز إشاراته إلى الشذوذ الجنسى وذلك بعد استفاضة المؤلف فى الحديث عنه على مدى

١٨٦ صفحة. وأظهر الشاهد ضيقا من توجيه مثل هذا السؤال قائلا إن رواية "الغداء العارى" ليست قائمة مراجع.

عندئذ عاد ممثل الادعاء إلى مناقشة النقطة المحورية فى محاجته. وهى وجود أو عدم وجود استمرارية فى الرواية. وهى نقطة اعتبرها الادعاء بالغة الأهمية. لأنه إذا استطاع أن يثبت افتقار الرواية إلى بناء أو حبكة فإنه لا يصح تناولها كوحدة واحدة، الأمر الذى سوف يمكّن الإدعاء من القول إن الهدف الوحيد من أجزاء الرواية الجنسية هو إثارة الشهوة الجنسية قام المؤلف بإقحامها فى كتلة روائية ليس لها شكل. واعترف جاكسون أن الرواية لا تدعى وجود عنصر الاستمرارية الذى نجده فى الروايات التقليدية، وأن هذا ما أكده بوروز نفسه فى النص الروائى مرتين على أقل تقدير. ورغبةً من ممثل الادعاء فى تضييق الخناق على الشاهد نراه يلح عليه أن يشرح السبب الذى حدا بالمؤلف أن يكتب جزءا روائيا منفصلا يقع فى اثنتى عشرة صفحة بعد أن كرر كلامه فى هذا الموضوع عدة مرات، فرد عليه الشاهد بقوله إن هذا التكرار عبارة عن تكرار لحالة نفسية مرضية لم يقم المؤلف بتقديمها على هذا النحو فى أى موضع آخر من الرواية.

مضى ممثل الادعاء فى استجواب الشاهد فسأله إذا كانت صورة اللواط وإدمان المخدرات تشغل الجانب الأعظم من رواية بوروز، فعبر الشاهد عن اتفاقه مع الادعاء فى هذا الرأى. وعاد المحقق إلى النقطة نفسها التى سبق أن أثارها، ومفادها ألم يكف المؤلف أن يسطر كل هذا العدد الكبير من الصفحات لوصف الممارسات الجنسية الشاذة دون الحاجة إلى إضافة جزء بذئ جديد يقع فى اثنتى عشرة صفحة؟ وهنا اعترض الشاهد على ما قاله الادعاء الذى ألح فى استفساره عن هذه النقطة. فصاغ كووين سؤاله بطريقة أخرى: "هل يضعف تأثير الرواية إذا استبعد منها المؤلف هذا الجزء الزائد على الحاجة؟ عندئذ أكد الشاهد أن الرواية سوف تصبح أقل تأثيرا.

وانتهز القاضى هذه الفرصة ليسأل الشاهد عما تتضمنه الرواية من أوصاف وعبارات جنسية وعن هلوسات مدمن المخدرات واللغة التى كتب بها بوروز روايته. فأجاب جاكسون أنه لا يرى أن الرواية تتضمن أدبا فاضحا أو مكشوفا، مضيفا أنه يعتبر منظر مارى بعد مضاجعة جونى لها وجماعها وهى تنهش لحم جونى منظرا كريها ومنفرًا، وأوضح أن جزءا من اللغة التى تستخدمها شخصيات الرواية قمئ بمعايير الحياة اليومية.

ثم أشار القاضى هدسون إلى نص رواية "الغداء العارى" سائلا الشاهد إذا كان يرى فى الفقرة الأولى من الجزء الذى يحمل عنوان "الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج." أي كلمات بذيئة أو خارجة. فاعترف جاكسون أنه لو كان حاضرا حفلة وتصرف أحد المدعوين إليها على هذا النحو لكان استياؤه عظيما. ولكن القاضى اعتبر أن إجابة الشاهد ليست كافية فطلب منه الرجوع إلى صفحة ٧٥ قائلا إن قراءة هذه الصفحة بصوت عالٍ فى قاعة المحكمة لا تنطوى على أي فائدة. والجدير بالذكر أن القاضى سبق أن فاجأ الشاهد بإشارته إلى إحدى الفقرات البشعة والبذيئة التى وردت فى ذلك الجزء من الرواية الذى يحمل عنوان "حجرة حسن المليئة بالضوضاء". وذكر الشاهد أن هذا المشهد يصور المفهوم المفرط فى الخيال لما يحدث على الصعيدين الفيزيقى والروحى فى حجرات أمريكا التى تعج بالضجيج. ولكن الشاهد عند مواجهته بالفقرة الجديدة المقتطفة من الرواية قال إنه لو سمع مثل هذه الألفاظ فى بيته لأصابه استياء عظيم".

لقد أراد القاضى أن يعرف من الشاهد إذا كان قد سمع فى حياته ما هو أكثر بذاءة مما ورد فى الرواية، فاعترف جاكسون بأنه سمع أيام الدراسة بالكلية ألفاظا تفوق فى بذاءتها ألفاظ بوروز. ولكن عندما سئل عنها رفض التفوه بها فى قاعة المحكمة. سأله القاضى إذا كانت بعض هذه الكلمات موجودة فى المعاجم والقواميس فرد قائلا إن بعضها غير موجودة بالمعاجم حيث إنها كلمات مركبة وواضحة المعنى بسبب ما تحتوى عليه من تركيبات، ولكن بعض الكلمات الأخرى تصف بعض الأفعال أو بعض أجزاء الجسم.

وأخيرا تساءل القاضى عن ضرورة فرض قيود على استخدام الكاتب للألفاظ البذيئة. وهنا تردد الشاهد فى الإجابة وقال إنه يرى -من وجهة نظره- عدم فرض أى قيود على الكاتب لأنه حر فى أن يكتب ما يشاء. ثم أضاف الشاهد أنه -من الناحية القانونية– لا ينبغى فرض أي قيود على الفنان. وهو رأى شائع بين المشتغلين بالأدب والنقد الأدبى.

وهنا تدخل المحامى دى جرازيا ليسمح للشاهد جاكسون أن يوضح التكنيك الذى يستخدمه وليم بوروز فى تأليف رواية "الغداء العارى". ففى رأى هذا الشاهد أن التكرار وانعدام التنظيم والفوضى الموجودة فى النص تلعب دورا وظيفيا فى أساليب الكتابة التجريبية الحديثة. وأضاف هذا الشاهد إن هذا التكنيك يتمثل فى اهتمام بوروز وعنايته بصياغة صور شبيهة بالصور التى نطالعها فى بعض كانتوهات إزرا باوند وفى قصيدة ت.س. إليوت "الأرض الخراب". وأجاب الشاهد قائلا إنه يستحيل أن نحدد بدقة كل إشارة

وردت فى رواية الغداء العارى على نحو عقلانى. ويشبه جاكسون مؤلفنا بالشاعر ت.س.إليوت الذى أعطى قارئه تعليمات بالطريقة التى ينبغى عليه اتباعها عند قراءة كتابه.

وهنا بدأ ممثل الادعاء كووين فى استثارة غيظ الشاهد. ودار بينهما الحوار التالى:

كووين: إذن فالتسجيل الذى يدونه المؤلف للعمليات النفسية يعتمد على كيفية تطورها؟!

جاكسون: إن السجل المدون يعتمد على الكاتب الذى يدونه... أى على حساسية الفنان.

كووين: هل يقوم بتسجيل عملياته النفسية المريضة؟

جاكسون: إنه لا يقول هذا.

كووين: إذن فمن صاحب العمليات النفسية المريضة التى يسجلها؟

جاكسون: لست متخصصا فى مجال الأمراض النفسية التى يصورها الفن. ولكن أفترض أنه يسجل حالاته النفسية المريضة، أو بالأحرى يسجل الحالات النفسية المريضة بوجه عام.

كووين: وهل يخضع مفهومه للعمليات النفسية المريضة لسلسلة من تجارب الشذوذ والانحراف التى استغرقت منه لوصفها ما يقرب من مائتى وخمس وعشرين صفحة؟

جاكسون: نعم، إنها عملية تحتاج فى وصفها إلى مائتين وخمس وعشرين صفحة.

قال جاكسون هذا ليوضح لممثل الادعاء سخافة سؤاله، ثم أردف قائلا إنه لا يمكن إعادة صياغة عبارات الرواية أو إجراء أي تغييرات فيها أو حذف كلمة واحدة أو إسقاط أى صفحة منها؛ حيث إن هذا قمين بالإضرار بالرواية.

وبدت الحيرة على وجه القاضى هدسون لأنه كان يعرف أن الرواية طبعت فى نيويورك عام ١٩٦٢ دون أن يعرف أن دار جورديا‌س سبق أن نشرت هذه الرواية فى باريس عام ١٩٥٩. ثم تحدث المحامى دى جرازيا عن توزيع الرواية بطريقة طبيعية فى كل أنحاء الولايات المتحدة على عكس الأدب المكشوف الذى يتم توزيعه سرا.

وبهذا انتهت شهادة جاكسون بعد أن تمكن ممثل الادعاء والقاضى أن يحملاه على الإدلاء بأقوال يمكن تفسيرها لغير صالح الرواية، الأمر الذى عرض مصيرها للخطر. واتضح من أسئلة كل من القاضى والادعاء أنها تركزت على استخدام بوروز لبعض

الكلمات المعينة والمناظر المنفصلة والمستقلة. فضلا عن أن القاضى والادعاء ركزا اهتمامهما على وجود حبكة روائية محددة المعالم انتهى بها إلى الإحباط والاكتفاء بالتركيز على فقرات منفصلة وردت فيها ألفاظ عامية نابية وبذيئة.

وبعد استعراض القاضى للمقالات والمراجعات التى تتناول "الغداء العارى" صار مقتنعا بما يشوبها من سلبيات مستندا إلى ما استقاه من الكتابات النقدية الأدبية. وأبرز ما لفت نظر القاضى فى رواية بوروز شدة بذاءتها.

يتضح لنا مما تقدم أن كفة اقتناع المحكمة ببذاءة الرواية كانت الراجحة. ولم يبق سوى أمل أخير فى تخلى القاضى عن رأيه السلبى فى الرواية. وتمثل هذا الأمل فى الشهادة التالية التى كان آلن جنسبرج – صديق مؤلفنا لمدة عشرين عاما - يزمع أن يدلى بها. ولهذا حبس الحاضرون أنفاسهم وهم يشاهدون آلن جنسبرج يدخل القاعة حافى القدمين تقريبا ولابسا صندلاً برزت منه أصابع قدميه.

وقف آلن جنسبرج على منصة الشهادة، وأقسم على قول الحق ولا شىء غير الحق. وأعطى المحكمة عنوان محل إقامته فى نيويورك. قال إن مهنته قرض الشعر، كما أدلى بقائمة كتاباته وهى هاول" (العواء) و"المرآة الفارغة" و"كاديش" و"سندويتشات الحقيقة". فصاح القاضى مستغربا من عنوان المطبوعة الأخيرة متسائلا: "سندويتشات الحقيقة"، فرد جنسبرج عليه بقوله: "مضبوط". ثم استمر فى سرد مقالاته ومراجعاته للكتب كما تحدث عن تجربته فى مجال التدريس.

أخذت المحكمة استراحة قصيرة ثم استأنف المحامى دى جرازيا طرح الأسئلة على الشاهد. غير أن القاضى هدسون استمر فى مقاطعته ليسأل جنسبرج على سبيل المثال عن مجلة "بروفنس تاون ريفيو"، وإذا كانت هناك أي علاقة تربط بينها وبين أحد النوادى الأدبية. فشرح له الشاهد جنسبرج أن هناك مجلة أسبوعية بالعنوان نفسه؛ ولكنها ليست المجلة التى أسهم فى تحريرها، حيث إنه أسهم بقلمه فى تحرير مجلة أدبية صدرت منذ أربعة أعوام. ولعل القاضى أراد بسؤاله أن يعرف إذا كانت هناك علاقة بين جنسبرج والرقابة التى فرضت على ما كتبه هيوبرت سلبى ونشرته مجلة بروفينس تاون ريفيو والمنشور كفصل فى الرواية التى تحمل عنوان: "الخروج الأخير لبروكلين".

وطلب المحامى دى جرازيا أن يتعرف على صورة نشرتها مجلة تايم فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ ضمته مع الكاتب بوروز وكيروالك. والجدير بالذكر أن هذا العدد المشار إليه من المجلة تضمن مراجعة ونقدا لاذعا لرواية بوروز "الغداء العارى"، وهو نقد أصاب بوروز بجرح نافذ جعله يلتجئ إلى القضاء كى يرد له اعتباره. وبدا غريبا للغاية أن يستشهد الدفاع بمقال يناصب بوروز وروايته العداء. وعلى أي حال لم تكترث المحكمة بالصورة بل بدأت على الفور فى مناقشة ما تنطوى عليه رواية "الغداء العارى" من أهمية اجتماعية.

قال آلن جنسبرج للمحكمة إن رواية بوروز تحتوى على مناقشة مهمة لنظريات إدمان المخدرات وتناول "الغداء العارى" الواضح لها كاستعارة أو رمز لسائر أنواع الإدمان المختلفة فى الجزء الذى يحمل عنوان "علم الجبر الخاص بالحاجة". غير أن القاضى قاطعه ليشرح له معنى بعض العبارات التى أوردها بوروز فى روايته فشرحها له. ثم استمر القاضى فى مقاطعة جنسبرج ليحدثه عن بذاءة أو عدم بذاءة عنوانها، فرد عليه الشاهد بقوله إن كلمة "عارى" تعنى وضوح الرؤية وجلاء النظرة، أى القدرة على تجاوز الأقنعة الغائمة والوصول مباشرة إلى قلب الحقيقة. وأضاف أن كلمة "غداء" فى عنوان الرواية تشير إلى وليمة عامرة بكل ما لذ وطاب، وتتسم بكل هذا الوضوح وكل هذا الإدراك الجلى.

واصل المحامى دى جرازيا أسئلته متوقعا من الشاهد جنسبرج الإدلاء برأيه فى أهمية الإدمان كموضوع تدور حوله الرواية ومدى إسهام هذه الرواية فى شفاء المدمنين.

وعلى أي حال لم يفهم القاضى هدسون شرح جنسبرج لمعنى عنوان الرواية. ولهذا نراه مرة أخرى يقاطع الشاهد ليسأله:

إنك لن تجد ثمة علاقة ولو بعيدة تربط بين عنوان الرواية وأية حادثة فيها تصور الأفعال الشاذة وغير الطبيعية.

جنسبرج: نعم، سوف ترى ثمة رابطة أو علاقة فى هذا الجزء أيضا.

القاضى: هل يمكنك الذهاب بعيدا إلى حد القول بوجود علاقة بينه وبين وصف شخص فى مقدمة الكتاب يأكل البراز المقدم إليه على طبق؟

جنسبرج: هذه الصلة لم تخطر مطلقا على بالى من قبل.

القاضى: حسنا... وما قولك الآن؟

جنسبرج: من المؤكد أنه يمكن إدراج هذا الجزء أيضا. نعم من المؤكد أنه يندرج أيضا. فالرأى عندى أن كل المستويات التى يتضمنها العنوان مقبولة.

وهكذا استطاع القاضى هدسون الربط بين عنوان الرواية وأكل البراز.

وحاول القاضى هدسون أن يجعل الشاهد يتذكر تاريخ ومكان نشر رواية "الغداء العارى". والغريب أن جنسبرج لم يتذكر تاريخ النشر، فقد قال: "أظن أن التاريخ هو عام ١٩٥٩ أو عام ١٩٦٠. غير أنى لست متأكدا من ذلك. وأخيرا تذكر جنسبرج أن الرواية نشرت باللغة الإنجليزية فى فرنسا عام ١٩٥٩، وأنها رأت طريقها إلى النشر فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٢. وحاول القاضى هدسون أن يجعل الشاهد يذكر بعض الروايات الأخرى التى نشرت سرا فى باريس مثل "مدار السرطان" و"عشيق الليدى تشاترلى" غير أن المحامى سأل القاضى باستغراب: "وهل لهذا أي أهمية؟ وهل يمكننى أن أستخلص شيئا من هذه المعلومة؟"... وهنا أنكر القاضى أنه كان يسعى بتساؤله إلى ما تعرضت له روايتا د.هـ.لورانس وهنرى ميلر من حظر.

استمر القاضى فى استجواب جنسبرج وانتقل إلى مناقشة المغزى الذى ترمى إليه محاكاة بوروز الساخرة من الأحزاب، فرد جنسبرج عليه بقوله: "إن بوروز يعتبر نفسه داعية إلى الواقع. وهنا علق القاضى ساخرا بقوله: "إن جماعة بيركس تدعو أيضا إلى الواقع. أليس كذلك؟" ولكن جنسبرج أسكته بقوله: "إننى لم أقرأ ما كتبته هذه الجماعة فى واقع الأمر".

تدخل المحامى لفض النزاع بين القاضى والشاهد حتى لا يخوض الشاهد فى شئون السياسة. وسأله عن رأيه فى شخصية كاتب الحى (ص ص١٦٩ - ١٧٧) فى رواية بوروز فرد جنسبرج بقوله إنه يعتبر هذه الشخصية التى رسمها هذا المؤلف تعطينا صورة واقعية عن نوعية الرجال المؤمنين بالعنصرية وفصل البيض عن السود كما يمارس فى الجنوب الأمريكى، والذى كثيرا ما أشارت إليه الصحف.

وقبل بدء المحاكمة كان جنسبرج قد دون مذكرات وملاحظات موسعة عن رواية "الغداء العارى". وفيما يلى ما كتبه الشاهد جنسبرج فى مذكراته عن كاتب الحى. قال: هو صورة كاملة ووافية عن الشخص العادى للزنوج... والليبرالية والسامية والتعددية. وهذا الجزء من أكثر الأجزاء لمعانا وتلألؤاً وإثارة للضحك... كتبه المؤلف فى منتصف

الخمسينيات وكأنه تنبأ بما سوف يحدث، معتمدا على تجربته الحياتية الواسعة فى كل من ميسورى وفلوريدا وتكساس ولويزيانا... هذا الجزء يفضح الهوس الأساسى بالجنس والمضاجعة وضيق الأفق.. مثل هذه النوعية من البشر تشكل العمود الفقرى لعصابة الكلوكس كلان المتعصبة والمسيطرة على المجتمع.

وعندما هم الشاهد جنسبرج باقتطاف جزء من حوار هذه الشخصية ليوضح كيف حاكى بوروز عداءها للسامية بادر القاضى بسؤاله إذا كان باعتباره يهوديا قد وجد هذا الجزء مسيئا لمشاعره. وهنا انفجر جنسبرج قائلا: "كلا. إن بوروز هنا يدافع عن اليهود. ألا تدرك أنه يقدم إلينا محاكاة تسخر من خطاب وفكر الأمريكى الجنوبى ذى الرقبة الحمراء... هذا النوع من البشر الذى يمتلئ قلبه بالكراهية... كراهية كل إنسان سواء كان يهوديا أم زنجيا أم من سكان الشمال الأمريكى. إن بوروز هنا يتخذ موقفا أخلاقيا للغاية شبيها بالدفاع عن الأخيار فيما أظن".

ولا شك أن انفعال الشاهد جنسبرج ترك أثره فى المستمعين إليه. وكان السؤال التالى الذى طرحته المحكمة عن ذلك الجزء من الرواية الذى يحمل عنوان "المستشفى" (ص٥٥-٦٨) وماذا سيحدث للرواية فى حالة استبعاد هذا الجزء منها. أجاب جنسبرج بقوله إنه لا يمكن استبعاد هذا الجزء من الرواية لأنه يتكون من مذكرات وثائقية عن الإقلاع عن إدمان المخدرات وأعراض الانطواء أو الانسحاب التى تطرأ على سلوك المرضى فى المستشفيات. هنا قاطع القاضى الشاهد مرة أخرى ليسأله: ...أنت تحدثنا عن قذف الحيوانات المنوية فى إناء الفخار". وهنا استبد الفزع الكامل بالشاهد فسأل القاضى: "فى أي صفحة طالعت هذا؟ فرد عليه القاضى "فى مكان ما فى الرواية".

وأيضا دافع جنسبرج أمام القاضى عن الفقرة التى وردت فى رواية بوروز. وهى تدور حول قيام مجرم بمضاجعة امرأة ميتة. وبذل المحامى جهدا جهيدا لتبديد الآثار السلبية التى قد يكون استجواب القاضى للشاهد قد تركها. وعلق الشاهد على سيطرة الرغبات الشبقية على مدمن المخدرات بعد إقلاعه عن إدمانها. ذهب الشاهد إلى وجود علاقة بين الرغبات الجنسية الشبقية وحالة الانطواء أو الانسحاب التى تنتاب المدمن نتيجة إقلاعه عن الإدمان. وأكد جنسبرج أن ظاهرة الشبق الذى يعقب حالة الانسحاب حقيقة ثابتة يقر بها المحللون النفسيون.

غير أن القاضى بدا غير مقتنع بالتفسيرات التى قدمها الشاهد حول فقرات الرواية الجنسية.

واختتم المحامى دى جرازيا استجوابه بسؤال الشاهد عن الأهمية التى تمثلها الرواية "الغداء العارى" بوصف أنه شاعر وأديب خلاق. أجاب جنسبرج بقوله إنه شخصيا يؤمن بأهمية الرواية نظرا لأمانة مؤلفها فى كتابة أدب الاعتراف. فهو لا يخفى شيئا على الإطلاق كما أنه لا يقصى أو يستبعد شيئا على الإطلاق. واختتم جنسبرج شهادته ببعض أبيات المديح والثناء التى كان الشاهد الشاعر جنسبرج قد ضمنها كتابه "سندويتشات الحقيقة".

لم يعد هناك فى جعبة المحامى دى جرازيا أي أسئلة أخرى يطرحها على الشاهد.

ذهب جنسبرج إلى القول إن "حجرة حسن المليئة بالضجيج" و"الاحتفال السنوى الذى يقيمه أ.ج." نوع من التعبير الشخصى العميق الذى كشف به المؤلف عن مكنونات نفسه. وعلق جنسبرج على الجزء الأول من الرواية بقوله إنه قد يكون إسقاطا من جانب المؤلف للصورة البشعة التى يرى نفسه عليها، وهى صورة دفعته إلى الهروب إلى عالم المخدرات، كما أنه صورة تعود إلى الظهور بعد شفائه من إدمانه. وأيضا ذكر الشاهد فى مذكراته التى دونها فى "الاحتفال السنوى الذى يقيمه أ.ج." أن بوروز يستخدم أسلوب التكرار. فضلا عن أن الشاهد بدأ فى تحديد الصور الجنسية التى يرسمها بوروز. والرأى عند جنسبرج أن الجزء الثانى "فحص لخيالات المؤلف الجنسية التى يحمل بوروز المقت الكثير لها"، مضيفا أن هذا المؤلف يقوم بطرد هذه الخيالات عن طريق تكرارها وإعادة سردها ومحاكاتها للتعريف بها والنيل منها... هى استكشاف لكل أفكار بافلوف عن رد الفعل الشرطى الانعكاسى وتأثير العادة فى السلوك الإنسانى... وهى صورة مقترنة بأحاسيس المؤلف الشبقية... وبسبب وعى مؤلفنا بدوافعه الداعرة تمكن من تحرير نفسه من ملاحقة الصور التى تتملكه ولا تبارح ذهنه على الإطلاق...

وتكشف تعليقات جنسبرج بأن كراهية بوروز لنفسه تقبع وراء جانب كبير من كتاباته. وقد ظهر هذا بوضوح عندما سأل كووين ممثل الادعاء الشاهد عن رأيه فى الجزءين اللذين كان الادعاء يؤمن ببذاءتهما.

دار سؤال الادعاء الأول حول لواط المؤلف كما يتمثل فى "حجرة حسن المليئة بالضجيج"، وعلاقة هذا الجزء بإقلاعه عن إدمان المخدرات. فقد أراد الادعاء أن يعرف ما

الذى يدعو المؤلف إلى الاستمرار فى إشاراته اللواطية حتى بعد إقلاعه عن تناول المخدرات. وفسر الشاهد ذلك بقوله إن الشبق تملك المؤلف بوجه خاص بعد إقلاعه عن تناول المخدرات. فضلا عن أن المدمن الذى تصوره رواية "الغداء العارى" كان لواطيا منذ البداية. وانتهز الادعاء هذه الفرصة السانحة ليسأل الشاهد السؤال التالى: "إذن فنحن أمام كتاب يدور حول الشذوذ الجنسى الذى لا يرتبط بالضرورة بإدمان المخدرات". وأحس الشاهد بالادعاء ينصب له الشباك، فقال: "حسنا، هناك علاقة بين الشذوذ الجنسى الذى يجده المؤلف مروعًا للغاية والدوافع التى تدفعه إلى ممارسة الشذوذ الجنسى، فضلا عن الخوف من الإقلاع عن المخدرات، حيث يتعين عليه عند الإقلاع عنها مواجهة الأعراض المتزامنة للشذوذ الجنسى الكامنة فى نفسه.

ولفت الادعاء نظر جنسبرج إلى ذلك الجزء من الرواية الذى يحمل عنوان "المستشفى"، مشيرا على وجه الخصوص إلى العبارة التالية التى وردت فى منتصف محاكاة شرح الدكتور بنواى لأداء الدكتور تترازينى الطبى. وقرأ العبارة التالية على مسمع الشاهد: "وضعت الأورام تنزازينى فى حالة غضب ملتاث".

وهنا سأل المحامى الشاهد عن هذه الإشارة إلى الأورام والخلايا المنفلتة وغير الخاضعة للنظام، وعلاقة هذا بحالة الانسحاب التى يشعر بها المقلع عن إدمان المخدرات. ورد الشاهد جنسبرج بأن الجزء الخاص ببنواى عبارة عن هجاء للشكوك الخاصة بالشعور بالاضطهاد الذى يعانيه المدمن خلال فترة إقلاعه عن تعاطى المخدرات. وأن هذه الإشارة عبارة عن خيال طبيب ملتاث يجرى عمليات جراحية مجنونة.

استمر ممثل الادعاء كووين فى استجواب الشاهد عن ممارسة اللواط فى رواية "الغداء العارى" وموقف المؤلف منها. فذهب جنسبرج إلى رأى مفاده أن الشذوذ الجنسى روع المؤلف وبث الرعب فى قلبه. وأضاف أن المؤلف اعتبر روايته هجوما على مخاوفه لمحقها وإلحاق الهزيمة بها. فضلا عن الأثر التطهيرى الذى تتركه الرواية فى نفس قارئها القادر على تتبعها.

ثم انتقل الادعاء من مناقشة موضوع الشذوذ الجنسى وطلب من الشاهد أن يشرح له أسباب الخلاف الظاهر فى أسلوب المؤلف فى كتابة الرواية وأسلوب الملحق، كما طلب منه أن يشرح له إذا كان المؤلف قد اختار كلا الأسلوبين عن وعى. فأجاب الشاهد أن الكاتب لا يختار أسلوبه فى الكتابة عن وعى وإدراك.

وكذلك طلب الادعاء من جنسبرج التعليق على تصوير علاج إدمان المخدرات وشرح الفروق بين تصوير المؤلف فى الجزء الأساسى من الرواية وبين تصويره فى كل من مقدمة الرواية وملحقها. فرد الشاهد معلقا أن الجزء الرئيس من الرواية انتقد الإدمان فى شكل درامى. فسأله الادعاء ملمحًا: إذن فمعالجة المؤلف الفعلية للتغيرات التى طرأت على موقفه من إدمان المخدرات لها وجود فعلى سواء كان هذا التغير موجودا فى مقدمة الرواية أو ملحقها... أليس كذلك؟"

جنسبرج: كلا، فهذا النقد السلبى الموجه ضد علاج الإدمان فى يومنا الراهن موجود فى الرواية من أولها إلى آخرها.

كووين: لست أشير إلى النقد بل أشير إلى اقتراحات التغيير.

أدرك الشاهد أن ممثل الادعاء يحاصره ويضيق الخناق عليه، فقال إنه ليس فى مقدوره الإجابة عن هذا السؤال إلا إذا عاد إلى النص الروائى الأساسى ليرى إذا كان يحتوى على إشارات إلى المورفين أم لا. وعندئذ اكتفى الادعاء بهذا القدر من الاستجواب.

وانتهز القاضى هدسون الفرصة ليسأل جنسبرج بعض الأسئلة، فقد طلب من الشاهد أن يشرح له قوله إن بعض أجزاء رواية بوروز تتسم بالشاعرية الشديدة. وأيضا تساءل القاضى عن موضع بعض العبارات التى رأى فيها الشاهد شاعرية جذابة.

ثم واجه القاضى الشاهد جنسبرج بقوله إن بوروز يحتمى وراء الهلوسات ليبث فى أى موضع من الرواية أدبه الفاضح والمكشوف. قال: "الذى يؤرقنى هو إذا كان قيام المؤلف بإدخال الأدب الفاضح والمكشوف فى أى موضع من الرواية يصف لنا فيه هلوسات المدمن أمرا سيئا للغاية أم لا! ثم كرر القاضى قوله إن الرواية تفتقر إلى الاستمرارية مضيفا أن مؤلفها درج على حشر بذاءاته فى أى موضع فى روايته.

وعبثا حاول الشاهد جنسبرج والمحامى دى جرازيا تصحيح مفهوم القاضى واقتناعه بخلو رواية "الغداء العارى" من الحبكة الروائية حيث إن هذه الرواية أشبه ما تكون بتيار الحياة الجارى الذى ليس له بداية أو نهاية.

وعبر القاضى عن رأيه بوضوح تام قائلا إن أحد مصادر قلقه الذى اعتبره شرطا للحكم على الرواية بأكملها هو معرفة إذا كان المؤلف قد تذرع بتصوير هلوسات مدمن مخدرات كى يدس فيها بمكر ودهاء كل ما يعن له من نزوات وخيالات وكتابات جنسية

فاضحة. واعترف القاضى هدسون أنه يتفهم رأى خبراء الأدب القائل بأن من الضرورى أن تخلو الرواية من الاستمرارية فى تصوير أفكار شواذ الجنس ومدمنى المخدرات. ولكنه أضاف أنه عاجز عن رؤية العلاقة بين ما يبدو له قبحا وبذاءة مقنَعة وبين الأفكار التى سبق أن عبر عنها بوروز فى فقرات سابقة أو لاحقة. ثم تساءل القاضى إذا كان جنسبرج سيشهد فى حياته أو فى الأجيال المقبلة زوال الرقابة تماما فيما يتعلق بالكتب والمطبوعات.

ثم عاد القاضى ليسأل الشاهد جنسبرج إذا كان قد زار لندن عام ١٩٥٩ وكتب عن التقرير الذى أعدته لجنة الشذوذ الجنسى التى اجتمعت فى لندن، وإذا كان الشاهد يعلم بأمر هذه اللجنة وهذا التقرير أم لا. فرد الشاهد بقوله: قرأت عنهما فى الصحف ولكن لم أكتب أى شىء عنهما... وأظن أنى كنت فى باريس فى ذلك الوقت.

ولعل القاضى كان يرمى من وراء سؤاله النيل من مصداقية جنسبرج كشاهد.

وبهذا انتهى من استجوابه. وتدخل المحامى للتغطية على بعض النقاط التى اعتبرها معيبة فى شهادة جنسبرج. وطلب المحامى من الشاهد أن يوضح للمرة الثانية الفرق بين أسلوب النص الروائى الرئيس وأسلوب الملحق والمقدمة. فعاد الشاهد ليؤكد من جديد العلاقة الأكيدة بين مقدمة الرواية ونصها الرئيس. والجدير بالذكر أنه كان بمقدور ممثل الادعاء أن يقارن بين النص الروائى الذى نشرته دار أولمبيا الباريسية للنشر والنص الروائى الذى نشرته دار جروف بريس، وأجرت عليه بعض التعديلات تحسبا لاعتراض الرقيب.

وأخيرا طلب المحامى دى جرازيا من جنسبرج أن يشرح له الفرق بين الدعارة التى يمارسها الذكور مع الذكور والدعارة التى يمارسها الذكور مع الإناث فى الرواية فأجاب جنسبرج شارحا أن المدمن كثيرا ما يبيع جسده للحصول على المال من أجل استمراره فى الإدمان. فهذه الدعارة الذكورية نتيجة للإدمان. فلا غرو إذا رأيناها تظهر لنا كأحد الموضوعات التى تعالجها رواية "الغداء العارى".

وبانتهاء شهادته غادر الشاعر جنسبرج منصة الشهادة.

ثم طلب دى جرازيا المحامى من القاضى هدسون أن يوضح سبب قراره بالسماح بتقديم المراجعات والمقالات التى كتبت عن الرواية كدليل على أهميتها. ويرجع السبب فى هذا الاستيضاح إلى قلق المحامى بشأن بعض ما ورد فى هذه المقالات والمراجعات، فقد خشى المحامى أن تتضمن هذه المقالات ما يسئ إلى بوروز وروايته فأوعز للقاضى بعدم وجود ضرورة لقراءتها فى المحكمة حيث إن مجرد وجودها فى ذاته اعتراف ضمنى بأهمية

رواية بوروز. وكان أخشى ما يخشاه المحامى أن يجد فى بعض هذه المقالات تلميحا إلى أن رواية بوروز تهاجم المبدأ الفرويدى الذى يرى أن الكبت الجنسى ضرورة لانتعاش الفن لأن الطاقة الجنسية التى لا تعرف الكبت تؤدى إلى تضاؤل الاهتمام بالفنون والحضارة عموما. ومعنى هذا أن محاكمة رواية "الغداء العارى" أثارت جدالا بين الذين يؤمنون بضرورة وجود الكبت الجنسى من أجل انتعاش الفن وبين الذين يؤمنون بأن التحرر والانطلاق فى ممارسة الجنس يجعل الآداب والفنون تزدهر وتنتعش. وهى مسألة لا يستطيع القانون حسمها أو البت فيها.

واختتم المحامى دى جرازيا محاجته بالاستشهاد بالمراجعة التى نشرتها مارى مكارثى عن "الغداء العارى" فى مجلة نيويورك للكتب. واستمر المحامى فى مناقشة القرارات والأحكام القضائية التى صدرت مؤخرا بخصوص الجنس، شارحا أن المحك والعبرة فى قضية روث يقتضى عدم فرض الرقابة على أى كتاب إذا تضمن أى قدر ولو ضئيل من الأهمية الاجتماعية، أى أنه يتعين على القاضى أن يخلص من شهادة الشهود ومن الأدلة الوثائقية المقدمة أن رواية "الغداء العارى" شديدة السطحية والتفاهة وخالية من القيمة الاجتماعية قبل أن يصدر حكما صحيحا ببذاءة الرواية. وتحدث المحامى إلى القاضى قائلا:

"ليس من المهم يا سيادة القاضى المبجل إذا كان الكتاب صادقا أو مثيرا للاشمئزاز أو بذيئا أو سيئا حيث إن المحكمة الأمريكية العليا حكمت فى قضية روث بما يلى: "إن الكتب التى تعبر عن أفكار –مهما تضاءلت أهمية هذه الأفكار ومهما كانت هذه الأفكار غير تقليدية ومثار جدل... حتى إذا كانت هذه الأفكار مقيتة فى نظر الرأى العام السائد– تتمتع بالحماية الكاملة التى توفرها الضمانات الدستورية، لأنه إذا اتضح أن أى كتاب يتضمن أى قدر من الأهمية فإنه يستحق الحماية دون النظر إلى ما يتضمنه هذا الكتاب من أفكار كريهة. ولم يفت المحامى أن يذكر القاضى أن رواية بوروز تصور جحيم الإدمان سائلا إياه: "من ذا الذى يقول عن الجحيم إنه غير صادم وغير مقيت وغير مثير للاشمئزاز وغير بذئ وغير مهذب!!"

وأخيرا اقتطف المحامى فقرة من خطاب عن الجنس أرسله بوروز إليه.

ثم قرأ على القاضى آراء سيجموند فرويد وجون ديوى عن الضرورة المطلقة فى توفير الحرية الفنية ابتغاء للمصلحة العامة. ثم أنهى المحامى كلامه بقوله إنه يرجو من المحكمة أن تحكم بتوفير هذه الحرية، موجهًا إليها الشكر لحسن استماعها.

وفى الحال سأل القاضى هدسون المحامى إذا كانت رواية "الغداء العارى" سبق تقديمها إلى المحاكمة. فأخبره المحامى دى جرازيا أن الكتاب ككل لم يقدم إلى المحاكمة، ولكن بعض أجزاء منه قدمت للمحاكمة أمام محكمة الحى الفيدرالية فى مدينة شيكاغو. وأشار ممثل الادعاء أمام المحكمة إلى تاريخ البذاءة من الناحية القانونية واقتطف مفهوم برنان رئيس المحكمة العليا الأمريكية لها. قال برنان فى هذا الشأن: يتضمن تاريخ التعديل الأول للدستور الاقتناع بأن البذاءة تخلو تماما من أى كلام مفيد حيث إنه فى هذه الحالة لا يصبح مستحقا لحماية ضمانات التعديل للدستور.

وتحدث ممثل الادعاء عن البذاءة كما وردت فى قضيتى "روث" و"المشاريع اليدوية ضد واى" فهى مشروطة بتوافر عناصر لإثبات بذاءتها، هذه العناصر هى عدم قيمة الكتاب الاجتماعية. وإثارته للشهوات الجنسية وبذاءته الواضحة. وركز كووين كل اهتمامه على العنصر الأخير وهو بذاءته الواضحة لأن الأثر الكلى للكتاب... انحطاطه وإشاراته إلى ممارسة الشذوذ الجنسى والانحراف الذى تعج به صفحات الكتاب الصفحة تلو الأخرى سوف تطغى على أى شىء آخر قد نجده فى الكتاب أو أي نقطة أخرى قد يُعثر عليها فيه، فسوف يرى القارئ فيها ما يسىء إليه، إما فى اللغة المستخدمة أو فى بعض أوصافها. ويبدو أن كووين رجح فيما ذهب إليه كفة القيمة الاجتماعية على البذاءة وهو ما حذرت منه المحاكم. وشرح كووين أن معيار إثارة الشهوة الجنسية يقتضى أن تكون جاذبية الكتاب منحصرة أساسا فى الاهتمام بالجنس الفاضح والمريض والعرى الفاضح والمريض، وكذلك الإشارات الكثيرة الفاضحة والمريضة إلى عملية التبرز. وقال الادعاء إن هذه الأشياء لو ذكرت مرة أو مرتين أو حتى خمس عشرة مرة فى أى كتاب يمكننا اعتبارها فى حدود ما هو طبيعى. ولكنه أضاف أن هذه الإشارات تصبح شاذة عندما تملأ صفحاته التى تبلغ نحو مائتين وثلاثين أو مائتين وأربعين صفحة وتطل علينا من كل صفحة تقريبا. ويقوم المؤلف بتصويرها بطريقة لا يألفها القارئ العادى. بل أزعم أنها سوف تصدم مشاعر هذا القارئ. عندئذ أقول إن هذا ينطوى على إثارة الشهوة الجنسية".

كان هدف كووين ممثل الادعاء من وراء أسئلته التى وجهها إلى الشهود هو أن يبين أن تكرار الإشارات إلى ممارسة الشذوذ الجنسى والمواقعة وعمليات التبرز تهدف إلى تدعيم وجهة نظره بأن رواية "الغداء العارى" تثير أحط النزعات الجنسية.

فضلا عن أن الادعاء سعى إلى أن يثبت للمحكمة عند سماع آراء النقاد والأدباء فى رواية بوروز أنها لم تكن تستمع إلى وجهة نظر المؤلف بل إلى آراء هؤلاء النقاد والأدباء

المختلفة أمثال جنسبرج وكياردى ومالر. ولم يكتف الادعاء بهذا القول بل اتهم الشهود بانعدام الكفاءة المهنية، وبأنهم يطبلون ويزمرون لكل فقرة منشورة، وأنهم عاجزون عن التمييز بين الكتابة الغثة والكتابة الثمينة. وخلص الإدعاء إلى قول مفاده أن النقاد والأدباء أضفوا على رواية بوروز أهمية ليس لها أى وجود أصلا.

وطالب الادعاء رغم كثرة عدد الشهود الذن أدلوا بشهادتهم لصالح الرواية بمصادرتها وحظرها من التداول بسبب خلوها من أي قيمة اجتماعية. ورأى كووين أن الشهود خبراء يجنحون بطبعهم إلى مناهضة الرقابة وفرض الحظر على أى كتاب. وأضاف الادعاء أنه بفرض أن رواية بوروز تشتمل على شىء من القيمة فإن هذه القيمة تلاشت تماما بسبب إشارات المؤلف بوروز التى لا تنتهى إلى اللواط والانحراف واستخدام الألفاظ والمشاهد المنحطة. وخلاصة رأى كووين ممثل الادعاء أن رواية "الغداء العارى" مجرد أدب مكشوف أو أدب فاضح طبقا لمواد القانون.

وفى النهاية خاطب الإدعاء رشد القاضى منبها إياه إلى أن الشهود غالوا فى توضيح أهمية رواية بوروز الاجتماعية. وأضاف كووين أن القاضى إذا لم يُدِن الرواية ويحكم ببذاءتها فسوف يتخلى بذلك عن مسؤليته القانونية، ويتركها لمجموعة من الشهود آلوا على أنفسهم الاعتراض على حق الدولة فى فرض الحظر على أى كتاب أو أي مادة منشورة. واختتم الادعاء هجومه على الرواية بوصمها بالبذاءة وإنكار حقها فى الحصول على أي حماية دستورية.

وهنا ذكر دى جرازيا محامى دار نشر جروف بريس أن المدعى العام لم يستدع أي شهود لدحض أقوال النقاد المؤيدين للرواية والمدافعين عن أهميتها الاجتماعية. وشدد المحامى على أن إلصاق تهمة البذاءة بأى كتاب يقتضى من المحكمة إثبات توافر أركان البذاءة الثلاثة التى سبق الإشارة إليها. على أي حال لم يكن أمام القاضى هدسون غير شىء واحد هو الحكم على "الغداء العارى" فى إطار القوانين التى تحكم ولاية ماساشوستس. وذكر القاضى هدسون أنه لن ينطق بالحكم إلا بعد أن يتلقى المذكرات والدفوع القانونية.

ثم قامت المحكمة بإرجاء انعقاد جلستها بعد الانتهاء من تقديم كل الدفوع.

حظر رواية "الغداء العارى"
فى لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا

لعل الكاتب كياردى كان أول شاهد قُدِّر له أن ينشر تعليقا على محاكمة رواية "الغداء العارى" أمام محاكم بوسطن فى العامود الذى درج على تحريره فى مجلة الساترداى ريفيو على نحو يذكرنا بالمقالات المدافعة عن الرواية التى سبق أن نشرها عقب الجدل البالغ الذى أثير عنها فى شيكاغو، وأشار كياردى إلى النفقات الباهظة التى يتكبدها الساعون عن رفع الحظر عن أى كتاب مصادر، واصفا إياه بأنه خراب بيوت. وأحس كياردى منذ البداية أن المحكمة تميل إلى إصدار حكم ببذاءة الكتاب، وأنه لا مناص من اللجوء إلى الاستئناف للحصول على حكم بعدم بذائته.

غير أن المحامى إدوارد دى جرازيا لم يكن متشائما إلى هذا الحد فقد كان الأمل يراوده فى الحصول على حكم ببراءة الرواية فى غضون شهر أو شهرين.

وقد وقع الاختيار على المحامى لافين كممثل قانونى للدفاع عن اثنين من تجار الكتب البذيئة هما إيزاك جالانتى وسيدنى ايرل فرانك. ففى الحادى عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٦٤ رفعت قضيتان أمام محكمة بلدية لوس أنجلوس هما القضية رقم و٣٣٨٤٦ المتهم فيها إيرل فرانك، والقضية رقم و٣٣٨٤٥ المتهم فيها إيزاك جالانتى بانتهاك القسم رقم ٣١١(٢) من القانون الجنائى فى كاليفورنيا، وهو قانون خاص بالبذاءة فى هذه الولاية. اتهم

فرانك ببيع وتوزيع مادة بذيئة ألفها مونت ستيل بعنوان "الدارس لشئون الجنس" وأخرى من تأليف وليم س.بوروز بعنوان "الغداء العارى". وأيضا وجهت تهمة مماثلة إلى جالانتى لتوزيعه يوم ٧ أغسطس ١٩٦٤ هذين الكتابين البذيئين المشار إليهما. غير أن إجراءات المحاكمة فى هذه الحالة اختلفت عن المحاكمة التى جرت فى بوسطن. ففى حين كانت التهمة الموجهة إلى المتهمين فى لوس أنجلوس ذات طبيعة جنائية، كانت التهمة فى بوسطن موجهة إلى مادة الرواية فى ذاتها لمعرفة مدى بذاءتها، أى أنه تعين على محكمة بوسطن أن تثبت بذاءة المادة المنشورة قبل تقديم بائعها إلى المحاكمة.

وفى ٢٨ يناير ١٩٦٥ –أى بعد مرور أسابيع قليلة على محاكمة بوسطن- اجتمع القسم ٢أ من محكمة بلدية لوس أنجلوس برئاسة القاضى ألن.ج. كامبل للنظر فى قضية الاتجار برواية "الغداء العارى". والذى شغل بال القاضى ألان ج. كامبل فى القضية محل النظر إذا كان الكتابان موضع الاتهام يعتبران أدلة على صحة الاتهام أم لا. والجدير بالذكر أنه قرأ كتاب "الدارس لشئون الجنس" كما قرأ معظم رواية "الغداء العارى". وعلى الرغم من أنه وجد رواية بوروز "مثيرة للاشمئزاز" فقد رأى أنه من الجائز -إذا أخذنا الرواية ككل– القول إن الطابع الغالب عليها لا يثير شهوة الجنس. صحيح أنه لم يشك للحظة واحدة فى أن مادة الرواية تجاوزت حدود الحشمة واللياقة إلى حد كبير، ولكن عند النظر إليها ككل فإنها لا تثير شهوات الجسد".

وعلى أي حال لم تكن هناك أدنى غرابة فى أن يشير القاضى كامبل إلى ذلك الجزء من الرواية الذى يحمل عنوان "الحفل السنوى الذى يقيمه أ.ج." كمقياس للبذاءة والفحش"، وهو الجزء الذى سبق لكووين ممثل الادعاء والقاضى فى بوسطن أن اعتبراه بذيئا.

ومن ناحية أخرى اعتبر قاضى محكمة لوس أنجلوس أن هذا الجزء مستقل وقائم بذاته وله علاقة واهية بقصة الكتاب. وأظهر قاضى لوس أنجلوس انزعاجا واضحا من أن يتحايل كاتب على قرائه فيقدم إليهم على سبيل التمويه مادة لا تعتبر بذيئة ولا تخضع لقوانين البذاءة ثم يحشوها بالبذاءة من آن إلى آخر بهدف الالتفاف على القانون. ولكن هذا القاضى لم يلبث أن أكد أن القارئ لا يمكن أن يفصل الجزء الذى يحمل عنوان "الحفل السنوى الذى أقامه أ.ج." عن بقية الرواية. ثم أضاف أن الرواية برمتها بذيئة. ثم استدرك كامبل قائلا إن بعض القراء يرون أن الرواية تبعث على الملل الكامل، وأنها تنهك من يقرؤها كما أنها أشد ما تكون عسرا. وقد يرى قارئ آخر أنه لا يوجد شخص بكامل قواه العقلية يجد فى هذه

الرواية ما يشجعه على قراءتها. وقد يذهب قارئ ثالث إلى أن الرواية لغو فارغ لا طائل من ورائه. ولكن كامبل قرر أن رواية بوروز لا تثير فى قارئها أحط الشهوات الجنسية.

ونصح القاضى كامبل الادعاء فى قضية بيع كل من فرانك وجالانتى للكتب البذيئة بعدم اعتبار رواية بوروز مثيرة لأحط الشهوات، بل يجدر به عدم الاهتمام بأمر بذاءتها. غير أن الادعاء رفض الأخذ بنصيحة القاضى بل حاول لفت نظر القاضى إلى ما فيها من بذاءة. وفيما يلى الحوار الذى دار بين ممثل الادعاء فيرفيلد والقاضى:

فيرفيلد: سيادة القاضى أود أن ألفت نظر المحكمة إلى أن الكلمات البذيئة استخدمت ٢٣٤ مرة وردت فى ٢٣٥ صفحة. وسوف أكتفى بهجاء هذه الكلمات بدلا من النطق بها فى قاعة المحكمة.

كامبل: بل انطقها فنحن هنا نسمع هذه الألفاظ مرة كل أسبوع على أقل تقدير.

فيرفيلد (ينطق الكلمات)[1]: يضاجع –يتبرز– مؤخرة– بظر– قضيب... تكررت هذه الكلمات مائتين وثلاثًا وأربعين مرة فى مائتين وخمس وثلاثين صفحة.

كامبل: هل تريد بهذا أن تقول إن كل كلمة من هذه الكلمات يتم استخدامها نفس عدد المرات.

فيرفيلد: كلا يا سيدى القاضى.

عندئذ نبه القاضى ممثل الادعاء أن المحاكم ترفض الحكم ببذاءة كتاب بناء على عدد الكلمات البذيئة الواردة فيه أو بعدد الصفحات التى ترد فيها هذه الألفاظ.

وأصدر القاضى كامبل حكما بعدم اعتبار رواية "الغداء العارى" دليلا على الإدانة. ولكنه وافق على استمرار اتخاذ الإجراءات القضائية ضد كتاب "الدارس لشئون الجنس".

ورغم أن القضية المرفوعة أمام القاضى كامبل بدت عارضة وثانوية فإن دار جروف للنشر عبرت عن استعدادها للاشتراك فى تحمل مصاريف القضية. وكان اسما فرانك وجالانتى مرتبطين بالصحف والمجلات الصادرة فى كاليفورنيا. وتلقى هذان الرجلان دعما ماليا قدره ألف وخمسمائة دولار من دار جروف بريس للنشر لتغطية أتعاب المحامى لافن

---

[1] نطق ممثل الإدعاء هذه الكلمات في قاعة المحكمة بالعامية الأمريكية.

البالغة ١٨٤٠ دولارًا وخمسين سنتا للدفاع عن رواية بوروز. ولم يكن اسم هذا المحامى غريبا على دار جروف بريس للنشر حيث إنه سبق أن اضطلع بالدفاع عن أحد مطبوعاتها وهى رواية "مدار السرطان" لهنرى ميلر.

والجدير بالذكر أن حظر رواية "الغداء العارى" فى لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا لم يكن له نفس خطورة وأهمية حظرها فى بوسطن.

محكمة بوسطن تصدر قرارا بحظر رواية بوروز:

فور انتهاء محاكمة رواية "الغداء العارى" فى ١٣ يناير ١٩٦٥، قام ممثل الادعاء كووين والمحامى دى جرازيا، كما سبق أن ذكرنا بتقديم المذكرات إلى محكمة بوسطن. وفى ٢٣ مارس ١٩٦٥ أصدر القاضى هدسون قرارا بعنوان "اكتشاف الحقائق المادية وطلب إصدار مرسوم". ولم يندهش أحد بقرار هذا القاضى بأن الرواية "بذيئة وغير مهذبة وقذرة". فضلا عن إثارتها للشهوات بشكل أو بآخر حتى عند النظر إليها ككل، كما أنها أدب فاضح ومكشوف وتخلو تماما من أي أهمية اجتماعية أو علمية، حيث إنها تحتوى على تفاصيل دقيقة لهلوسات مدمن مخدرات. وقد رفض القاضى دعوى الدفاع حيث بدا له أن قبوله لها من شأنه أن يفتح الباب لنشر أي قاذروات قد تخطر على بال أى مؤلف مريض عقليا.

وإلى جانب هذا شعر القاضى هدسون أن الرواية تفتقر تماما إلى الحبكة. واختتم القاضى بقوله: إن المؤلف قام بجمع أقذر وأوسخ عبارات تصف المواقعة الجنسية ثم نثرها دون تمييز فى كتابه. باختصار كان القاضى مقتنعا بأن الرواية مشبعة بأحط الألفاظ وأقذرها.

كانت ردود الفعل الناجمة عن حظر رواية بوروز سريعة ومتلاحقة تراوحت بين اليأس والغضب من صدور هذا الحكم. ومن جهته بادر المحامى إدوارد جرازيا بالاستئناف ضد الحكم بالحظر فى ٢٥ مارس ١٩٦٥.

ورغم فرض الحظر الرسمى على رواية "الغداء العارى" فقد أصدر مكتب النائب العام الإقليمى يوم ١٢ إبريل ١٩٦٥ قرارا شفويا بإسقاط التهم الموجهة ضد بائع الرواية المحظورة تيودور مافريكوس. ويبدو أن الدافع إلى اتخاذ هذا القرار كان سياسيا وليس قضائيا. وأعلن إدوارد بروك ممثل مكتب النائب العام بالولاية رسميا اتباعه سياسة عدم

مقاضاة النيابة المحلية لأى بائع كتب بتهمة البذاءة. ولهذا السبب تم الإفراج عن بائع الكتب مافريكوس الذى كان بوليس الآداب قد ألقى القبض عليه وزج به فى السجن. والجدير بالذكر أن الاتجاه إلى إثبات بذاءة الكتاب دون المساس بموزعه أو بائعه ساد مكتب النيابة العمومية بالولاية رغم أن القضاء فى بوسطن فرض الحظر على الرواية.

وفى ٨ أكتوبر ١٩٦٥ نظرت محكمة القضاء العالى فى ولاية ماساشوستس قضية الاستئناف المرفوعة ضد حظر رواية بوروز. والجدير بالذكر أن محكمة القضاء العالى الأمريكية نظرت فى يومى ٧ و٨ من أكتوبر عام ١٩٦٥ ثلاث قضايا بذاءة هى قضية جنسبرج ضد الولايات المتحدة وقضية ميشكن ضد نيويورك ومذكرات امرأة ساقطة أمام النائب العام. وهذه الرواية الأخيرة تعرف باسم رواية (فانى هيل) التى قامت ولاية ماساشوستس بمصادرتها عام ١٨٢١ ثم أعيد تقديمها إلى المحاكمة يوم ٨ يناير ١٩٦٥ وتم حظرها للمرة الثانية فى ٤ إبريل ١٩٦٥، أى فى الوقت نفسه الذى قدمت فيه رواية "الغداء العارى" إلى المحاكمة.

وتضمنت قضية ميشكن القبض على إدوارد ميشكن عام ١٩٦٠ فى نيويورك بتهمة توزيع الكتب الفاضحة التى تتناول السادية والماسوكية والسحاق. وأصدرت المحكمة حكما بتغريمه اثنى عشر ألف دولار وحبسه لمدة ثلاثة أعوام. علما بأنه سبق لميشكن المثول أمام القضاء بتهمة البذاءة.

والجدير بالذكر أن المحامى دى جرازيا كان أحد المشاركين فى الدفاع عن ميشكن والمطالبين بصرف النظر عن تطبيق المعايير القانونية المعروفة باسم معايير روث. فضلا عن أنه فسر الضمانات الدستورية بأنها تضمن حرية التعبير بشكل مطلق.

أما القضية الثانية التى نظرتها المحاكم الأمريكية فكانت قضية الناشر رالف جنسبرج المثيرة للجدل فى مدينة نيويورك والذى ألقى القبض عليه بسبب انتهاكه قوانين البذاءة الفيدرالية باستخدام شبكة البريد فى توزيع مجلة بذيئة مثل مجلة الإيروس (العشق الجنسى) و"الوصل"، وكتاب يحمل عنوان "المرجع فى الدعارة المختارة"، وقد حكمت عليه محكمة الإقليم الفيدرالية بغرامة قدرها ٤٢ ألف دولار والحبس لمدة خمسة أعوام. وأيدت محكمة الاستئناف هذا الحكم. وقد سعى محامى المتهم رالف جنسبرج أمام المحكمة العليا إلى الدفاع عن المطبوعات التى يتاجر فيها بالقول إن لها أهمية اجتماعية. ولكن الادعاء رفض الاقتناع بهذا قائلا إنها مادة بذيئة ومعترض عليها أقحمها المؤلف إقحاما على الحكايات والصور

التى يزعم المحامى بأن لها قيمة فى محاولة واضحة للتحايل على القانون الذى يتطلب أن تكون المادة المنشورة على درجة من القيمة الاجتماعية تعوض ما فيها من بذاءة. وقد تعرضت محاكمات البذاءة للسخرية والاستهزاء من جانب بعض قطاعات المجتمع الأمريكى مثل القول إنه يتعين على أعضاء المحكمة قراءة كل الكتب البذيئة المنشورة فى طول الولايات المتحدة وعرضها لمعرفة إذا كانت هذه الكتب تتضمن أي قيمة اجتماعية أم لا.

أما الكتاب الثالث الذى قدم للمحاكمة أمام المحكمة العليا فهو الكتاب الذى ألفه جون كليلاند بعنوان "ذكريات امرأة ساقطة"، وهو من كلاسيكيات الأدب البذئ فى القرن الثامن عشر. ويجدر بالذكر أن الذى حرك الدعوى ضد هذا الكتاب فى ولاية ماساشوستس هو وليم آى.كووين وهو الشخص نفسه الذى قدم بوصفه ممثلا للادعاء رواية "الغداء العارى" إلى المحاكمة منذ أقل من عام. علما بأن جون كليلاند نشر رواية "ذكريات امرأة ساقطة" فى إنجلترا عام ١٧٤٩، وأن الناشر بيتر هولز كان قد ألقى القبض عليه فى ولاية ماساشوستس لنشره هذا الكتاب.

وعندما أعلن الناشر بوتمان عام ١٩٦٢ إعادة نشر كتاب "مذكرات امرأة ساقطة" لفت أنظار السلطات إليه واستمعت المحكمة العليا فى ٨ يناير ١٩٦٥ إلى الاستئناف المقدم ضد الحكم بحظر المحكمة الأقل درجة تداول هذا الكتاب وذلك قبل أيام قلائل من تقديم رواية "الغداء العارى" إلى المحاكمة يومى ١٢ و١٣ من الشهر نفسه. وأيدت محكمة الاستئناف بذاءة رواية جون كليلاند. والجدير بالذكر أن المحكمة العليا فى ولاية ماساشوستس أرجأت حكمها فى قضية الاستئناف المقدم لصالح رواية "الغداء العارى" حتى يصدر الحكم على "مذكرات امرأة ساقطة" وعلى الناشرين ميشكن وجنسبرج.

وفى يوم ٢١ مارس ١٩٦٦ أصدرت المحكمة الأمريكية العليا حكمها فى قضايا البذاءة الثلاث المشار إليها. وأيدت هذه المحكمة الحكم بإدانة الناشر رالف جنسبرج لاتجاره فى المواد الداعرة والعمل على استثارة شهوانية قرائه.

وعلى أي حال أصدرت المحكمة العليا فى ولاية ماساشوستس بتاريخ ٧ يولية ١٩٦٦ حكما فى القضية المرفوعة باسم قضية النائب العام ضد رواية تحمل عنوان "الغداء العارى" رقم ٣٥١ بولاية ماساشوستس، ويتميز حكمها بأنه أول تطبيق لمعايير البذاءة الجديدة على الأدب المعاصر. وهى معايير أقل فى تشددها من المعايير السابقة حيث نجد أنه يحق للمحكمة أن تحكم ببطلان قرار الحظر إذا كان للكتاب المقدم إلى المحكمة قيمة أدبية أو

اجتماعية. وبناء عليه قررت محكمة الاستئناف بولاية ماساشوستس عدم بذاءة الرواية بسبب موقف المجتمع الأدبى الجاد منها.

ورغم الحكم ببطلان الحظر فقد ذهبت محكمة الاستئناف إلى أن الاستغلال التجارى لرواية بوروز وما تتضمنه من إثارة جنسية والدعاية لها على نحو غير لائق من شأنه تعريض الرواية إلى المساءلة القانونية. ولكن هذا القرار برفع الحظر عن "الغداء العارى" لم يصدر بإجماع الآراء؛ حيث إن اثنين من قضاة الاستئناف اعترضا على الحكم برفع الحظر وهما بول س.ريردون وبول ج.كيرك. يقول ريردون فى هذا الشأن:

"طبقا للواجب الذى فرضه على القانون قمت بقراءة الكتاب فوجدته يدعو للاشمئزاز؛ بسبب انحطاط انحرافه ومرضه... والكتاب فى حقيقته عبارة عن صرف صحى أدبى".

وكذلك اعترض ريردون على اعتبار القضاة الآخرين شهادة الخبراء والنقاد وكتاب المقالات دليلا على أهمية رواية بوروز الأدبية. يقول القاضى ريردون فى هذا الشأن إن تجربته فى ولاية ماساشوستس دلته على أن أى كتاب متهم بالبذاءة لن يعدم أن يجد من يهب للدفاع عنه. وتأكيدا لوجهة نظره قال ريردون إنه اتضح من التحقيقات والاستجوابات مدى ضعف شهادة كل من كياردى ومالر وجاكسون وجنسبرج. غير أن رأى كل من ريردون وكيرك كان يمثل الأقلية.

وبطبيعة الحال استقبلت دار جروف للنشر نبأ رفع الحظر بابتهاج. ولكن هذا الابتهاج كان منقوصا بسبب إدراك هذه الدار أنه يمكن إعادة محاكمة رواية "الغداء العارى" فى حالة الإعلان عنها والترويج لها بطريقة تدعو إلى إثارة الشهوات.

وشن محرر صحفى فى بوسطن هجوما على القول بأهمية الرواية الأدبية مؤكدا قذارتها.

ولم يتخذ النائب العام أى إجراء ضد الكتاب. كما أن دار جروف بريس للنشر لم تشأ التورط فى المزيد من المنازعات القضائية، وآثرت الاكتفاء بسماح المحكمة بتداول الرواية. وحتى تزيد هذه الدار من مبيعات هذه الرواية دون أن تعرض نفسها للمزيد من المشاكل القانونية أصدرت طبعة رخيصة من الرواية ذات غلاف ورقى صدرت بمقدمة تضم مقتطفات من الشهادات التى أدلى بها أصحابها خلال المحاكمة التى عقدتها المحكمة العليا، إلى جانب القرار الذى اتخذته بأغلبية الأصوات محكمة القضاء العالى فى ولاية

ماساشوستس... وهكذا تجنب الناشر عمل أي دعاية تجارية للكتاب التى قد تتهم بإثارة شهوات القراء.

لم تكن دار جروف للنشر الوحيدة التى ارتاحت لرفع الحظر عن رواية بوروز، فقد شاركها فى هذا النائب العام إدوارد بروك الذى رأى ضرورة عدم المساس ببائع الكتب المتهمة بالبذاءة، إلى جانب ضرورة إثبات بذاءتها قبل اتخاذ أي إجراءات ضدها.

وكذلك ارتاح لهذه النتيجة مساعد النائب العام وليم أ.كووين الذى قال بعد تركه لمنصبه الرسمى: "بالنسبة لمزايا هذا الحكم فإنى أعتقد أنه كان حكما صائبا فى وقته مثلما هو حكم صائب الآن. وأعتقد أن التعديل الأول للدستور سوف يفقد ميزته إذا لم يكن باستطاعته حماية رواية من نوع (الغداء العارى) من المصادرة".

رواية "الغداء العارى" بعد عام ١٩٦٦

من الأهمية بمكان أن نعرف أن المحاكم الأمريكية بعد عام ١٩٦٦ توقفت عن مصادرة الأعمال الأدبية، كما توقفت عن اتخاذ أي إجراءات قانونية ضدها. تقول فيليس فلانرى فى كتابها "البذاءة الأدبية والقانون" إنه لم تعد هناك روايات تتعرض للحظر بعد عام ١٩٦٦، وأن مقاضاة مسرحية لمايكل مالكور التى تقع فى فصل واحد فى ولاية كاليفورنيا لم يكن بسبب بذاءة النص المسرحى بل بسبب بذاءة مسلك مؤلفه واثنين من المشتركين فى تمثيله فى مكان عام. وفى نيويورك فى عام ١٩٧٠ اتهمت بالبذاءة مسرحية غير منشورة من تأليف لينوكس رافائيل تحمل عنوان "شىء". وفى بوناه ألقى القبض عام ١٩٧٣ على تاجر لقيامه ببيع عدد من الكتب. وتخلى الرقيب الأمريكى عن سياسة حظر الكتب الأدبية واتجه إلى حظر المجلات والصحافة الصفراء وبعض أفلام الجنس البذيئة.

والجدير بالذكر أن شارلس رمبار يقول فى كتابه "نهاية البذاءة" إنه بنشر رواية "مذكرات امرأة ساقطة" المعروفة باسم "فانى هيلى" لم يعد للرقابة على المصنفات الأدبية أى وجود فى الولايات المتحدة.

وفى عام ١٩٧٠ انطلقت أصوات تطالب بإلغاء جميع قوانين البذاءة. وتمثلت هذه الأصوات فى تقرير صدر عام ١٩٧٠ بعنوان "لجنة البذاءة والأدب المكشوف". والجدير بالذكر أن ليندن جونسون شكل هذه اللجنة التى حاول الرئيس ريتشارد نيكسون النأى بنفسه عنها. حتى مصلحة البريد غيرت طريقتها فى التعامل مع المواد البذيئة. فبعد مقاضاتها المحلية لمجلة "المائدة الكبيرة" بوقت قصير أصبحت الآن تتردد كثيرا فى الإحجام عن

إرسال أو توزيع المادة البذيئة التى يشترك فيها القراء. وعندما قامت مصلحة البريد مؤخرا بحظر إحدى المواد البذيئة تولى أحد قضاة مدينة نيويورك- وهو القاضى الفيدرالى بيير ليفال – النظر فى القضية المعروفة باسم الولايات المتحدة ضد مقالات متنوعة عن المواد البذيئة بتاريخ ٢٨ يولية ١٩٧٨ لاغيا قرار المصادرة الذى اتخذته مصلحة البريد. وتدل الملاحظات التى أبداها هذا القاضى على أنه اعتبر الرقابة الغاشمة أسوأ بكثير من الاستخدام الشخصى الحصيف لأي مادة بذيئة تخاطب الكبار بهدف إثارتهم من الناحية الجنسية.

ويعتبر الدارسون أن رواية "الغداء العارى" بداية نهاية فرض الحظر على الأدب فى الولايات المتحدة... بل نهاية الحظر المفروض على الأدب. وبرفع الحظر المفروض على رواية "الغداء العارى" انتهت المعركة المحتدمة بين مضمون التعديل الأول للدستور الذى يدافع عن حرية التعبير وميراث التزمت البيوريتانى المتمثل فى شخصية انتونى كومستوك رئيس جمعية مكافحة الرذيلة فى نيويورك. بل إن رواية "الغداء العارى" صارت الآن جزءا من المناهج الدراسية فى المعاهد والجامعات الأمريكية.

المراجـــع

William S. Burroughs- The Naked Lunch- Roth- Hawthorne-The Scarlet Letter-Whitman- Leaves of Grass- Crane-Maggie:A Girl of the Streets- Anthony Comstock-American Aphrodite-Edward Mishkin-Ralph Ginzburg-Eros-

The Housewife Handbook on Selective Promiscuity-Memoirs of a Woman of Pleasure(Fanny Hill)- Massachusetts- Jinkie-Allen Ginsberg- Norman Mailer- John Ciardi- Norman Holland- Leslie Fiedler-Ihab Hassan- Alfred Kazin- Mary McCarthy- Richard Pearce- Theodore Solotaroff- Tony Tanner- John Tytell- Ezra Pound- The Chicago Review- the Chicago Daily News- Albert Podell- Irving Rsenthal- Richard Stern- Beat generation- Cate- Weinberg- Capitol Times of Madison(Wisconsin)- August Derleth- Weird Tales-S.F.Horizons- Nova Express- Arthur Summerfield- Camelot- Joseph Kozielec-Old Angel Midnight- Ten Episodes From Naked Lunch- Edward Carlick- William A. Duvall- Paul Carroll- Herbert Levy- Corso- J.Carroll Schueler-Sprayregen- Kozielec- Arkham House Publishers, Sauk City, Wisconsin-Edward Dahlberg- The Garment of Ra- Gregory Corso- Poe- Baudelaire-Rimbaud – Verlaine- Jarry-Jonathan Smith- Nathanael West-Big Table- Paul Carroll-Post Office Attorney J. Carroll Schueler-Socrates- Oedious Rex- Howl- Village Voice- Wagner Literary Magazine- Saturday Review- Hoke Norris- Richard G. Stern-Fairfax M. Cone-Bookburners and Sweet Sixteen-

Attorney General Edward Brooke- Federal Judge Pierre N. Leval- U.S. vs. Various Articles of Obscene Merchandise- Paul C. Reardon- Paul G. Kirk- Massachusetts Supreme Judicial Court- Mishkin vs. New York- Memoirs of a Woman of Pleasure vs. Attorney General 383 U.S. 413- Judge Hudson- Findings of Material Facts and Order for Decree- Prosecutor Fairfield- Los Angeles- John Dewey-appendix- The County Clerk- Missouri- Florida- Texas- Louisiana- Klux Klan- Mr. Naked merica-Hassan O'Leary- Boston Globe- U.S. Supreme Court-Alcoholism Clinic- Long Island Hospital alcohol-Finnegans Wake- Algebra of Need- St. Augustine- Aldous Huxley- Franz Kafka- Latah- Johnny- Gabriele Bernhard Jackson- Wellesley College- Microcosm- Surrealism- Benway- Mmmm- Dante- Divine Comedy-William I.Cowin- Judge Good- Massachusetts Superior Court Judge Eugene A. Hudson- Schrieber of the Massachusetts Association- Assistant Attorney General Leo Kozol-Assistant District Attorney Nolan- Byrne- Superior Court Judge Francis Good- Frank Dardeno- Vice Squad- Barney Rosset- Edward

deGrazia- William Brad Ford- Thomas Morton- The Watch and Ward Society- Manhattan- God's Liittle Acre-Ionesco- Piaget- Victor Gllancz- Eric Mottram of King's College- R.C. Kenedy-Sitwell- Margaret Kennedy- Robbe-Grillet- New Statesman- David Malcolm- The New Yorker- William Tell- The Queen's Bench Division of the High Court of Justice in London- Richard Kostelanetz- The New York Times- Herbert Gold- Staten Island- The New England Printer- Halliday Lithograph Corporation- The Book Press in Brattleboro- Vermont- Brion Gysin-

Jacques Barzun-Kenneth Burke-Hugh Kenner- Lionel Trilling- Thomas Parkinson- Le Roi Jones- James Laughlin- Robert Creeley-Kenneth Burke-Thomas Parkinson-Benjamin Franklin- Freud- Ovid- Aristophanes- Our Responsibilities and America's Future- Kathryn Granahan-Harold Rosenberg-Longview Foundation Program Director- Saul Bellow- Faulkner's Sanctuary – The Naked and the Dead-Bernard Weisberg- Carl A. Schroeder, the Chicago Postmaster- Smith vs California- Julius J. Hoffman-William Cambell- Irving Fishman-Barney Rosset- Huntington Cairns- Reuben Klaben- Irving Fishman-A. Gilmore Flues- Tangier- Paul Bowles- Hotel Villa Muniriya-Andre Kief- Paul Bowles-Esquire-Judge Eduardo Urazia Jimenez- Tony- Alan Ansen- 9 rue Git Le Couer- Beat Hotel- Dr. Yerbury Dent- The Board of Trustees at the University of Chicago- The Nation-Evergreen Review- Desposition: Testimony Concerning a A Sickness- Gysin-Paul O'Neil- Life Magazine- Floating Bear- Doubleday and Brentanos- John Calder- McEwan- Malamud- Vladimie N\bakov'Lolita-Wilhelm Reich-Brion Gysin- Colin McInnes-The New England Printer- Halliday Lithograph Corporation- Book Press in Brattleboro, Veremont-Staten Island, New York-The New York Times- Times- Herbert Gold-William Tell- Bench Division of the High Court of Justice- New Repunlic- Richard Kostelanetz-Robbe-Grillet-New Statesman- David Malcolm- The New Yorker—Ionesco- Piaget-Victor Gollancz-Eric Mottram of Kong's College- R.C. Kenedy- Sitwell- Gollancz-Margaret Kennedy –William Bradford of Plymouth-Thomas Morton-Merrmount-The Watch and Ward Society- The New York Society for the Prevention of Vice-Manhattan- Tropic of Cancer- God's Little Acre- Boston Univ. Law review-

Wilhelm Reich- John Calder- McEwan- Mary Mary McCarthy- Malamud-
dike- Floating Bear- Charle Rembar-Life Magazine- Capital Punishment-
ift'Modest Proposal-Evergreen Review- Deposition:Testimony Concerning a
kness- Sinclair Bee-ilesThe Board of Trustees at the University of Chicago-
ıl Bowles-9 rue Git Le Couer- Beat Hotel- Dr. Yerbury Dent- Benway, Carl and
:- Alan Ansen- Tony- Judge Eduardo Urazia Jimenez- Andre Keif- Paul
wles- Hotel Villa Muniriys-Fishman- A.C.L.U.(The American Union for Civil
erties)-Huntington Cairns- Reuben Klaben- Irving Fishman-Chief Judge
lliam Cambell- Smith vs California- Julius J. Hoffman- Weisberg (Bernard)-
l A. Schroeder-Faulkner's Sanctuary- Mailer'The Naked and the Dead-Harold
ıenberg- Longview Foundation Program Director-Summerfield- Our
ponsibilities and America's Future- New York Daily News- The Chicago Sun
ıes- Richard McGowan- Alfred C.Roller- Kathryn Granahan- Benjamin
nklin- Ovid- Aristophanes- Rowland Watts- Melvin Wulf-Kenneth Burke-
ımas Parkinson- Fairfax M. Cone-Richard G. Stern- The Village Voice-
gner Literary Magazine- Saturday Review- Hoke Norris-Howl- Hans W.
:tick-Socrates- Oedipus Rex- Nathanael West- Jarry- Edward Dahlberg- The
ment of Ra- Further Sorrows of Priapus- Gregory Corso- Schueler, Sprayregen-
ham House Publishers- Sauk City, Wisconsin-Post Office J.Carroll Schueler-

Herbert Levy- Old Angel Midnight- Ten Episodes from Naked Lunch-
vard Carlick- William A. Duvall- Camelot- Albert Podell- Joseph Kozielec-
ıitol Times of Madison, Wisconsin- August Derleth- Weird Tales-
Horizons- Nova Express- Mr. Cate- Mr. Weinberg- Richard Stern- Leslie
der- Ihab Hassan- Richard Pearce- Theodore Solotaroff- Tony Tanner- John
ell- Samuel Roth- American Aphrodite- Hawthorne's The Scarlet Letter-
ville's Typee- Crane's Maggie-

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

كتب باللغة العربية:

١) برتراند راسل الإنسان، الدار القومية، القاهرة ١٩٦١ .

٢) برتراند راسل المفكر السياسى، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٦ .

٣) دراسات تمهيدية فى الرواية الإنجليزية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦ .

٤) توفيق الحكيم الذى لا نعرفه،مطبعة وهدان، ١٩٧٤ .

٥) اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩ .

٦) برتراند راسل، تأليف ألان وود (ترجمة)، الأندلس، بيروت ١٩٨١ .

٧) س. ب. سنو والثورة العلمية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ .

٨) موسوعة المسرح المصرى البيليوجرافية (١٩٠٠-١٩٣٠)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢ .

٩) موقف ماركس وإنجلز من الآداب العالمية، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٤ .

١٠) شكسبير فى مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ .

١٢) جورج أورويل (حياته وأدبه)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ .

١٣) الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها، الألف كتاب الثانى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ .

١٤) وول سوينكا (ترجمة)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ .

١٥) أدباء روس منشقون فيعهد جوزيف ستالين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١ .

١٦) الأدب الروسى والبريسترويكا، دار الهلال، القاهرة ١٩٩١ .

١٧) الأدب والجنس، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٣ .

١٨) الثالوث المحرم،دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤ .

١٩) الشذوذ والإبداع، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٥ .

٢٠) دراسات فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى، كلية الألسن، جامعة عين شمس ١٩٩٥ .

٢١) من ستالين إلي جورباتشوف، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٦ .

٢٢) الإلحاد فى الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

٢٣) الهرطقة فى الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

٢٤) شكسبير واليهود، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٥ .

٢٥) العلم والدين، تأليف برتراند راسل (ترجمة)، دار الهلال ١٩٩٧ .

٢٦) الرجل الذى مات، تأليف د. هـ. لورانس (ترجمة)، دار الهلال، يوليه ١٩٩٧ .

٢٧) ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، ١٩٩٨ .

٢٨) رباعيات الشذوذ والإبداع، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، ١٩٩٨ .

٢٩) اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال ١٩٩٨ .

٣٠) موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة فى العالم، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ١٩٩٨ .

٣١) فى مدح الكسل ومقالات أخري، تأليف برتراند راسل (ترجمة)، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة ١٩٩٨ .

٣٢) سيرة حياة برتراند راسل، تأليف ألان وود (ترجمة)، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة ١٩٩٨ .

٣٣) اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال، نوفمبر ١٩٩٨ .

٣٤) صورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى، دار الهلال، مارس ١٩٩٩ .

٣٥) الهولوكوست بين الإنكار والتأكيد، دار الهلال، ديسمبر ٢٠٠٠ .

٣٦) اليهود فى الأدب الأمريك فى أربعة قرون، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١ .

٣٧) الهولوكوست فى الأدب الأمريكى، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١ .

٣٨) الهولوكوست فى الأدب الفرنسى، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠٢ .

٣٩) اليهود فى الأدب الروسى، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠٢ .

٤٠) محاكم التفتيش، دار الهلال ٢٠٠٢ .

٤١) محاكم التفتيش فى إسبانيا، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ٢٠٠٢ .

٤٢) محاكم التفتيش فى إيطاليا، دار الهلال ٢٠٠٣ .

٤٣) أبرز ضحايا محاكم التفتيش، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤ .

٤٤) محاكم التفتيش فى فرنسا (المجلس الأعلي للثقافة) ٢٠٠٥ .

٤٥) ألبرت أينشتاين: سيرة حياته (المجلس الأعلي للثقافة) ٢٠٠٥ .

٤٦) ترجمة إنجليزية لكتاب شكسبير فى مصر، مكتبة الاسكندرية ٢٠٠٣ .

٤٧) اليهود فى الأدب الإنجليزى من القرن الثامن عشر إلي القرن العشرين، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٥ .

٤٨) محرقة اليهود: أوشويتز – بيركينو، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٦ .

٤٩) من أدب الانشقاق، الكسندر سولجنتستين، دار الهلال ٢٠٠٦ .

٥٠) الغجر بين المجزرة والمحرقة، المجلس الأعلي للثقافة ٢٠٠٦ .

٥١) معسكر اعتقال داكاو، المجلس الأعلي للثقافة ٢٠٠٦ .

٥٢) معسكر اعتقال برجن – بلسن، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ .

٥٣) معسكر اعتقال رافنزبروك، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ .
٥٤) العرب ومحرقة اليهود، كتاب اليوم ٢٠٠٧ .
٥٥) معسكر اعتقال ماثاوزن (المجلس الأعلي للثقافة) .
٥٦) معسكر اعتقال بوخنوالد، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٨ .
٥٧) معسكر اعتقال صوبيبور (المجلس الأعلي للثقافة) .
٥٨) معسكر اعتقال تريبلينكا (المجلس الأعلي للثقافة) .
٥٩) هل أنت شيوعى يا مستر شابلن؟ قصور الثقافة ٢٠٠٨ .
٦٠) برتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية، دار الهلال ٢٠٠٩ .
٦١) د. هـ. لورانس وهنرى ميلر أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية (المجلس الأعلي للثقافة) .
٦٢) معسكر اعتقال دورا (المجلس الأعلي للثقافة)
٦٣) ظلام في الظهيرة تأليف أرثر كيسلر (المركز القومي للترجمة) .
٦٤) محاكمات فنية وأدبية وفكرية (محاضر تحقيق أمام لجان تحقيق أمريكية) جزءان صادر عن المركز القومي للترجمة ٢٠١٠ .
٦٥) فلاديمير نابوكوف (حياته وأدبه) صادر عن دار الهلال ,٢٠١٠

٦٦) جيمس جويس أمام المحاكم الأمريكية، الأنجلو المصرية، ٢٠١١.

٦٧) فيودور دستيوفسكى فى المنفى ومحن أخرى، الهلال ٢٠١٢.

٦٨) رواية "الغداء العارى" أمام المحاكم الأمريكية.

٦٩) الغصن الذهبى فى الميزان.

مقال باللغة العربية:

- نقد رواية العنقاء، تأليف لويس عوض، المجلة فبراير ١٩٧٠.